١٠٤٥
دار م. النحاس

كبير

1045
HARLEQUIN

وحدها في شهر العسل

لاي مايكلز

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

وحدها في شهر العسل

لاي مايكلز

«لو أنكِ احببتني لكنتِ وثقت بي!»

هل كان كل أحد في منطقة هاموند يعرف ان سبانس غرينفيلد على علاقة بسكرتيرته؟ كل أحد، ما عدا، شرلي.

زوبعة مغازلة سبانس جرفت شرلي من قدميها. وقد كانت شغوفة ومغرمة به حتى الجنون. ولكن ذلك كان قبل دخولها إلى منزلهما الجديد واكتشافها امرأة شبه عارية بين ذراعيه. وكأن ذلك لم يكن سيئاً كفاية، حتى انه رفض ان يشرح لها السبب!

لذا بدلاً من ان تكون في شهر عسلها، كانت هنا وحيدة ومحاطة بالثلوج في كوخ منعزل. وقد تحطم فؤادها كما حال خطوبتها، عندما دخل عليها سبانس...

اللعنة، يا سبانس! أفي منزلنا؟

بدا سبانس وكأنه قد اصيب بقوة تحت ضلوعه وقال: «لطفاً يا شرلي.» ومدّ يده قائلاً: «أستطيع شرح ذلك.»

كانت المرأة التي تجلس على الكرسي المزدوج - الكرسي المزدوج خاص بشرلي - ممسكة بذراع سبانس وقد بدت على وجهها ملامح التوتر، وقالت: «لا، لا يمكنك ذلك، يا سبانس.»

نظر إليها وعض شفته.

قالت شرلي: «يبدو أن هناك اختلافاً في الرأي. وبرغم أني لمقت قول ذلك، اوافق سكرتيرتك الرأي في هذا الشأن. لا أرى كيف يمكنك توضيح الأمر. لكنني مصغيّة إليك. لِمَ لا تجرب ذلك؟»

بقي سبانس صامتاً.

كان صوت شرلي هادئاً أو يكاد عندما قالت: «ليس لديك ما تقوله؟ كنت أتوقع ذلك.» ثم أدارت له ظهرها ومشت نحو الباب خارجة وقد أغلقته وراءها بقوة.

لاي مايكلز

لاي مايكلز كاتبة منذ اصبحت قادرة على الامساك بالقلم، لكن، نشر قصة عاطفية كان طموحاً أبقته سراً لم تبح به إلى أحد ما عدا زوجها، وهو اكبر مشجعيها. وقد أرسلا معا بالبريد أول نص لها يوم الجمعة في الثالث عشر من الشهر الذي تقول عليه انه يوم حظها منذ ذلك الحين.

وجدت الكتابة توقاً إلى عالم متوازٍ، ينتظر دائماً خلف احدى زوايا الحياة الواقعية. وهكذا، فإن كل الاشخاص في كل كتبها الأربعين التي كتبتها حتى الآن وعشرات الكتب الأخرى التي تنتظر فرصة كتابتها، يعيشون هناك ويتفاعلون احياناً بطرائق غير متوقعة، مما يجعل الذهاب إلى العمل كل يوم مغامرة جديدة.

١٠٤٥
عبير
Abir 1045

وحدها في شهر العسل

لاي مايكلز

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الاول

اثار انتباه شرلي صوت خفيف منبعث من آخر الغرفة. فرفعت عينيها عن الورقة التي تصححها ونظرت. لقد شارف عصر يوم الجمعة نهايته، حيث لم يبق سوى عشر دقائق قبل العطلة. ولن يدهشها ان شعر طلابها في الصف الثاني بالتعب. لكن عشرين تلميذاً كانوا قد انحنوا منكبين على انهاء امتحان الرياضيات و...

لا، صححت شرلي لنفسها. تسعة عشر طالباً فقط يجرون امتحان الرياضيات؛ فواحد منهم كان يستعمل ورقة الامتحان لصنع طائرة ورقية. تنهدت وطلبت منه ان يحضرها إلى طاولتها وقالت له: «ان انهيت امتحانك يا جوش. يمكنك، بهدوء تام، ان تقوم بعمل آخر.»

ابتسم لها جوش ابتسامة عريضة اظهرت اسنانه المتباعدة، وسوّى ورقة امتحانه ثم توجه نحو النافذة قرب طاولتها. وبعد لحظة قال بصوت مرتفع: «آنسة كولينز، انظري إلى الطائر الاحمر الجميل.»

نظرت شرلي إلى الوعاء الذي يوضع فيه طعام العصافير خارج النافذة مباشرة. كان الاطفال يملأونه صباح كل يوم. وها قد كوفئت جهودهم في فصل الشتاء. واليوم، عصفور ذو زغب قرمزي مشرق اللون يسوّي ريشه فيما يتناول بعضاً من طعام العصافير.

سألت جوش: «هل تتذكر ماذا يدعى هذا العصفور؟»

تجهّم، واخيراً هزّ رأسه نافياً.

قالت: «انه يدعى الكردينال. يمكنك معرفة ذلك من منقاره البرتقالي اللون والعرف الغريب الشكل على رأسه. والآن، هل يمكنك ان تتذكر، ان كان الكاردينال الاحمر ذكراً ام انثى؟»

زال تجهّم جوش وقال: «انها انثى. لأن الفتيات يرتدين دائماً الواناً جميلة.» تقدم نحو طاولتها وربت على كمّ كنزتها الزرقاء الجميلة. واضاف «وهنّ يشترين ايضاً الاشياء البراقة جداً.» مشيراً إلى الماسة المتلألئة في الخاتم الذي تلبسه في اصبع يدها اليسرى، وتابع قائلاً: «وبرغم ذلك، لا اعرف لِمَ عليهن القيام بذلك؟»

حركت شرلي يدها حتى وقعت اشعة الضوء على الماسة. انها تشع بالتأكيد، حتى تحت اضواء الفلورسان الباهتة في غرفة الصف، ولكنها لم تكن براقة كعيني سبانس في الليلة التي وضع فيها الخاتم في اصبعها... ليس هذا وقت الاحلام. تذكرت وقالت: «هل انت متأكد من نظريتك عن الالوان يا جوش؟ فليست صحيحة دائماً في ما يخص الطيور على الاقل. فعصفور الكردينال هذا ذكر.»

قال: «حقاً؟ انه صبي؟ امر مثير!» لمعت عيناه واتجه عائداً نحو النافذة.

حوّلت شرلي نظرها نحو ورقة امتحانه. لم تخف عليه حتى الاسئلة الدقيقة. حسن، هذا أمر آخر عليها اضافته إلى لائحة اعمالها في خلال عطلة الاسبوع هذه، عليها التفكير في نصف دزينة من الطرائق الجديدة لتتحدى جوش في الرياضيات. الامر الذي قد يجعلها تتخطى

اسبوعاً آخر من الايام الدراسية في المدرسة، ان حالفها الحظ.

انهالت اوراق الامتحانات على طاولتها كالسيل. فبيما ارتفع الضجيج في الغرفة عندما تحوّل الطلاب إلى القيام بنشاطات أخرى. وفي الوقت الذي رنّ فيه الجرس معلناً انتهاء الحصة، كان طالبان فقط ما زالا يعملان لانهاء ورقتي امتحاناتهما مما جعل شرلي تحثهم على انهاء ذلك. لقد تأخرت قليلاً هي نفسها في التوجه إلى الملعب لمراقبة الطلاب، وكانت لا تزال تزرر معطفها وهي تدفع باب غرفة الصف وراءها لتغلقه.

توقفت ايمي هوول، المعلمة الثانية لطلاب الصف الثاني، في الرواق، ضحكت وقالت بابتهاج: «لقد اثبت لي ذلك، ان محاولة اخفاء شيء عنك هو اسوأ من خداع طلابي الصغار» وأخرجت علبة كانت ملفوفة بورق لماع وقد زينها قوس ابيض رائع من الجهة العليا.

نظرت شرلي اليها بشك. فقد كان واضحاً من الطريقة التي كانت تحمل بها ايمي العلبة ان وزنها خفيف جداً. ثم قالت: «ما هي المناسبة؟»

قالت ايمي متأوّهة: «ستتزوج الفتاة بعد أسبوع أو يزيد قليلاً. وتسألين ما هي المناسبة! لم يكن في استطاعتي اعطاؤك هذه في، خلال الحفلة التي اقيمت لك هنا بالامس لأن مدير المدرسة ان راها فسيصاب بنوبة قلبية.»

قالت شرلي وقد ارتفع حاجباها قليلا: «اذاً، يجب ألا افتحها أمام الطلاب ايضاً، كما اعتقد.»

وتمتمت ايمي قائلة: «أو أمام عمتك شارلوت. لا تبدو لي

انها من النوع الذي يقدر هذا النوع من الهدايا. لكني اراهن على ان سبانس يفعل ذلك. سأتركها لك على طاولتك.»

ضحكت شرلي ودفعت الباب الزجاجي امامها والذي يؤدي إلى الملعب. بدا كل شيء طبيعياً، صرخات طفولية تتصاعد من ناحية العمود حيث الحبل المشدود، ومجموعة من الفتيات يقفزن بمرح على الحبل. وبعيداً في زاوية، عدة فتيات يمشين في صف واحد إلى الامام ثم إلى الوراء. وكل واحدة منهن تضم يديها إلى صدرها وكأنها تتضرع وقد ملن برؤوسهن قليلاً فيما اقدامهن الصغيرة ترتفع عن الارض لتضرب ارض الملعب بإحكام.

واستنتجت شرلي أنهن يلعبن لعبة الزفاف. فقد كانت لعبة شائعة في هذا الملعب خاصة منذ اكثر من شهرين، وبعد عطلة رأس السنة مباشرة. عندما اخبرت شرلي تلامذتها في أحد الأوقات التي يتشاركون فيها الحديث معاً، انها ستصبح بعد عطلة الربيع السيدة غرينفيلد.

شهران! وقت قصير للغاية لانجاز كل شيء. والآن وقد اصبح يوم زفافها على الابواب، يصعب تصوّر ان تلك الاسابيع كلها قد مرت. فبعد ثمانية أيام فقط ترتدي ثوب الزفاف الرائع، اجمل فستان زفاف في العالم، هذا ما قالته تلميذاتها أمس عندما طلبن منها بإلحاح ان تصفه لهنّ مرة أخرى وهي تسير نحو سبانس غرينفيلد حيث ينتظرها.

سبانس، ذاك الرجل الوسيم، الرائع، الانيق الذي يستطيع مناقشة أي موضوع من الفيزياءِ النوويّة إلى نظرية النسبية وإلى حقيقة كيفيّة عمل الاقتصاد العالمي. لكنه اختار ان يمضي بقية حياته مع امرأة تعريفها للعلوم، هو تعليم

جوش الفرق بين الكاردينال ونقار الخشب، وتعتبر نهارها ناجحاً اذا استطاعت تعليم تلميذ آخر أن يجري صرفا صحيحا للدولار.

ليس هناك شيء وضيع في عملها. فإن تعليم طلاب الصف الثاني يرسي دعائم موقف الطفل كله من طلب العلم والحياة. وان كان ذلك ليس بالامر المهم، فإن شرلي لا تعرف ماهو. بالاضافة إلى ذلك فهي تحب البقاء مع الأولاد حيث اللامتوقع هو قاعدة النهار.

كما ان ليس من خطب في تفكيرها، رغم ان ايمي هوول عندها نظرة خاصة إلى ذلك، عبّرت عنها بقولها انها وهي في السابعة والعشرين من العمر تشعر أحياناً بعد نهار طويل وكأنها فقدت اتزان تفكيرها.

كان في إمكان سبانس الزواج من أية فتاة أخرى. ولم تكن شرلي متأكدة من انه لن يقوم بذلك، حتى ليلة رأس السنة. وسبب اعتقادها ذلك، لم يكن تواعده مع فتاة أخرى بانتظام، بل لأنه لم يكن يعيرها اهتماماً خاصاً. كان يأتي إلى العشاء بين الحين والآخر عندما كانت خالتها شارلوت تدعوه لذلك. لم يكن ذلك يعني انه كان يأتي لرؤية شرلي. وقد يكون سبب ذلك ببساطة أن عمها مارتن هو رئيسه في العمل. وبرغم انهما كانا يجدان الكثير من الأمور ليتحدثا بها دائماً في خلال تلك الأماسي، لم يكن الحديث يتطرق إلى الأمور الشخصية، مجرد حديث حول السياسة والكتب والعلاقات الاجتماعية.

حدث ذلك كله بالطبع، قبل حفلة رأس السنة التي اقامتها الشركة...

وربتت يد صغيرة على ذراعها وقد سألتها فتاة صغيرة قلقة: «ألم تسمعي رنين الجرس يا آنسة كولينز؟»

كان الأطفال قد اصطفوا عند المدخل، ينتظرونها لتقودهم إلى الداخل. هزت شرلي رأسها لاستغراقها في تلك الأفكار.

كان قرارهما الاسراع في الزواج أمراً حسناً، حتى وان تسبّب بوقوع كارثة في جدول اعمالها طوال الربيع. فالقيام بمراسم الزواج وقضاء شهر العسل في عطلة الربيع المختصرة ليس بالامر السهل. لكنه أمر يستحق بذل الجهد. كان يوم الخميس المقبل هو آخر يوم من الدراسة قبل بدء العطلة. فيوم الجمعة تقوم بجولة تسوّق أخيرة، وتتناول فيه الغداء بصحبة الشاهدة وتدخل بعده الحمام للتدليك وطلي اظافرها. فالسبت هو يوم الزفاف وعندها يكون لديها اسبوع كامل بمفردها مع سبانس في ناساوا في منتجع أكدت لها الخالة شارلوت انهما لن يريا فيه احداً ان لم يرغبا في ذلك، ما عدا المسؤول عن خدمة الغرف.

أسبوع بكامله من دون أن يتطفل عليهما أحد أو يعكر صفوهما شيء. أسبوع من السعادة...

تباً، فكرت. ستضطر إلى تمديد عطلتها من أجل قضاء أسبوع كامل في ناساوا. وبما انها لن تعود عندما يعاود الطلاب مزاولة دروسهم. فعليها أن تحضر الدروس سلفاً لتعطيها للمعلمة التي ستأخذ مكانها لعدة أيام. كيف استطاعت أن تنسى ذلك تماماً؟

ببساطة، منذ رأس السنة لم يكن متسع في تفكيرها لأي شيء سوى سبانس.

بعد ما دق الجرس معلناً نهاية اليوم الدراسي، جلست شرلي إلى طاولتها مرة أخرى وبدأت تعد خطة لتبقي صفاً كاملاً مليئاً بالأولاد الفضوليين بأسئلتهم، منشغلا طوال يومين كاملين.

أطلت ايمي هوول من الباب بعد نصف ساعة وقالت: «أما زلت في صراعك مع الكتب؟»

أبعدت شرلي نظارتي القراءة عن عينيها ودلكت مؤخرة أنفها، ثم قالت: «ادخلي يا ايمي. هل تعتقدين أن بديلتي تستطيع التعامل مع تلاميذي الصغار؟»

أجابتها ايمي: «ذلك يعتمد على من تكون.» وجلست على أحد الكراسي الصغيرة في الصف الامامي ونظرت إلى العلبة الملفوفة بورقة لماعة على زاوية طاولة شرلي ثم سألتها: «ألم تفتحي العلبة بعد؟»

أجابتها: «خشيت ذلك، إذ ربما مرّ مدير المدرسة وتوقف هنا.»

قالت ايمي: «هيا، سأراقب الممر، إني اتحرق شوقاً إلى رؤية ردة فعلك.»

قالت شرلي: «ذلك سبب آخر منعني من فتحها.» لكنها قصت الشريط ونزعت الورقة اللماعة عن العلبة وكان مطبوعاً على أعلى العلبة علامة «منزل الأحلام» وتساءلت شرلي: «قميص نوم؟ قولي الحقيقة، يا ايمي.» ورفعت غطاء العلبة وكان في داخلها، وقد وضب داخل عدة ياردات من الورق الأحمر اللماع والرقيق، أقصر قميص نوم أسود وأكثر شفافية رأته شرلي في حياتها.

قالت ايمي: «حسن؟» ورفعت القميص من شرائطه الرفيعة

وأضافت: «ماذا تظنين سبانس يقول عندما يراك وأنت تخرجين من الحمام مرتدية هذا القميص ليلة زفافك؟ أو في شكل أوضح، ماذا تعتقدين انه قد يفعل؟» وقهقهت وتابعت: «الحقيقة يا شرلي ان وجنتيك تتوردان احمراراً.»

«انه انعكاس لون الورق الشفاف.»

«لا، انه ليس كذلك. هيا، يا حلوتي، انك ستتزوجين ذلك الرجل. لا تكوني خجولة جداً.»

فكرت شرلي: لم يكن ذلك هو الحال مطلقاً. الحقيقة ان المرأة تفضل أن تنتظر ألا تكون، حتى ليلة زفافها، محتشمة جداً. ولا يعني ذلك انها لم تمر بوقت حاولت فيه السيطرة على احاسيسها. لم يكن ايضاً لدى شرلي سبب لتقلق من رغباتها. لقد مرت بأوقات عدة في الشهرين المنصرمين وكادت في خلالهما أن ترمي برزانتها في مهب الريح... لكن سبانس كان متفهماً بالطبع سبب اهمية هذا الامر بالنسبة اليها.

وقد لا يُقدر احاسيسها تماماً.

فكرت شرلي وقد لمعت ابتسامة في عينيها: لكنه متفهم ذلك.

على أي حال لم تكن لتحاول تفسير ذلك لايمي التي قد تستهجن الفكرة جداً، لأنها امرأة قد مضى على خطبتها شهران ولم تسمح لخطيبها بالتمادي معها بعد.

وبدا ان ايمي اعتبرت السكوت الذي ساد، الاجابة الوحيدة التي ستحصل عليها. فأخذت القميص الحريرية السوداء من يد شرلي واعادتها إلى العلبة. وقالت: «عليك أن تخبريني ان كانت تتناسب واسمها. فإنها تدعى القميص الخاتم، لأنها

رقيقة جداً حتى انك تستطيعين سحبها من خلال خاتم زواج الرجل.» تجهمت قليلاً ثم أضافت: «لكن، فكري في ذلك، ان كان الرجل يلبس خاتم زواج...»

قالت شرلي: «عليه أن يضعه في أصبعه بدلاً من استعماله لتجارب ثياب النوم، الا تعتقدين ذلك؟» وتساءلت ان كان ذلك العمل المثير قد ينجح. خامرها شك في ذلك. فالشريط كان ناعماً وشفافاً جداً. بالاضافة إلى ذلك، لقد قاست بمرح خاتم زواج سبانس عندما ابتاعته. لقد كان واسعاً وثقيلاً واوسع مرتين من خاتم خطبتها الناعم. طوت بترتيب القميص المزين بالشرائط ووضعته في العلبة وقالت: «شكراً، يا عزيزتي، سأخبرك بردة فعله، في حدود المعقول.»

ضحكت ايمي ضحكة عريضة وقالت: «أرجو، من اجلكِ، الا يخيب ظني.» ومدت يدها وأمسكت بالاطار الصغير الذي يحتوي على صورة فوتوغرافية على زاوية طاولة شرلي وأضافت: «إنه رجل بهي الطلة. لقد كنت ضعيفة دائماً أمام رجل له غمازة على ذقنه.» وأعادت الاطار إلى مكانه على الطاولة.

دغدغت ابتسامة سبانس الدافئة قلب شرلي فلم تستطع إلا أن تبتسم في المقابل. كانت ايمي على حق، إنه رجل لطيف، ذو شعر أسود وملامح أغريقية رائعة. وكانت تلك الملاحظة عن الغمازة في ذلك الذقن القوي غير متوقعة، بالطبع، لكن شرلي، أيضاً كانت تشعر بنقاط ضعف أمام الغمازات لدى الرجال على الأقل، وأمام تلك الغمازة خاصة.

لكنها لم تقع في حبه من جراء ملامحه الجميلة وغمازته،

بل من جراء أشياء مثل بريق عينيه الرماديتين، الذي كان قوياً جداً، حتى في الصورة، وهو ما جعلها تستجيب له. وتذكرت كيف أنه بدا عابثاً ذلك النهار الذي التقطت له فيه هذه الصورة. كانت قد توقفت امام محل منتجات هدسون في يوم دافىء، على غير عادة، من شهر كانون الثاني وهي تحمل سلة للنزهة ودعوة مختلسة ساعة الغداء. خرج سبانس من مكتبه وانحنى فوق مكتب سكرتيرته وقد لفّ ذراعيه على صدره وارتدى كنزة كشمير رمادية اللون وجميلة جداً، عندما تناولت شرلي آلة التصوير من السلة...

سألتها ايمي: «الا تزعجك؟ أعني سكرتيرة سبانس.»

نظرت شرلي إلى شخص غير واضح تماماً ظهر في طرف الصورة وقالت: «وندي؟ بالطبع لا.»

«إنها جذابة جداً.»

قالت شرلي بصوت مثير جداً: «وإني كذلك، اذا لم تلحظي ذلك، يا عزيزتي.» ومررت أصابعها من خلال شعرها الأشقر الذهبي بإيماءة مثيرة، وطرفت رمشيها تأكيداً لذلك.

ضحكت ايمي وقالت: «خاصة بالقميص الأسود. إني اراهن على ذلك. ماذا ستفعلين في عطلة الأسبوع هذه؟ هل تستريحين في انتظار موعد الزفاف؟»

«أخشى الا يكون من مجال للقيام بذلك. ما زال عندي أشياء كثيرة يجب أن افعلها. ومن المفترض أن الخالة شارلوت ستساعد في تقديم الحلوى في حفلة زيادة رأسمال المنح المدرسية نهار السبت. لكن...»

قالت ايمي: «لكنها لا تشعر بالارتياح، لذا عليك القيام بذلك بدلاً منها؟ بصراحة يا شرلي، انها دائماً تجعلك تقومين

بالاشياء التي لا ترغب هي القيام بها، بذريعة أنها لا تشعر بالارتياح.»

قالت شرلي: «إنها عادة لا تفعل ذلك. بعد تلك الحادثة التي المت بها منذ بضع سنوات، فمن الغريب أن تشعر بالقدرة على القيام بأي شيء. أضيفي إلى ذلك، انها والعم مارتن يفعلان الكثير من أجلي مما يجعلني أحل مكان شارلوت في تقديم الحلوى بين الحين والآخر.»

تمتمت ايمي قائلة: «اعتقد ان ذلك صحيح. كان في امكانها التخلي عن كل ذلك.» ونهضت عن الكرسي الصغير وهي تتأوّه ثم قالت: «من الأفضل أن أذهب لإنهاء تحضير الدروس أنا أيضاً، خمّني ماذا سأفعل طوال عطلة هذا الأسبوع؟»

قالت شرلي بصراحة: «أخشى ان أقول ذلك.» وأعادت لبس نظارتيها وفتحت كتاباً.

«سأفكر جدياً في ما قد اهدي إليك وإلى سبانس في حفلة زفافكما.»

جمعت شرلي إحدى الأوراق وقذفتها بها. تفادت ايمي الضربة واتجهت نحو الباب وهي تبتسم ابتسامة عريضة.

كان هواء آذار اللطيف مُضَلِلاً بالنسبة إلى شمالي آيوا، وقد حمل النسيم أول بشير خاطىء للربيع، في ذلك المساء بينما كانت شرلي تسير نحو المنزل، شعرت بأن معطفها الصوفي الطويل ثقيل جداً؛ كادت تخلعه، لكنها لم تكن راغبة في حمله. إذا استمر الطقس على هذا النحو من الدفء طوال عطلة نهاية الأسبوع، انتشرت حمى الربيع المتفشية،

بسرعة في المدرسة. وسيبدو الأسبوع القادم، قبل بدء العطلة، طويلاً جداً بالفعل.

رأت شرلي عدداً من طلابها الذين يقيمون في الجوار على الطريق. وكان ذهابهم وايابهم يبدو كعمل شرطي يقوم بنوبته في الحراسة. ولفت انتباهها أن تلامذتها مجرد أولاد صغار. كذلك لفت انتباهها أمر آخر قبل أن يغدو مشكلة في المدرسة كتنافس الأخوة والأقارب مثلاً، أو الحافلة المتنقلة التي تقف خارج منزل هوليسترز. هل يعني ذلك أن والدة آمبر هوليسترز قد نَفذَتْ تهديدها القاسي بأن تترك زوجها واطفالها وتعود إلى الساحل الشرقي؟ واتخذت شرلي في سرها قراراً بأن تتحقق من ذلك صباح يوم الإثنين. لقد بدا آمبر حزيناً جداً اليوم...

تجاوزت شرلي الزاوية إلى ما تدعوه ايمي: «منطقة المنازل الفخمة» كانت هناك مزارع، ومساكن مستقلة، ومنازل من طابق واحد تقع بين المدرسة في وسط المدينة ومنزلها. كانت في معظمها مرتبة ومتقنة وكانت جميعها واسعة، لكن لم يكن أي منها يضاهي منازل مديري المؤسسات التي كانت ممتدة في الشوارع الواسعة والزوايا التي تبعد قليلاً عن وسط المدينة، وكان بعض هذه المنازل دوراً تقليدية.

كان منزل شارلوت ومارتن هدسون واحداً من هذه المنازل. كان منظره الخارجي يوحي خطأ بأنه منزل بسيط، مجرد طابق واحد عند زاوية أحد المباني بعيداً عن الشارع. في الواقع، لا يستطيع المارّ بالشارع الذي ينظر من خلال السياج الطويل، رؤية الكثير من المنزل ذي القرميد الرمادي

الباهت والشبابيك الناتئة ذات الإطار الأسود. وكان من المستحيل عليه رؤية المباني الأخرى التابعة للمنزل بسبب الأشجار والشجيرات والأغصان التي تحيط به، فقد كانت جميعها، المرأب والبيت المحيط بالبركة وكوخ البستاني، تبلغ مساحتها عدة هكتارات مختبئة بعيداً.

توقفت شرلي امام بوابة جديدة متقنة الصنع واخذت تبحث في جيب حقيبتها عن المفتاح. هذا الممر الجانبي للمنزل لم يكن يستعمل إلا نادراً في خلال السنوات القليلة الماضية، لكنه كان الطريق الأقصر الذي يُوصل إلى كوخ البستاني، المنزل البسيط والمريح الذي اصلحته شارلوت ومارتن من أجل اللذيَن سيتزوجان عما قريب.

وقالت شرلي في نفسها، سأضع هذه الهدية الصغيرة المذهلة التي قدمتها الي ايمي هنا الآن، فلا أجازف في شرح قصتها للخالة شارلوت.

ان رأت شارلوت، بتفكيرها التقليدي، تلك الغلالة الرقيقة السوداء، فإنها سَتُصدمُ بالتأكيد. ولا تستطيع شرلي الدخول إلى المنزل وهي تحمل هدية من دون أن تُري محتوياتها للخالة شارلوت، لأن ذلك يجرحُ مشاعرها. فقد كانت متأثرة جداً هذه الأيام وكانها العروس في استمتاعها بالهدايا التي قُدمَتْ إلى شرلي، وبما تخطط له والترتيبات التي تقوم بها.

وستتمكن شرلي، بالإضافة إلى ذلك، من أن تتوقف في الكوخ لرؤية بقية الأثاث الذي وُعدت بوصوله اليوم. والأمر الأكثر أهمية هو أن سانس قد يكون هناك، أيضاً. لقد أخبرها أنه قد يحضر بعض الأشياء من شقته بعد إنهاء

عمله، طالما أن عمال النجارة والدهان قد انهوا عملهم.

مجرد التفكير في سبانس جعلها تشعر بحرارة في وجنتيها. قد يمكنهما الحصول على بعض الخصوصية في الوقت. فبعد أسبوع، بالطبع، يكون كل الوقت ملكهما معاً، لكن ادراك ذلك لم يكن ليكفيها اليوم. لم يكن ذلك لأنها تغار عليه تماماً، أو لأنها غير راغبة في أن تتشاركه وبقية الناس. لكن الآن كل شيء معقد وهناك الكثير للقيام به ولا يبدو أن هناك وقتاً كافياً. لذا كان من الجميل أن تجلس معه هناك على الكرسي الجلدي الجديد المزدوج وتسترخي بين ذراعيه وتتحدث معه قليلاً. أو قد لا تتكلم، فكرت وهي تبتسم وقد تذكرت الطريقة التي قبّلها بها مساء أمس قبل أن يذهب إلى النوم.

كان الكوخ يشبه منزلاً كبيراً لِلَعِبِ الأولاد. فالسقف منخفض وقد بُني من القرميد الرمادي الباهت اللون. وكانت معالمه مميزة مع النافذة الناتئة والباب الأمامي. وقد كانت رائحة الدهان الخمري اللون ما زالت تنبعث منهما.

نظرت شرلي تلقائياً في داخل صندوق البريد البرونزي اللون إلى جانب الباب الأمامي. وكان يقصد به منظره أكثر من استعماله الحقيقي، ذلك أن أبواب المنزل كانت مغلقة دائماً وصندوق البريد الحقيقي كان عند المدخل الرئيسي. وقد كان هذا مليئاً بخيوط العناكب، يوم نظرت في داخله لأول مرة مع سبانس. ولربما ذاك هو السبب الذي جعلها تفكر في استعماله لنوع خاص من الرسائل.

كان في الصندوق مغلف، وبينما كانت تسحبه شعرت

بمزيج من الفرح والحزن. لقد أحبت دائماً الرسائل التي كان يتركها لها سبانس في الصندوق، فقد كانت تتضمن أشياء جديدة ومضحكة ومذهلة. لكن وجود هذه الرسالة هنا يعني انه قد جاء إلى هنا وذهب؛ وقد أصابها ذلك بخيبة أمل. لا بد أنه ترك عمله باكراً. لو أنها لم تتأخر في تحضير الدروس!

وضعت المغلف في جيب معطفها وفتحت الباب بحذر كي لا تخدش الدهان الذي لم يجّف تماماً بعد. ولاحظت على الفور، عند دخولها من البهو الصغير إلى غرفة الجلوس المريحة، الكرسي الجلدي المزدوج. لقد وضعه العمال الذين اوصلوه في زاوية مناسبة. ظهرها إلى الباب في شكل زاوية قائمة مع المدفأة، كما كانت تنوي وضعها. لكن ذلك كان من السهل القيام به.

ثم لاحظت متأخرة رأس سبانس. كان يجلس على الكرسي المزدوج، لا يمكن أن تخطىء تماوج شعره البني الداكن أو شكل رأسه الارستقراطي.

أو الشعر الأنثوي الطويل اللامع المنتشر على كتفه.

فغرت شرلي فمها، لكنها لم تستطع أن تنبس ببنت شفة وفي اللحظة التي كانت واقفة فيها هناك، مشلولة الحركة وغير قادرة على التنفس، قال سبانس: «لا يمكن أن يستمر الأمر كذلك يا وندي.» كان صوته أجش وخفيضاً.

لم يكن ذلك الاسم غريباً عليها. لقد استطاعت شرلي تمييز تلك الخصلة الرائعة من الشعر الأسود؛ فقد رأتها على أي حال منذ أقل من ساعة في الصورة التي على طاولتها.

برغم أن الصورة لم تكن مركّزة عليها. وبرغم أن عينيها قد اغرورقتا بدموع الغضب، فعيناها لا تخدعانها. إنها سكرتيرة سبانس.

سألتها ايمي بعد ظهر هذا اليوم: الا تزعجكِ؟ بدا السؤال من دون أهمية، لكن هل كان كذلك فعلاً؟ وشعرت شرلي بخفقات قلبها تطن في أذنيها. هل تعرف ايمي شيئاً؟ أو تشتبه في شيء ما؟ هل يعرفون كل فرد في منطقة هاموند بأن سبانس غرينفيلد على علاقة بسكرتيرته؟ الجميع يعرف ذلك، ما عدا شرلي!

حاولت أن تتكلم من جديد. ونجحت محاولتها هذه المرة فقالت: «لقد وصلتني رسالتك يا سبانس.»

تراجع الكرسي المزدوج إلى الوراء فيما قفز سبانس على قدميه واستدار نحوها.

أخذت شرلي تنظر إليه ببطء. كان قد خلع سترته وربطة عنقه. وكانت ياقة قميصه غير مزررة وكماه مطويين إلى فوق. شُحُبَ لونه وبدت غمازة ذقنه أعمق. لكنه بقي وسيماً كما كان من قبل، لأن وسامته تكمن في تكوين عظامه وفي عينيه الكبيرتين الرماديتين الجميلتين.

غير أنّهما لم تكونا تلمعان بأي بريق عابث الآن.

تقدمت خطوة إلى الأمام، وضعت يدها على الجلد الناعم ونظرت نحو وندي تايلور التي كانت ترتدي قميص نوم حريرية حمراء اللون.

على الأقل انها ليست واحدة من قمصاني، فكرت شرلي في ذلك.

ونظرت إلى سبانس من جديد وقالت: «هل اعتقدت أنك اذا

تركت رسالة فسأخذها وأمضي إلى المنزل الكبير، عوضاً من الدخول إلى الكوخ؟»

قال: «شرلي» وبدا وكأن شيئاً صلباً قد سقط على صدره.

تهدج صوت شرلي بينما اجتاحها الغضب من خلال صدمتها الأولى. وقالت: «اللعنة يا سبانس! أفي منزلنا، وعلى كرسينا المزدوج!»

قال: «لطفاً يا شرلي. استطيع شرح ذلك.»

كانت المرأة التي تجلس على الكرسي المزدوج، ممسكة بذراع سبانس وقد بدت ملامح التوتر على وجهها. فقالت: «لا، لا يمكنك ذلك، يا سبانس.»

نظر إلى وندي وعض على شفته.

قالت شرلي بصوت منفعل: «يبدو أن هناك اختلافاً في الرأي، ورغم أني أمقت قول ذلك، فأنا أوافق وندي الرأي في هذا الشأن. لا أرى كيف يمكنك توضيح الأمر. لكنني مصغيَة إليك. دعنا نسمع منك.»

بقي سبانس صامتاً وتحرك من مكانه متنحنحاً. لكنّه لم يتكلم.

كان صوت شرلي هادئاً او يكاد عندما قالت: «أليس عندك ما تقوله؟ اعتقد أني لم أفاجأ بذلك.» ثم ادارت له ظهرها، واتجهت نحو الباب الخمري اللون، وخرجت منه واغلقته بقوة وراءها. ثم ركضت عبر الممر الضيق في اتجاه المنزل الكبير. كانت رئتاها تؤلمانها من الاجهاد في الوقت الذي دخلت فيه إلى البهو الأمامي وصفقت الباب. وضعت معطفها وحقيبتها في خزانة الضيوف من دون أن تحفل كيف وضعتهما ونزلت

الدرجتين اللتين توصلانها إلى قاعة الجلوس بقفزة واحدة.

ومن الزاوية المضيئة بأشعة الشمس عند طرف الغرفة ومن دون أن تراها قالت شارلوت هدسون: «يا عزيزتي، شرلي، السيدة المحترمة لا تصفق الأبواب هكذا.»

جمعت شرلي نفسها باقتضاب. لا يمكنها أن تتصرف بهذه الطريقة وتتوقع من شارلوت أن لا تستاء وتطلب تفسيراً لذلك. والآن، كان آخر شيء ترغب القيام به هو محاولة تفسير أي شيء للخالة شارلوت لم تستطع هي نفسها بعد أن تتآلف معه. لو أنها تستطيع الذهاب إلى غرفتها. لو أنها تستطيع التفكير في ما حصل قبل أن تواجه أي شخص على الاطلاق...

لم تكن لتحصل على مثل هذه الرفاهية. فقد فُتِحَ الباب، بعد لحظة وقال سبانس صائحاً: «تباً لك يا شرلي. الا تريدين حتى الاستماع الي؟»

استدارت شرلي لتواجهه. كان شعره أشعث وتساءلت ان كان ذلك سببه الريح أو أن وندي مررت اصابعها به في محاولة لإبقائه إلى جانبها؟

قالت له: «هل أتيحت لك فرصة لتؤلف قصة؟ اعتقدت أنك ربما ما زلت تتجادل مع وندي في ما اذا كان عليك ان تحاول تفسير ذلك.»

حكّ سبانس مؤخرة عنقه.

واضافت: «لا اعرف كيف تتوقع مني أن اصدق ان ما جرى كان بريئاً يا سبانس، فانا أعرف ماذا رأيت!»

قدمت شارلوت هدسون من الغرفة المشمسة خلف الزاوية

وهي تتكىء على عصا سوداء اللون معقوفة. وقالت بلهجة صارمة: «عزيزتي، شرلي. عليّ حقاً أن اعترض على نبرة صوتك. السيدة المحترمة لا تسمح لنفسها بأن تبدو كبائعة سمك!»

قالت: «مهما كانت الظروف، يا خالتي شارلوت؟». رأت الصدمة في عيني سبانس فرفعت رأسها قليلاً واضافت: «اعتقد أن عليّ أن اكون مسرورة لأني لم أجدك معها في مخدعنا، يا سبانس. عدا أنك لا تستطيع ذلك بالطبع، لأنها لم تُسلّم بعد. هل تمّ تسليمها؟»

وضعت شارلوت يدها على صدغها وتأوّهت.

غضبت شرلي من نفسها لأنها نسيت، ولو للحظة، صحة شارلوت المتدهورة. نادت مدبرة المنزل فحضرت ليبي على الفور، حتى ان شرلي فكرت انها كانت تسترق السمع من وراء باب المطبخ.

ساعدت مدبرة المنزل شارلوت في الوصول إلى الأريكة، حيث غرقت بين الوسادات. وتمتمت قائلة: «مارتن، احضري مارتن، من فضلك. انه في مكان ما في الحديقة.»

لكن مارتن تبع ليبي قادماً من المطبخ. كان يرتدي ملابس العمل في الحديقة وعلى رأسه قبعة صيادي السمك، قديمة وباهتة اللون. انحنى فوق زوجته وامسك بيدها المترهلة بين يديه وقال: «إني هنا. هنا، يا شارلوت. خففي من غيظك. خذي نفساً عميقاً واسترخي.»

كانت شارلوت مضطربة فعلاً. هذا ما فكرت فيه شرلي. فهي لم تقل لمارتن ان عليه أن يخلع قبعته داخل المنزل.

خجلت شرلي من نفسها لمجرد تفكيرها بتلك الطريقة.

لقد كانت شارلوت متضايقة بالطبع، لديها سبب كافٍ لتكون كذلك. لكنها كانت محقة في أمر واحد على الأقل، بأن الصراخ لا يحل هذه المشكلة.

استقامت شرلي في وقفتها واستدارت لتصبح في مواجهة سبانس. كان يقف على أعلى الدرج المسطح الذي يفضي إلى قاعة الجلوس وكأنه يوازن نفسه على حافتها تقريباً.

قالت: «إني مصغية اليك. هيا فسّر الأمر.»

ابتلع سبانس لعابه وحوّل نظره عنها نحو الشخصين الجالسين على الأريكة، وظهر في عينيه التماس صامت عندما نظر إليها ثانية.

قالت بهدوء: «إنهما لا يعرفان التفاصيل بعد، لكن وفقاً للظروف الحالية يجب أن يعرفا ما حصل يا سبانس. لن احميك من شيء حتى ولو كان في امكاني ذلك. عليك أن تُفسّر لهما ذلك أيضاً والآن.» وتهدّج صوتها قليلاً وهي تضيف: «أخبرني اذاً، يا سبانس. لماذا كنت في منزلنا مع امرأة أخرى وهي بين ذراعيك؟»

وجدت نفسها تحبس أنفاسها. كما بدا ذاك المشهد اللعين، أيمكن أن يكون هناك تفسير بريء لوجود وندي في الكوخ وهي شبه عارية، ولما قاله لها سبانس؟

نَظَرَ ثانية إلى مارتن وشارلوت وتقدم خطوة إلى الأمام نحو شرلي. كان وجهه شاحباً جداً وخالياً من أي تعبير. قال: «ثقي بي، يا شرلي، ان الأمر ليس كما تتصورين.»

كان ذلك كل شيء. انتظرت بينما ساد الصمت إلى ما لا نهاية. وفيما كان مارتن يُهوّي بصحيفة على وجه زوجته

أسرعت مدبرة المنزل لتحضر كوباً من الماء. وبعد ما مرت دقيقة كاملة وكان من الواضح ان سبانس قد قال كل ما يريد قوله، استجمعت شرلي قوتها وقالت بهدوء: «ذلك هو ما تدعوه تفسيراً؟ مجرد قولك: «ثقي بي يا شرلي؟»

ومن دون أن يتحرك قال: «هذا كل ما استطيع قوله.»

قالت بتأمل: «وتقول ان الأمر ليس كما أعتقد. اليس هذا ما يقوله كل رجل عندما يُقبض عليه بالجرم المشهود؟ تَوَقَّعْتُ منكَ شيئاً مُقنعاً أكثر، يا سبانس.»

اعتقدت انه لا يمكنه أن يقول أي شيء آخر. لكنه قال بصوت منخفض: «هل تحبينني، يا شرلي؟»

إنها تحبه بالطبع، كانت على وشك الزواج منه.

رطبت شفتيها وسألته: «وأي علاقة لذلك بالأمر؟»

كان واضحاً انه لاحظ التهدج في صوتها فقال: «إن كنتِ تهتمين بي حقاً...»

قاطعته قائلة: «فلا أهمية اذاً لما فَعَلتْ؟» وكانت تشعر أنها تكاد تفقد السيطرة على نفسها وأنها تكاد تنفجر.

قال: «إن كنتِ تحبينني كفاية فيجب عليك الأخذ بصدق كلامي.»

قالت: «إن كنت أحبُكَ كفاية؟ كيف تجرؤ على جعل الأمر وكأني أنا المخطئة؟» وعضت شفتها بقوة ثم أضافت: «لكنك على حق، يا سبانس. ان لم يكن في إمكانك تفسير ذلك فلا اعتقد أني أحبك بما يكفي لأصدق كلامك في هذا الشأن.»

تجمدت عيناه وقال: «اذاً، من الأفضل أن ننفصل الآن، أليس كذلك؟»

قالت: «بالتأكيد.» ولم تنظر شرلي إلى خاتمها الماسي، الخاتم الذي كانت فخورة به جداً، وهي تسحبه من اصبعها. لم يتحرك سبانس ليأخذه منها ولم تعتقد انها تستطيع أن تلمسه. لذا فقد وضعت الخاتم على طاولة الغرانيت عند نهاية الدرج المسطح. دار الخاتم قليلاً حول نفسه ليهتز الذهب الخالص على الحجر البارد قبل ان يهدأ أخيراً.

انتظر ريثما ابتعدت، ثم نزل الدرجة الأخيرة، والتقط الخاتم والقاه من دون اهتمام في جيب قميصه. وقال بصوت متهدج: «لا تزعجي نفسك بمرافقتي إلى الباب، سأتدبر أمر نفسي.»

وفي الوقت الذي استدارت فيه شرلي لترد عليه بحدة، كان قد رحل.

فكرّت. هكذا أفضل، على أي حال: لم يبق هناك شيء يَستَحِقُ أن يُقال.

الفصل الثاني

تردد صدى صفق الباب الخشبي الأمامي في أرجاء المنزل حتى بدا لشرلي أن النوافذ ستتحطم تحت تأثير ذلك الارتجاج.

جفل مارتن من ذلك الصوت ونظر بتجهم إلى شرلي وسألها: «ماذا يجري هنا بحق جهنم؟»

قالت شارلوت: «مارتن، أرجوك انتبه إلى كلامك.»

وقفت شرلي إلى جانب الأريكة وقالت: «اني آسفة، يا خالتي شارلوت. لم أقصد التسبب بازعاجك من جراء ذلك.» ثم تنهدت بعمق وأضافت: «أعتقد اني... كانت الصدمة شديدة.»

سأل مارتن بانفعال: «ما سبب هذه الصدمة؟»

قالت شارلوت: «رؤيتها سبانس مع امرأة أخرى، بالطبع. ما بالك، يا مارتن؟ ألم تسمع ما جرى؟» ورفعت يدها النحيلة البيضاء لتربت على وجنة شرلي. وأضافت: «إني أتفهم ذلك تماماً، يا عزيزتي. لقد صُدمت بالطبع.»

إلا أن مارتن قال: «اني متأكد من أن ثمة تفسيراً لذلك.»

قالت شارلوت: «لا تكن ساذجاً. هناك تفسير من دون شك، التفسير واضح.» ثم تحركت بتعب وأضافت: «لو انك تساعدني لأجلس الآن...»

بدا أن مارتن لم يسمع ما قالته. فقال: «سبانس؟ مع امرأة أخرى؟ شرلي، بعد أن يهدأ فمن، الأرجح أنكما ستجدان أن الأمر كان مجرد سوء تفاهم سخيف.»

www.elromancia.com

قالت شارلوت وقد بدأ صوتها يعود إلى طبيعته الآن: «لا تكن سخيفاً.» ثم تابعت: «لقد فعلت شرلي الشيء الوحيد الذي يمكنها القيام به في ظل الظروف الحالية، الانفصال عن ذلك الشاب الآن، لو أنك تعطيني ذراعك، يا مارتن...»

قال: «لكنهما يا شارلوت حتى لم يتحدثا عن ذلك.»

لم تكن شرلي قادرة على تصديق ما كانت تسمعه. لقد رأت خطيبها لتوها وهو يعانق امرأة أخرى فيما مارتن وشارلوت يتشاجران حول ذلك! أليست خطبتها التي فسخت، وزفافها الذي سيُلغى، ومع ذلك هما...»

أخذت ترتجف عندما استوعبت مدى خطورة ما حدث، فالمسألة لم تعد فقط مسألة زفاف سيُلغى، إنما زواج برمته.

ربت مارتن على ذراعها بعطف وقال: «فكري في الأمر. يا عزيزتي ولا تستبقي الحكم على الأمور. سنجلس هنا ونناقش الأمر. وعندما تهدئين أتصل بسبانس هاتفياً وأطلب منه العودة إلى هنا.»

قالت شرلي بيأس: «أرجوك. اني ممتنة لاهتمامك، لكني أفضّل حقاً أن أجلس وحدي لحظة.»

بدا مارتن وكأنها قد جرحت مشاعره.

جهدت شارلوت لتسوّي جلستها على الأريكة. ثم قالت: «بالطبع، يا عزيزتي. اذهبي واستريحي. سأرسل إليك مع ليبي شيئاً يساعدك على الاسترخاء.»

لم تُجبها شرلي. كان عليها أن تركز تفكيرها جيداً فقط لتتجه عبر قاعة الجلوس الواسعة، وتصعد الدرجتين لتعبر

الرواق إلى غرفة نومها. اغلقت وراءها باب غرفتها فيما اتكأت عليه وهي تتنهد بارتياح.

قالت في نفسها، ان نيتهما حسنة. يجب ألا تفاجأ ان كان مارتن يريد أن يدرس المشكلة ويحللها، أو اذا كانت ردة فعل شارلوت المباشرة أن تعالج المشكلة من جذورها. وكأنهما لم يدركا بعد ان كل المشكلات ليست قابلة للتجاهل أو التحليل.

أحياناً، فكرت شرلي، أنهما لا يقويان إلا على العيش فقط.

كانت ترتعش بشدة إلى درجة أنها استطاعت بصعوبة سحب اللحاف اليدوي الصنع عن الحاجز النحاسي عند أسفل سريرها. فبدا شرشف من الساتان مفروشاً فوق السرير بإهمال، ورمت بنفسها فوق الفراش ولفت اللحاف بصعوبة حولها، ناشدة الدفء تحته. لكن ذلك لم يساعدها كثيراً، فقد شعرت وكأن عظامها قد تجمدت.

كانت شرلي تعرف ان مارتن وشارلوت يحبانها، ولم يكن ذلك الأمر يشغلها. لكنهما لم ينجبا أولاداً، لذا لم يكن ادراكهما مثل معظم الأهل الذين يدركون ذلك، فيما أولادهم ينمون، بأنهم في بعض الأحيان ليسوا بحاجة إلى النصح أو التحليل وعدم التحاشي بالطبع. بل هم في حاجة إلى التربيت على ظهورهم بحنان وضمّهم اليهم ليشعروا بالراحة والأمان.

عظيم! فكرت شرلي، إن استمرت بالتفكير هكذا لوقت قصير بعد فستغرق في الاشفاق على نفسها وتتمنى لو انها لم تولد.

قرعت ليبي الباب ودخلت حاملة كأساً من الماء وقرصي دواء. جلست شرلي وتناولت كوب الماء، لكنها هزت رأسها رافضة تناول الدواء. لقد كان عند شارلوت عدة أنواع من الأقراص المهدئة والحبوب المنومة في الصيدلية. ولاحظت شرلي أن هذين القرصين لهما مفعول قوي، وسيجعلانها تنام حتى نهار الغد، لكن ماذا يُفيد ذلك؟

قالت مدبرة المنزل: «لا أعتقد انك بحاجة إليهما. لكن السيدة شارلوت أصرت على أن أحضرهما.»

قالت شرلي: «سأتخطى هذا الألم حتى نهار الغد.»

قالت ليبي بلطف: «ان ذلك أحياناً ليس بالفكرة السيئة. سأتركهما هنا في حال غيّرت رأيك، وسأحضر لك طعام العشاء في ما بعد.»

هزّت شرلي رأسها وقالت: «ذلك سيسبب لك المزيد من العمل، يا ليبي.»

فقالت لها: «لا يمكنك الاضراب عن الطعام.»

حاولت شرلي الابتسام وقالت: «سأتخطى ذلك. عليّ مواجهة عواقب الأمور أحياناً. يجب عليّ القيام بذلك الليلة وأنا لا أزال متأثرة.»

قالت مدبرة المنزل بجدية: «إنه لأمر حسن أنك كنت كبيرة نوعاً ما عندما أتيت للعيش معهما، وإلا فإنهما كانا حطماك بالاهتمام الزائد بالتفاصيل الصغيرة. فليس ما جرى الآن بالأمر البسيط فعلاً. انما يمكنك تخطي ذلك في شكل حسن.»

ولم تلحظ شرلي مغادرتها للغرفة إلا عندما كادت تصل إلى الباب لشدة نعومة وقع خطواتها على الأرض.

نادتها: «ليبي!» واستدارت المرأة نحوها وقد رفعت

حاجبيها استفساراً، فتنحنحت شرلي وقالت: «شكراً، أعني، اني أشكرك على ثقتك بي.»

أجابتها: «انك قوية وحساسة يا شرلي، وستعرفين كيف تخرجين من هذه الورطة.»

ابتسمت شرلي قليلاً. لو ان الخالة شارلوت قد سمعت ذلك الحديث والتقويم المجرد من العاطفة لكانت أصيبت بنوبة، ومن المرجح أنها كانت وبّخت ليبي لكونها غير عاطفية. لكن شرلي، من جهة أخرى، وجدت كلام ليبي مطمئناً جداً وان ثمة شيئاً قد تعيش لأجله.

فكرت بسخافة، ان سبانس كان ليقدر أيضاً النزعة التهكمية لذلك التناقض. عليها أن تخبره بذلك...

ثم استفاقت على الحقيقة من جديد. فقد نسيت للحظات قليلة أنها لن تخبر سبانس بأي شيء بعد الآن.

حاولت أن تبتلع الألم الذي كاد يخنقها، لكنها لم تنجح في ذلك وفكرت. كيف لك أن تفعل بي هذا يا سبانس؟

أخذت شرلي تنظر إلى سقف الغرفة. وبينما غمر الظلام المنزل، أخذت الأضواء التي تزيّن الحديقة تضيء الواحدة تلو الآخرى وكل منها ترمي عبر نافذتها بظلال الأغصان التي تحيط بها على ورق الجدران الناعم الذي يُغلف السقف الأملس. كانت الظلال تتحرك بسكون، تختلط ببعضها البعض وتعطي أشكالاً غير واضحة، أشكالاً كتلك التي تدور في رأس شرلي.

لو كان هناك أي تفسير منطقي، فلم لم يُطلعها سبانس عليه على الفور في الكوخ؟ ومن جهة أخرى، ان لم يكن هناك تفسير، فلماذا لحق شرلي إلى المنزل الكبير؟ ولكن

بعد ذلك، لو كان لديه أي عذر على الاطلاق، فَلِمَ لم يخبرها به عندما وصل إليها؟ لماذا لم يقل شيئاً سوى: ثقي بي، يا شرلي...؟

قالت شرلي قاطعة تفكيرها: «اللعنة. انه لمن السخف أن أعذب نفسي بهذه الطريقة!» لو كان هناك تبرير لتصرف سبانس، لكان أوضحه. وطالما أنه لم يفعل ذلك، فليس هناك أي تبرير اذاً. ان الأمر بهذه البساطة.

أمر واحد مؤكد. لقد تصرف وبدا مذنباً كما يمكن أن يكون أي رجل فعل ذلك.

برغم ذلك، حاول أن يجعل الأمر يبدو وكأنه الطرف المظلوم وكأن شرلي هي المخطئة!

حاولت أن تبعد عنها الشعور بالذنب الذي كان يزعجها وقالت في نفسها ان شعورها بالذنب غير منطقي على الاطلاق. لقد أمسكت سبانس بالجرم المشهود تقريباً، ومن الواضح انه شعر بالاستياء من ذلك الأمر إلى درجة أنه لم يستطع أن يواجه بشجاعة ما قام به. وكان عليه أن يلوم شخصاً آخر ليبرر تصرفه. ولقد فكر، على الأرجح، لو ان شرلي لم تدخل إلى الكوخ، لم يكن هناك من مشكلة. إذاً فلقد كانت غلطتها.

من جهة أخرى، لقد أخبر وندي بالتأكيد ان علاقتهما لا يمكن أن تستمر، ولعله شعر بصدق ان كل ذلك لا علاقة لشرلي به.

كان الايضاح بسيطاً، وحتى انه بدا وكأنه نوع من الجنون. وبرغم ذلك فكرت أن سبانس لا يفكر بهذه الطريقة. لم يكن ذلك الشخص الذي يتجنب المسؤولية أو

يتهرب من الأمور الصعبة. سبانس غرينفليد الذي عرفته...

توقفت شرلي لحظة وتساءلت بحزن: هل عرفت سبانس حقاً؟

انتظرت ليبي حتى آخر لحظة ممكنة قبل ان تنقر على باب غرفة شرلي لتخبرها ان العشاء أصبح جاهزاً. لذا، فإن شارلوت ومارتن كانا قد جلسا إلى المائدة عندما دخلت شرلي. عرفت بالطبع انهما كانا يتحدثان عنها لأنهما قطعا حديثهما فجأة في اللحظة التي دخلت فيها إلى غرفة الطعام.

بعناية مفرطة أكثر من المعتاد، نهض مارتن ليزيح لها الكرسي لتجلس عليه. وكانت شارلوت تعبث بمحرمة الطعام القطنية منتظرة حتى يعاود الجلوس في مكانه قبل أن تمسك بملعقة الحساء من أمامها.

حذت شرلي حذوها برغم توقعها ان الحساء الغني بالكريما قد يجعلها تختنق.

نفض مارتن محرمة الطعام بحدة، الأمر الذي أزعج شارلوت ثم قال: «لقد كنت أخبر شارلوت للتو، ان الزعفران قد أزهر والبنفسج على وشك أن يتفتح أيضاً، يا شرلي.»

شعرت شرلي ان الضيق في حلقها قد خفّ قليلاً. وفكرت داعية الله أن يبارك العم مارتن لأنه جعل الأمر يبدو أسهل قليلاً. ابتسمت له، وهي تفكر، أي تناقض بين ما هو عليه الآن وقد ارتدى سترته المخملية الزرقاء الداكنة اللون وبين البستاني القذر والشرير الذي كان عليه بعد ظهر هذا اليوم. لم يحاول ان يفعل شيئاً لاخفاء عمره، وفي الحقيقة، ان

شعره الرمادي والخطوط التي بدت في وجهه تمنحه فتنة مميزة، لم تكن موجودة في صوره عندما كان شاباً.

بينما كانت شارلوت تحاول منذ سنوات اخفاء حقيقة عمرها. فقد كان شعرها دائماً مُسرحاً ومصبوغاً باتقان، وطلاء الأظافر يزين دائماً أظافرها، وزينتها حسب آخر الابتكارات، حتى انها في الأشهر القليلة الماضية قد اعتمدت ارتداء الملابس ذات الياقة العالية لتخفي التجاعيد الظاهرة على عنقها.

كان يخامر شرلي، في بعض الأحيان، شعور بالبهجة ببعض الجهود التي تقوم بها خالتها لتحافظ على نضارتها لكنها غالباً ما كانت تشعر بالحزن عليها. فصحة شارلوت السقيمة قد حرمتها من عدة أشياء كان الجمال أقلها.

لقد ارتسمت بين حاجبيها، الآن، خطوط تشير إلى أنها متجهمة قليلاً. ورأت شرلي أيضاً ان خالتها لا تأكل جيداً.

وضعت شرلي ملعقتها جانباً ممتنة لذلك السبب الذي جعلها تتوقف عن ابتلاع الحساء. وقالت بهدوء: «ان كان لا مانع لديكما، أريد أن ننهي هذه المناقشة التي حصلت. أعرف أنكما أدركتما الفكرة في شكل عام بعد ظهر هذا اليوم، لكن ربما كان عليّ أن أخبركما ان سبانس كان في الكوخ...»

سألت شارلوت بحدة: «هنا على أرضنا؟»

أومأت شرلي برأسها ايجاباً وتابعت: «والمرأة...» ثم توقفت هنيهة. ان أخبرت مارتن عن اسمها، وندي تايلور، فإنها من دون شك ستُطرد من عملها في اليوم التالي.

حتى وان أرادت حماية وندي، فلم يكن هناك أي وسيلة

لابقاء ذلك الأمر طي الكتمان. فمدينة هاموند مدينة صغيرة جداً لاخفاء أسرار من ذلك النوع. وشارلوت لن تستريح قبل أن تعرف من كانت تلك المرأة، ثم ان أول شيء تفعله هو ان تخبر مارتن. لذا فإن بوح شرلي أو سكوتها عن اسمها لن يكون له أي أثر.

لن يفاجئها الأمر، بالطبع، ان كان نصف سكان المدينة يشتبهون في ما كان يجري. فلذا من الأفضل من دون شك أن تخبر شارلوت الحقيقة الآن من ان تدعها تسأل أعضاء النادي الذين قد يتهامسون، شفقة بالطبع، عن قصر نظر شرلي. وسيكون من الأفضل، بالتأكيد، أن تخبر مارتن ان لديه مشكلة في مكتب مدير مؤسسته من أن تتركه يسمع ذلك من رفاقه في لعبة الغولف.

نظرت شرلي إلى صحن الحساء وقالت بهدوء: «كانت المرأة سكرتيرته.»

قالت شارلوت: «وندي تايلور؟ لِمَ، الفتاة الوقحة! لقد قلت لك انها ليست طيّبة يا مارتن. لكن يجب أن أقول ان أمر سبانس يدهشني، ان يخاطر بعمله في شركة منتجات هدسون هكذا في حين أنك اعطيته فرصة رائعة للعمل.»

كانت تلك نقطة من المسألة لم تفكر فيها شرلي من قبل. بدا وكأن شارلوت تقول ان انغماس سبانس في علاقة مع أي امرأة هو أمر سيىء جداً. لكن ان يفعل ذلك في مقر عمله، هو الجنون بعينه.

أدركت وجهة نظر شارلوت وفكرت: سيّان بالنسبة عندي أكانت تلك المرأة وندي أو أفضل صديقاتي أو أي امرأة أخرى لا أعرفها حتى!

نظرت شرلي إلى مارتن. كانت وجنتاه شاحبتين على غير عادتهما، شاحبتي اللون ولأول مرة مذ عرفته. تهدج صوته كصوت رجل عجوز وقال وكأنه يحدث نفسه: «ساتحدث إلى سبانس في الصباح.»

حدّقت إليه شرلي وقد خالجها شعور بالخيبة والدهشة في آن معاً. من الواضح، أيضاً انه قد شعر أن المسألة معقدة أكثر مما اعتقد في البداية. وكان مشاعر شرلي ليست مهمة أبداً أمام تهديد سلامة شركة هدسون للمنتجات.

عادت إليها عقلانيتها بعد قليل. فمنذ قدوم سبانس إلى العمل في شركة هدسون للمنتجات، قبل عامين، كان مارتن يُعده لأن يتسلّم مقاليد الشركة ذات يوم. والآن وقد ارتفعت علامة استفهام حول الحكم على سبانس، فإن مارتن بالطبع سيعيد النظر في العبء الاضافي على العمل. فإنه لن يكون إنساناً ان لم يفعل ذلك. ردة فعله لم تقتصر على اهتمامه بشرلي، بل لأنه كان يحب سبانس أيضاً.

أحبه كما لو انه الولد الذي لم ينجبه قط. فكرت شرلي في ذلك.

لقد فكّرت في كل الاحتمالات التي يمكن أن تحدث لوندي، قبل أن تتكلم. لكنها لم تتساءل ان كان هذا سيتسبب أيضاً بفقدان سبانس لعمله.

سألت نفسها، لماذا يزعجها هذا الأمر؟ فكل ما فعلته هو أنها أطلعتهما على الحقيقة. ليست هي من قام بالاختيار السيىء. ان سبانس فعل ذلك بنفسه. ان كان حقاً ليس عنده أية فكرة على خطورة هذه الزلة وحماقتها فإنه يستحق أن يخسر مركزه، أليس كذلك؟

لم تُسكن المُشادة ذلك الشعور بالغثيان في معدتها.

أخذت ليبي، بمهارة وهدوء، صحون الحساء التي لم تمس تكد ووضعت على المائدة الوجبة الأساسية. نظرت شرلي إلى رقائق اللحم مع الخضر المقطعة الشهية وقد رُتبت في شكل رائع في طبق صيني وفكرت انها قد لا تكون قادرة على مواجهة هذا التوافق ثانية.

أمسكت شارلوت بالشوكة والسكين وقالت: «اني حزينة لما حصل، بالطبع، اعتقدت ان سبانس أكثر ثباتاً من ذلك. برغم أن الأمر مستغرب بالنسبة إليه، نظراً إلى ما كان معروفاً عن والده، ان يكون...»

قاطعها مارتن قائلاً: «هذا سخف، يا شارلوت، لقد كان جون غرينفيلد أحمق، لكن ذلك لا يعني ان سبانس كذلك، أيضاً.»

قالت شارلوت بحدة: «لقد كان جون غرينفيلد مخادعاً وكاذباً وكان في امكانه اقناع الشيطان بتصديق قصصه. مهما قلت يا مارتن، فهناك وصمة على العائلات أحياناً. لربما انه من الأفضل انها ظهرت علناً الآن قبل...»

توقفت شارلوت، ولكن كان من الواضح ان ما جال في خاطرها هو، قبل ان يصبح هناك جيل جديد ليحمل ضعف العائلة الوراثي.

أغمضت شرلي عينيها لحظة، محاولة اخفاء الألم الشديد الذي سرى في جسمها. وبدأت كلامها قائلة: «اعذريني من فضلك، يا خالتي شارلوت، لا أعتقد اني...» ودفعت بكرسيها إلى الوراء.

بينما كانت تغادر غرفة الطعام، سمعت شارلوت تضيف

قائلة: «على أي حال، يا مارتن، عندما تقدم المرأة المال في أي زواج، فلها الحق في أن تدير هي الدفّة. ومهما كان سبانس، فانه ليس ذكياً كفاية ان لم يلاحظ ذلك، أتعرف؟»

تعثرت شرلي في خطواتها وهي تسير نحو جناح غرفة النوم. عندما تقدم المرأة المال...

همست: «آوه، لا، ليس هذا هو الأمر.»

عرفت شرلي دائماً، في أعماق نفسها، أن مارتن وشارلوت يعتزمان أن تستفيد من ثروتهما حتى قبل أن يتوفى والدها، كان ذلك الأمر واضحاً، برغم أنه لم يُناقش علناً. فقد كانت قريبتهما الوحيدة، وأنهما سوف يعيلانها بالطبع.

لقد فعلا ذلك بالفعل، عندما قدمت إلى العيش معهما. لقد دفعا رسوم تعليمها في مدرسة خاصة راقية وقدّما إليها سيارة. وتعلمت بسرعة ان تكون حذرة في البوح بما يعجبها لأنها في حال ذكرت ان شيئاً قد أعجبها فان أحدهما سيشتريه لها. وقد كان يحدث ذلك غالباً.

أحياناً كان مارتن يتحدث إليها عن توظيف الأموال والعائدات المالية المضمونة، وعلمتّها شارلوت الأمور التي تتعلق بالأعمال الخيرية والصدقات والمسؤولية الاجتماعية التي يمثلها المال.

لكنهما لم يعطياها قط أي تفاصيل عن مخططاتهما أو وصيتهما أو عما قد يحدث لثروتهما في آخر الأمر. استمعت شرلي بتهذيب إلى محاضراتهما، لكنها كانت تعتقد، مثلما كان كل من مارتن وشارلوت يرددان، ان الأمر مرهق جداً. وكانت تفترض ان معظم ثروتهما سيذهب إلى الأعمال

الخيرية التي استمرا بدعمها باخلاص طوال سنين عديدة. وقد كان ذلك يناسبها. ففي رأي شرلي ان آل هدسون قد فعلا ما يكفي تجاهها. لقد زوداها ما يكفي لشق طريقها في الحياة، وقد منحاها منزلاً.

لكن هل كانت سانجة؟ هل كانا يعتزمان ان يجعلاها ترث كل قرش يمتلكانه؟ الهذا السبب اهتم بها سبانس غرينفيلد فجاة في فترة عيد رأس السنة الماضي؟

أمضت شرلي معظم بعد ظهر نهار السبت تجري مكالمات هاتفية، كي تلغي تحضيرات الزفاف. فاتصلت بمتعهد تقديم الطعام. بمحل بيع الزهور وعازف الأورغ، وبمدير النادي في المدينة. وقد ذُهل كلّ منهم بطلبها هذا، وقد أصرّ عليها كل واحد منهم أن تعيد ما قالته ليتمكن من ادراك الخبر فعلاً. وكانت ترتجف من شدة الاجهاد عندما انتهت من تكرار تلك العبارات المؤلمة التي لا تنتهي. ولم تستطع الكف عن التفكير في انها بعد ظهر هذا اليوم بالذات كان يجب أن تكون مع سبانس تلعب الغولف، أو تفتح علب الهدايا في الكوخ... مع سبانس...

أغمضت عينيها كي لا تسقط دموعها ووضعت رأسها بين يديها لحظة. وقررت أن ترتاح قليلاً وتعد لنفسها فنجاناً من الشاي مع العسل لتخفف الألم في حنجرتها. ثم تتصل بعدها بالأشخاص المدونة أسماؤهم في لائحة طويلة لتبلّغهم ان حفلة الزواج قد ألغيت.

لقد عرضت شارلوت عليها المساعدة في هذه المهمة. لكنها بدت شاحبة وضعيفة هذا الصباح، وكانها لم تنم

طوال الليل. لذا فكرت شرلي ان الاجابة عن الأسئلة الفضولية ستتعبها، فسيوجه الجميع الكثير من تلك الأسئلة في الأسابيع القليلة المقبلة، ولا حاجة بشارلوت إلى أن تبحث عن المزيد منها.

اتجهت شرلي إلى المطبخ لتعد الشاي لنفسها وقد شغل بالها العدد الهائل من الاتصالات التي عليها اجراؤها. كانت قد دخلت إلى الغرفة الزجاجية قبل أن تسمع لغط الأصوات، فوقفت فجأة عند مدخل الغرفة تماماً وقالت: «اعذريني يا خالة شارلوت. لم ألحظ ان عندك ضيوفاً.»

ثلاث سيدات كنّ مجتمعات حول الكرسي الطويل خاصة شارلوت. كانت كل واحدة منهن متأنقة ومتهندمة مثلما كانت شارلوت، ونظرت كل واحدة منهن إلى شرلي بفضول حاولن اخفاءه بوضوح.

مرّ في خاطر شرلي، ان الأخبار تنتشر بسرعة. ان القسم الباقي من أعضاء نادي البريدج سيصل من دون شك في أية لحظة، وتساءلت عما كان عذرهم بالمجيء لرؤية شارلوت بعد ظهر نهار السبت.

أشارت خالتها لها بيد هزيلة إلى كرسي قريب، وقالت: «تعالي انضمي الينا، يا حبيبتي.»

هزت شرلي رأسها نفياً وقالت: «شكراً، إن لديّ الكثير من الاتصالات الهاتفية التي عليّ اجراؤها. لقد كنت مارة في طريقي نحو المطبخ فقط.»

سألتها شارلوت: «إذاً، هل تخبرين ليبي أننا نرغب في تناول القهوة الآن؟»

بينما كانت شرلي تمضي عائدة إلى غرفة الطعام، سمعت

إحدى زائرات خالتها تهمس قائلة: «المسكينة الغالية. انها شجاعة جداً، أليس كذلك؟»

قالت شارلوت: «اني سعيدة، لأنها على أبواب عطلة الربيع. ستشعر بتحسن عندما يخف عنها ضغط العمل في المدرسة لبعض الوقت.»

كان ذلك سيساعدها، فكرت شرلي. سيكون عندها الكثير من الوقت للتفكير حينها، ولتتذكر انها يجب أن تكون في ناساوا، تنعم بأشعة الشمس على الشاطىء، مع سبانس.

كانت ليبي تعمل بنشاط في المطبخ لتحضير صينية وضعت عليها ابريق قهوة فضياً كبيراً. بمجرد ان فتحت شرلي فمها لتتكلم قالت بانفعال: «أعرف، عندما قدمن كنت أصنع قالب حلوى بالفريز من أجل حفلة منح المساعدات المدرسية ولم يكن في استطاعتي التوقف حتى أنهيه. لذا فإني أسرع لإنهائه، هناك بعض سلال الشكولاتة في تلك الخزانة. هلا وضعت ملعقة من البوظة في كل واحدة منها بينما أغسل ما تبقى من ثمار الفريز؟»

شعرت شرلي بالارتياح لانهماكها في العمل. ففتحت كل سلة مصنوعة من الشكولاتة الرقيقة، ووضعتها بحذر في طبق بلّور خاص بالحلوى وقد أضافت إليها ملعقة كبيرة من البوظة بالحليب.

دخل مارتن من الحديقة قبل أن تنتهي، وكانت تفوح منه رائحة الأرض الرطبة والوحل.

قالت له ليبي محذرة: «لا تدخل. فسيدات نادي البريدج هنا.»

قال: «نهار السبت؟» ونظر مارتن إلى الحلوى وأضاف: «انها تبدو لذيذة جداً.»

أشارت شرلي بملعقة البوظة إلى إحدى سلال الشكولاتة التي انكسرت بينما كانت تفك عنها الغلاف. وقالت: «هناك واحدة مكسورة ان أردت قضمها. أو ان كان في امكانك أن تصبر دقيقة فساعد لك حلوى مميزة وخاصة حالما أنتهي من تلك.»

رفع مارتن قبعته عن جبينه، والتقط كسرة من الشكولاتة وقضم قطعة منها وقال: «هذه جيدة، هيا اخرجي معي إلى الحديقة لبرهة، يا شرلي.»

أجابته: «شكراً، اني لست في مزاج يسمح لي بالتحادث اليوم، يا عمي مارتن.» وملأت آخر سلة، ثم اتكأت إلى الثلاجة ولعقت ملعقة البوظة ثم أضافت: «لماذا؟ هل وجدت سبانس مختبئاً في صندوق خشبي أو ما شابه ذلك؟» كان هناك احساس غريب في معدتها، وكأنها لعبة تدار بزنبرك وقد لُفّ ذلك الزنبرك باحكام. فقد تغيّب مارتن طيلة الصباح. أيمكن ان...؟

رمى مارتن نظرة إلى ليبي، ثم هزّ رأسه.

بدا الزنبرك داخل شرلي وكأنه قد حُلّ ليضعف ويفقد قدرته.

نثرت ليبي حبيبات التوت الطازجة فوق كل ملعقة من البوظة ثم حملت الصينية. وعادت القهقرى عبر الباب المتأرجح واختفت وهي تتجه نحو الغرفة المشمسة.

قال مارتن: «لقد تكلمت معه.» ثم توقف وكأنه لا يعرف تماماً ماذا يقول بعد ذلك.

قالت: «أفهم ان ذلك يعني انه لا يملك أي تفسيرات لك أيضاً؟ هل أدركت أخيراً ان ذلك ليس مجرد سوء تفاهم سخيف؟»

بدا مارتن تعيساً.

خجلت شرلي من نفسها فقالت: «اني آسفة، يا عمي مارتن، أعرف انك كنت تحاول المساعدة.»

«لو انك تتكلمين معه فقط، يا شرلي...»

«هل يعني ذلك أنك لم تستطع اقناعه بأن يقوم بالخطوة الأولى، ولذا عدت لتحاول اقناعي أنا؟ يا عمي مارتن عندما تنظر إلى الأمر مباشرة، فان سبانس هو من تخلى عني. لقد منحته الفرصة ليشرح ذلك امس، لكنه بدا غير راغب فيها.»

فغر مارتن فمه ثم أغلقه ثانية، كسمكة ذهبية عاجزة.

وضعت شرلي ذراعيها حوله ودفنت رأسها في كتف قميصه ذي النسيج الصوفي الناعم والباهت اللون. وكان صوتها مكبوتاً عندما قالت: «اني آسفة ان بدوت حمقاء بعد كل الأشياء التي فعلتماها لي، أنت وشارلوت، وهذه هي الطريقة التي اكافئكما بها.» وبلعت ريقها بصعوبة وتابعت قائلة: «الأمر ليس اني أرفض التحدث معه، أنت تعرف، لكني أشك في ان سبانس متشوق كفاية إلى التحدث معي أيضاً، أليس كذلك؟»

قال مارتن بصوت خفيض: «الأحمق والمغفل الأرعن.»

قالت: «حسن، ها قد أدركت ذلك.» ومسحت دمعة حبيسة عند زاوية عينها وحاولت ان تصطنع ابتسامة ثم أضافت: «للمناسبة، أيا منا تدعوه بالأحمق والمغفل الأرعن؟»

أخذ مارتن نفساً عميقاً وقال: «شرلي...»

عادت ليبي إلى المطبخ وهي تتمتم بصوت منخفض: «احداهن تريد التحلية بسكر اصطناعي.» وفيما أخذت تفتش في الدُرج أضافت قائلة: «انها تتناول البوظة وكأنها لا شيء على الاطلاق، لكنها لا تستطيع تحمّل القليل من السكر العادي في قهوتها.»

ابتسمت شرلي قليلاً، وقالت: «ليس من عادتك ان تكوني متبرمة بضيوف الخالة شارلوت، يا ليبي.»

رشقتها مدبرة المنزل بنظرة خاطفة، وقالت: «آوه، ليس المُحلي هو السبب، بل الطريقة التي كن يتحدثن بها عنك. لم تدرك السيدة هدسون ان خلف تلك الشفقة المزعومة التي يُبدينها رغبتهن الخبيثة في نشر الأقاويل، ذلك هو المؤسف حقاً. الأجدر بها أن ترميهنّ خارجاً.»

تنهدت شرلي قائلة: «انهن صديقاتها، ولا أستطيع لومهنّ على كونهنّ فضوليات. وما أخشاه، أنها ستكون عطلة ربيع طويلة جداً.»

قالت ليبي وهي تُسقط المُحلي الاصطناعي في قصعة من البلّور: «ربما عليك الذهاب إلى الباهامس، على أي حال. لِمَ لا تستمتعين بوقتك في الخارج، سواء تزوجت أم لا؟» وتحركت بسرعة عبر المطبخ، وقد انغلق الباب المتأرجح من ورائها.

تمتمت شرلي: «أي شهر عسل غريب سيكون ذلك.» وتركت تلك الفكرة انطباعاً مفاجئاً، وكان عليها الاعتراف بذلك. لكن في الوقت الذي أعدت فيه كوب الشاي، وعادت إلى غرفتها لتتابع اتصالاتها الهاتفية ثانية، كانت قد نسيت تلك النزوة المجنونة بكاملها.

مع ذلك، كان واضحاً. ان مارتن قد مرّر تلك الفكرة لشارلوت لأنها سرعان ما عاودت طرحها على العشاء فقالت وهي تحتسي مرق اللحم: «انها خطة معقولة جداً، يا شرلي.»

«الذهاب في شهر العسل بمفردي؟ يا خالتي شارلوت...»

«لِمَ لا؟ لقد فات الأوان على الغاء الحجز، لذا يمكنك الاستفادة بعض الشيء. بالاضافة إلى ذلك، فالأمر يبدو وكأن لا دخل لسبانس فيه في ما يتعلق بالحجز. فالمنتجع كان هدية لك مني ومن مارتن.»

تمتمت شرلي: «كانت هدية لنا. لا أستطيع التفكير...»

تابعت شارلوت مباشرة: «لِمَ تضيّعين فرصة حسنة؟»

«صدقاً. هل تلمّحين إلى أنه يجب عليّ أن ألتقط أول رجل وسيم تقع عليه عيناي على الشاطىء، يا خالتي شارلوت!»

انتصبت شارلوت في جلستها أكثر، وبدا صوتها بارداً كالجليد، قائلة: «بالطبع لا.»

عضت شرلي على شفتها وقالت: «أستميحك عذراً.»

استرخت شارلوت قليلاً، لكن الجو بقي محافظاً على برودته، برغم جهود مارتن. وكانت شرلي مسرورة تقريباً لتمكنها من الاعتذار والمغادرة مباشرة بعد تناولها الطعام، وذكرت شارلوت بتعهدها للمساعدة في تقديم الحلوى في حفلة زيادة رأسمال المنح المدرسية.

غمغمت محدثة نفسها قائلة: «وأعتقد اني مسرورة فعلاً بأن أخرج علانية.» حسن، عليها مواجهة ذلك في وقت من الأوقات، ونظراً إلى ردة الفعل الفورية من سيدات البريدج،

فان ذلك سيكون عاجلاً وليس آجلاً. كان من المذهل جداً، كيف تنتشر الشائعات بسرعة في مدينة بهذا الحجم، عليها أن تبقي رأسها مرفوعاً وتبتسم. كان ذلك كل شيء.

لكنها لم تستطع عدم التفكير في أن من السيىء جداً، أنها وسبانس، لم يتفقا، على الأقل، على قصة تسمح لكليهما بالمحافظة على كرامته. لم تكن تنوي الكذب بذاك الشأن، بالضبط، لكن من الأفضل كثيراً ألا يدعا التفاصيل تتقاذف في كل منطقة هاموند.

برغم ذلك، فكرت ان كليهما ما زال يعتزم العيش هناك.

لم يكن الاستقبال في الحفلة سيئاً كما توقعت، برغم انه كان هناك الكثير من تعليقات العطف والفضول. امرأة واحدة فقط أعلنت رأيها مباشرة وسألت لِمَ آلت خطوبة شرلي إلى هذا الانهيار المفاجيء؟

في شكل شبه تلقائي أعطتها شرلي الجواب عينه الذي رددته في خلال اتصالاتها الهاتفية طوال اليوم: «أنا وسبانس استنتجنا أخيراً أننا لا نناسب بعضنا بعضا.»

قالت المرأة بالحاح: «الآن، حقاً. من الواضح ان هناك أكثر من ذلك السبب.»

نظرت شرلي مباشرة اليها. وقالت ببرودة: «كم لطيف منك أن تكوني مهتمة إلى هذه الدرجة.»

ظهرت ايمي هوول إلى جانبها في تلك اللحظة، وفنجان القهوة في يدها وقالت: «الآن، وقد خفت الجموع نستطيع التحدث عن خطط الدرس للأسبوع المقبل، يا شرلي.» وابتسمت بلطف للمرأة الفضولية، التي ابتعدت بامتعاض.

قالت شرلي بصوت منخفض: «شكراً لك، كان ذلك تقريباً فعالاً كما لو أنك رفستها.»

«الأمر الذي ما كنت لأعارض القيام به. كيف تشعرين؟»

فكرت شرلي بارتياح: لم يكن هناك من حاجة إلى اخبار ايمي أكاذيب اجتماعية. عندما تسأل ايمي كيف حال شخص ما، فانها تريد معرفة ذلك فعلاً. فقالت: «كأن بيانو كبيراً قد سقط لتوه من اللا مكان وضربني على رأسي.»

وضعت ايمي يدها لترتاح للحظة على يد شرلي وتضغط عليها مؤاسية: «لم أستطع تصديق ذلك عندما اتصلت بي اليوم.»

«هل كنت تعرفين بشأن وندي عندما سألتني امس ان كان يزعجني كونها سكرتيرة سبانس؟»

هزت ايمي رأسها وقالت: «لا شيء مطلقاً. أقسم لك اني اعتقدت بأن وجود امرأة مثل وندي في الجوار هو كالبحث عن المتاعب. أبدو متزمتة، أليس كذلك؟ ستطردني الحركة النسائية من التنظيم.» واحتست قهوتها وتابعت: «هل تكونين في المدرسة نهار الاثنين؟»

«بالطبع، ولِمَ لا أكون؟»

هزت ايمي كتفيها وقالت: «لا أعرف ان كانت أعصابك ستتحمل الضغط، علاوة على كل شيء آخر.»

«بصراحة اني أتطلع شوقاً إلى الضغط حيث لا أستطيع ترك أفكاري تسرح والأطفال من حولي، وهكذا يجب عليّ أن أبعد هذا عن تفكيري. انها عطلة شهر آذار التي لا أتطلع إليها بشوق.»

«حسن، ان شعرت بارهاق شديد، فارفعي العلم الأبيض

فقط، عندها آخذ تلاميذك إلى صفي للقيام بألعاب حسابية أو أي شيء ما وأعطيك فرصة لاستجماع نفسك.»

«انك لطيفة جداً يا ايمي.»

«في ما يتعلق بالعطلة، فلم يفت الوقت بعد لتنضمي إلى رحلة التزلج التي سنقوم بها.»

بلعت شرلي ريقها بصعوبة وقالت: «ذلك اهتمام كبير منك، لكن، استطحابي معكم سيكون عبئاً ثقيلاً بالفعل.»

«ليس تماماً. سنقود حتى كولورادو. وقد استأجرنا هناك حجرة ونستطيع قبول واحد إضافي من دون متاعب. احضري فقط حقيبة النوم.»

«شكراً، لكني لا أعتقد ذلك، يا ايمي. آخر ما أحتاجه هو أن أمضي بقية السنة الدراسية بركبة مفتولة من جراء تزحلق خاطىء على منحدر ثلجي.»

تنحت ايمي جانباً حتى يتمكن رجل كبير من التقدم إلى الطاولة، وقطعت شرلي قطعة من الكعكة المحلاة التي تزينها قطع الكيوي، التي أشار إليها ووضعتها في صحن وقدمتها إليه وهي تبتسم.

هزت ايمي كتفيها، وقالت: «على الأقل ركبة مفتولة ستعطيك عذراً جيداً لتتسكعي في انتظار الدوامة...»

لم تسمع شرلي البقية. فبينما ابتعد الرجل بقطعة الحلوى، رأت سبانس يظهر على مدخل الباب، وتشنج جسدها وكان أحداً قد أغمد سكيناً في ضلوعها.

فكرت: كم أفتقده، لقد مضى يوم واحد فقط...

لقد بدا أطول قليلاً، في بذلته السوداء. لقد اعتادت شرلي رؤيته في ملابس الرياضة وسترات فضفاضة وكنزات،

وليس في بذل رسمية. هذا التناقض جعلها تشعر وكأنها لم تره منذ وقت طويل جداً. تلك البذلة بلون الفحم جعلت عينيه تبدوان أشد بريقا وأكثر لمعاناً.

أو ان تلك التغيرات ليست بسبب لون ثيابه ولكن بسبب تلك المرأة التي تقف إلى جانبه. وندي تايلور وإحدى يديها تتأبط ذراع سبانس فيما اليد الأخرى ممسكة بحقيبة صغيرة مخملية سوداء خاصة بالسهرات تتناسب مع ثوبها الأنيق المتعدد الألوان، وتنظر مباشرة إلى شرلي، ليس نظرة انتصار، وانما كأنها تشعر بالشفقة!

بدا غضب شرلي وكأنه قد ابتدأ في أخمص قدميها ثم امتد لهيبه في جسدها كله، خلية، خلية. ألم تكن لديه اللياقة لينتظر بضعة أيام حتى يتباهى بوندي؟ مجرد بضعة أيام، حتى يجد مروجو الشائعات شيئاً آخر يتحدثون به؟ شرلي وسبانس ووندي فقط يعرفون التفاصيل. وحدهم فقط يجب أن يعرفوا ذلك. إلا إذا كان سبانس يعتزم تغذية الشائعة.

نظرت إلى قطع الحلوى على الطاولة أمامها. كانت معتزمة أن تلتقط أقرب قطعة حلوى وبقايا الحلوى المغطاة بحبيبات التوت التي أعدتها ليبي، وتقذفها في وجه سبانس.

قالت ايمي: «حسن، ان غيّرت رأيك في شأن رحلة التزلج. دعيني أعرف فقط. إننا لا نمانع في قرار اللحظة الأخيرة.»

بدت كلمات ايمي وكأنها آتية من طريق بعيد جداً. هزّت شرلي رأسها وقالت: «لقد قررت ماذا أفعل في خلال عطلة آذار.» كان صوتها واضحاً ومتهدجاً، وما من أحد على بعد عشر أقدام من طاولة الحلوى كان في

مقدوره السماع وهي تضيف: «سأذهب إلى الباهامس، على أي حال.»

ترددت شهقة جماعية في أرجاء الغرفة وتبعتها لحظة صمت.

فقالت ايمي بارتياب: «بمفردك؟»

أجابتها شرلي: «بالطبع سأذهب بمفردي.» نظرت مباشرة إلى سبانس ورفعت رأسها قليلاً بتعالٍ وأضافت: «بصراحة، يا عزيزتي، مقارنة بما خططت له في البداية، فان وجودي بمفردي يكون نعمة.»

الفصل الثالث

كانت الفكرة مجنونة، بالطبع، ولم تكن شرلي عازمة فعلاً على القيام بشيء كهذا. عروس منبوذة تذهب إلى قضاء شهر عسل وحدها؟ كان ذلك سخيفاً. لو ان ذلك لم يكن لأجل نظرة الشفقة تلك في عيني وندي، تلك النظرة التي قالت بوضوح تام: لقد حصلت عليه وأنت لم تفعلي، وإني آسفة من أجلك! لحافظت شرلي على هدوئها وتدبرت أمورها ولم تقل شيئاً على الاطلاق.

مع ذلك، ففيما كان الاسبوع يمر ببطء، وجدت نفسها غالباً تفكر أكثر وأكثر في الهروب. سيكون من المهدىء الذهاب إلى مكان حيث لا يعرف أحد شيئاً عن سبانس. إلى مكان حيث لن يسأل أحد لِمَ شرلي وحيدة؛ وفي الوقت الذي تعود فيه إلى المنزل، لربما تكون الشائعة في منطقة هاموند قد تحولت إلى نبأ آخر سار وممتع.

واحد من تلك الحوافز الذي دفعها إلى حزم حقائبها والمغادرة، طالعها صباح نهار الأحد، عندما أعلن الغاء حفلة الزفاف في اجتماع اهالي منطقة هاموند. كانت مجرد جملة بسيطة، واحدة متبقية من لائحة طويلة قالها من دون تشديد ذلك الذي كان سيقوم بتزويجها، حيث قال بهدوء: «زواج شرلي كولينز وسبانس غرينفيلد، الذي كان مقرراً السبت المقبل، قد الغي.» وانتقل مباشرة إلى الاجتماع الإضافي للسيدات.

www.elromancia.com

لغط الدهشة الذي اجتاح الساحة، أجفل شرلي، التي تستطيع أن تقسم ان ما من أحد في منطقة هاموند قد عجز عن سماع الأخبار حتى الآن. والأمر الذي جعلها تجفل أكثر من ذلك كان ردة فعلها هي. فراحتا يديها بدأتا تنضحان عرقاً، وتسارعت ضربات قلبها، شعرت كأنها تختنق. فقالت في نفسها انها تعاني من توتر عصبي عادي، وكأن الاعلان بمثابة خبر بالنسبة إليها أيضاً. فكلمات المعلن الهادئة بدت وكأنها جعلت مواجهة الحقيقة المؤلمة أمراً واقعاً بعض الشيء بعد ما كانت كابوساً مخيفاً.

لكن ذلك لم يكن الأمر الوحيد الذي جعلها تتوق إلى المغادرة. فيوم الثلاثاء، بعد المدرسة، نظرت شارلوت بتمعن إلى اظفار شرلي وسألتها: «لم تعاودي قضم اظفارك، أليس كذلك؟»

شرحت شرلي كيف أن مزيج الألوان والطين قد دخل تحت اظفارها في خلال حصة الفنون ذلك اليوم، حيث كان الخيار الوحيد هو تقليمها بهذا القصر. لكنها لم تكن متأكدة للحظة ان كانت شارلوت صدقتها فعلاً، وأربكها ذلك أكثر. إن كانت فعلاً قد عادت إلى قضم اظفارها فعلى شرلي الاعتراف بذلك. ولم يكن ذلك جريمة، على أي حال.

نهار الأربعاء سألتها احدى تلميذاتها البريئات ان كانت «الفاكهة المحرمة» هي التفاح أو الدراق أو العنب، وعندما أصرت شرلي على معرفة سبب ذلك السؤال. قالت الفتاة: «قالت أمي انك لن تتزوجي لأن خطيبك لم يستطع البقاء بعيداً عن الفاكهة المحرمة. لا يمكن أن تكون الموز، لأن أمي تريد مني أن آكله. هل هي البرتقال؟ إنها تقول إن عليّ أن أتناول

برتقالة واحدة فقط كل يوم.» بدت الفتاة مرتبكة وهي تسألها: «هل أكل الكثير من البرتقال؟ الهذا السبب لن تتزوجي منه؟»

نعم، فكرت شرلي بكآبة. إن الذهاب بعيداً لفترة يكون فكرة حسنة جداً.

لكن ذلك وصل إلى الذروة نهار الخميس. فبعد انتهاء المدرسة، توقفت عند متجر الخرضوات وهو واحد من المحال الستة حيث هي وسبانس دوّنا فيها لائحة هداياهما. كان عليها الآن أن تلغي هذه الطلبات وتعمد إلى إعادة ثمن الهدايا إلى مرسليها واعادتها إلى الرفوف. لقد اهتمت بهذه التفاصيل ذاتها في المخازن الفرعية ومحل أواني المطبخ، لكنها تركت متجر الخرضوات إلى نهاية المطاف، لأنها كانت تعرف انه أصعب ما تواجه. في الواقع، لقد توقفت برهة خارج الباب وبلعت ريقها بصعوبة في محاولة لاستجماع شجاعتها للدخول إليه.

لقد اختارت شرلي الأواني الصينية والبلّور والفضة. فيما نظر سبانس بصبر متناه إلى تلك الأدوات وقال أخيراً أنه لا فرق بالنسبة إليه ان تناول طعامه في أطباق من الخزف أو من الورق لطالما انه ينوي النظر إلى عروسه، وليس إلى الصحون. نظرت شرلي إلى عينيه وشعرت بتشنج بسيط مألوف في أعلى معدتها، وهو النسيج البسيط ذاته الذي يشعر به المرء عندما يركب الأرجوحة الدائرية وتصل به إلى قمة ارتفاعها. كان شعور حبها له أكثر من ذلك الشعور بقليل.

وهكذا قامت باختيار الصيني والبلّور والأواني الفضية،

مثلما اختارت الأباريق والمقالي. لكن سبانس كان مختلفاً في متجر الخرضوات. لقد درس بتروٍ ميزات مفك البراغي الآلي على المفك العادي الذي يرتكز على القوة البدنية، وانتهى به الأمر إلى تدوين الأثنين في لائحة الأشياء التي يرغب فيها. لقد جرّب كل مطرقة، ومثقب، ومنشار في المتجر وأثار اهتمامه عدد كبير من الأدوات. وعندما أصرّ على تجربة كل رفش في المحل يستعمل في إزالة الثلج حيث انتقى أخيراً واحداً ذا مقبضٍ منحنٍ يخفّف من التواء الظهر لم تعد شرلي قادرة على المحافظة على سكوتها أكثر.

قالت: «إننا لا نحتاج حتى إلى رفش للثلج، فواحد أقل ثمناً بكثير وذو مقبض جميل كافٍ. فالعامل يهتم بتنظيف الممرات الجانبية والطريق.»

قال سبانس من دون أن يبتسم مطلقاً: «أجل، لكن ماذا ان أصابه المرض؟ فأنا لا أريد أن تؤذي ظهرك وأنت تحاولين شق طريقك إلى المدرسة.»

قرصته شرلي في ذراعه قبل أن ترى بريق الإثارة في عينيه، واقتنص سبانس منها فقبلها من دون شفقة، هناك مباشرة في الممر بين المعدات والفؤوس.

كان أمراً حسناً ان ذلك النبأ السار لم يصل إلى مسامع الخالة شارلوت. فكرت شرلي وهي تبتسم ابتسامة مريبة. لكان سبانس نال منها توبيخاً لا بأس به بسبب فقدانه أصول اللياقة، بتقبيل شرلي علانية هكذا...

اختفت ابتسامتها. وقد منحت نفسها التفكير كم تتألم شوقاً إلى لمسته، وكم افتقدت الأمان الدافىء لعناقه. كل

ذلك التفكير لن يجعل الأمور تتحسن. لذا جذبت الباب وفتحته...

... وسارت مباشرة لترتطم بسبانس.

أفقدها التصادم توازنها، وأوقع سبانس الحقيبة التي كان يحملها لكي يمسكها. وللحظة كانت تقريباً بين ذراعيه، وقد أمسكت يداه بمرفقيها. وقد انضغط وجهها على قماش معطفه من التويد الخشن، وأغمضت عينيها تلقائياً وأخذت نفساً عميقاً. وجاء عطر ما بعد الحلاقة الذي يضعه ليصيب رأسها ويجعلها تشعر بالدوار. لقد كان ذلك العطر من النوع المفضل لديها دائماً. لكن عندما يضعه سبانس تتغير تركيبته نوعاً ما، حتى لا يعود مجرد عطر فقط، بل أنه يتحول إلى احساس مثير.

نظرت إليه، وقد كانت عيناها قريبتين جداً من ذقنه، وعرفت من خبرتها السابقة، انها إذا وقفت على رؤوس أصابعها وانحنت نحوه، فستستطيع بجهد أن تمرّر شفتيها على الغمازة في ذقنه. عندما فعلت ذلك للمرة الأولى، بدا مذهولاً ثم أحنى رأسه وقبّلها.

تلك الذكرى ما زالت قوية في مخيلتها إلى درجة جعلت ركبتيها لا تقويان على حملها.

كان سبانس قد قرأ ما جال في خاطرها، فأوقفها بثبات على قدميها ثم تركها.

بدا وكأنه قد تحوّل إلى صنم. فلم تحمل عيناه أي دفء. ولم يظهر على شفتيه ما يدل على روح الفكاهة حيث كانت تعتقد دائماً ان الابتسامة مختبئة وراءهما. عضت على شفتها. إنها لم ترَ هذا الرجل الصلب البارد من

قبل. وهل ما حدث في كوخ البستاني قد أثرّ به فيه إلى هذه الدرجة...؟

سألت نفسها بفظاظة، ما الذي جعلها تظن ان ما به هو ردة فعل عاطفية من جراء خسارته المرأة التي أحبها؟ يمكن أن يكون ببساطة مجرد ثورة غضب على نفسه، لأنه أضاع فرصة مثالية للزواج من ثروة، أو غضب لطيشه، الأمر الذي أوقع به. لعل وندي تتطلب منه الكثير أو ربما قرر مارتن أخيراً ان شركة منتجات هدسون تستطيع الاستمرار من دون سبانس غرينفيلد. لكن لم يكن هناك من طريقة لطيفة لتسأله عن ذلك.

قال: «إن كنت قادمة لالغاء تسجيل الهدايا، فلا تزعجي نفسك. لقد قمت بذلك بنفسي.»

هزت شرلي رأسها، فما كادت تسمعه. لقد كانت تفكر انها لا تستطيع الانتظار من دون أن تعرف، فسألته: «هل طردك عمي مارتن؟»

ضاقت عينا سبانس حتى أصبحتا كفوهتي بندقية رمادية وأجابها: «لا، لم يفعل. إن انتقامك لا يعرف حدوداً، أليس كذلك يا شرلي؟»

هزت رأسها، ثم أدركت ان تلك الإيماءة قد تحمل غير معنى فقالت: «لا، أعني، ليس ذاك هو سبب سؤالي.» واعترفت بأن سؤالها لم يكن مدروساً، ولكن من المؤكد انه إن لم يطرد من العمل فليس هناك من ضرورة لأن يكون فظاً وبارداً نحوها.

نظر إليها لحظة قصيرة جداً، ثم انحنى ليحمل كيس حوائجه، لقد تمزّق وتبعثر بعض من محتوياته. التقط سكيناً

كبيراً سويسري الصنع ووعاءً يحوي طلاءً ذا لون هادىء بلون سيارته ووضعهما في جيبه.

قالت: «لا أريدك أن تفقد وظيفتك يا سبانس.»

بدا انه لم يسمعها. التقط رزمة من المصابيح الكهربائية الخفيفة ووضعها مع ما تبقى في الكيس، ثم وضع شمعتين كبيرتين خضراوين فوقها.

حذرته شرلي قائلة: «ستكسر تلك المصابيح.»

قال: «هذا إذا لم تنكسر من جراء السقطة.» ووضع الكيس تحت إبطه وأضاف: «أعذريني ان لم أبق هنا وأستمع إلى بقية المحاضرة فلديّ أشياء أخرى لأفعلها.»

تأرجح الباب لينغلق وراءه. عادت شرلي إلى سيارتها وجلست فيها لمدة طويلة وهي ترتجف.

لقد منحتها المدرسة في الأيام القليلة الماضية بعض السلوان، مكاناً تلجأ إليه. أمر عليها التفكير فيه بالإضافة إلى ألمها الذاتي وجهد جسماني يتعب جسدها. لكن امامها اسبوعاً طويلاً من دون أي عمل. أيام كانت لتكون أسعد ايام حياتها. لو أنها تجرؤ على ذلك، فقد تذهب ثانية إلى سبانس في أي مناسبة. وان بقيت في المنزل، فعليها أن تتعامل مع اهتمام شارلوت المضطرب، وبقدر ما كانت تحب خالتها، فان شرلي لم تكن تعتقد ان عطف خالتها سيؤمن لها الكثير من الراحة. في كلا الحالين سيراقبها سكان المدينة جميعهم بينما تحاول أن تتخطى ساعات حفلة زواجها المفترض أو ساعة ارتدائها ثوب زفافها الجميل المصنوع من الساتان والقماش المخرّم أو ساعة استقبالها الضيوف في القاعة.

الهروب من كل ذلك لم يكن بالأمر الحسن.

لن تذهب إلى الباهامس، بالطبع. الذهاب بمفردها إلى المنتجع حيث كانا سيبدآن معاً حياة جديدة لن يكون بالأمر المريح أبداً. لكن هناك أماكن أخرى يمكنها الذهاب إليها.

رفعت رأسها عندما حضرها الجواب. ستذهب إلى الكوخ البعيد. ما من احد سيفكر أن يبحث عنها هناك.

الشيء الوحيد المدهش حقاً هو انها استغرقت كل هذا الوقت حتى خطرت تلك الفكرة على بالها. لكن على أي حال، فإن الكوخ الذي يقع في الغابة هو خاص بمارتن، فشارلوت لا تفعل أكثر من السماح له بالاحتفاظ به، وكانت شرلي، في الواقع، تعتقد ان خالتها لم تطأ بقدميها منذ سنوات ذلك المكان. والمواضيع التي تتعلق بالصيد براً وبحراً والتخييم تضجرها جداً إلى درجة ان مارتن قلما يأتي على ذكرها.

من ناحية ثانية، فقد ذهبت مع مارتن بضع مرات عندما كانت في سن المراهقة. محاولات الصيد مزوّدة منظارا لاصطياد السمك باءت كلها بالفشل. لقد أحبت تلك البقعة المنعزلة في الغابة، لكن في خلال تلك السنوات القليلة الماضية بدا ان الوقت لم يسمح لها مطلقاً بالعودة إلى ذلك المكان. فاما انها كانت في المدرسة أو انهم كانوا جميعاً مسافرين إلى مكان ما. وفي غمرة ذلك غاب عن بالها تماماً ذلك الكوخ.

لكن هناك، وحيدة بين أشجار الصنوبر، تستطيع التفكير، وان شعرت بالحاجة إلى البكاء استطاعت أن

تفعل ذلك. وتستطيع تقويم الأمور. وان كانت محظوظة جداً، فقد تجد الأمان.

شعرت شرلي انها كاذبة من الدرجة الأولى، لكنها لم تطلع أحداً إلى أين هي ذاهبة بالفعل. عندما عرضت شارلوت مساعدتها في اختيار الملابس التي ستأخذها معها من جهازها، رفضت شرلي ذلك وهي تبتسم قائلة: إنها لا تريدها أن تزعج نفسها. لو ان شارلوت عرفت ان ابنة أختها كانت متجهة إلى مكان منعزل في الغابات، بمفردها، لأصيبت بصدمة أخرى. عدم أخبارها ذلك كان نوعاً من الجميل.

عندما علّقت ليبي على انها لم تضع ثوب السباحة، قالت شرلي باضطراب انها ستشتري واحداً جديداً عندما تصل إلى المنتجع. قالت في نفسها: «ان ذلك ليس كذباً حقيقياً، لو أنها أرادت فعلاً الذهاب إلى المنتجع. لرغبت في شراء لباس سباحة جديد. لأن لباس السباحة الذي اشترته وهي تفكر في سبانس لا يبدو مناسباً الآن.

نهار الجمعة، عندما بدأ الطقس ينذر بأن عطلة الاسبوع ستكون ممطرة، شرحت لشارلوت انها لا تريد أن تجازف في خسارة ارتباطاتها، وذكرتها بأن الرحلات اليومية من منطقة هاموند لا تجري مطلقاً عندما يتساقط الثلج. وأخبرتها انها ستقود الساعات القليلة التي تفصلهم عن مطار مينابولس، وتنام الليلة هناك في فندق قريب وتركن سيارتها في موقف للسيارات إلى حين عودتها.

لم تنطق شارلوت بأي كلمة اعتراض. فكرت شرلي، لربما أدركت ان الأمور أصبحت لا تطاق.

فيما بدأت شرلي تشعر بالتحسن، كانت معالم المدينة تختفي من ورائها. كانت الطريق إلى الكوخ تستغرق ثلاث ساعات من القيادة على طول الطريق العام المتعرج والذي كان يبدو جميلاً حتى في هذا الفصل الكئيب من السنة. كان في حوزتها أشرطة تسجيل يمكنها سماعها، ومعها أيضاً سلة ملأى بالمعجنات أصرّت ليبي على اعطائها لها وهي تودعها.

فكرت شرلي انها حالما تسنح لها الفرصة لأن تحدد مشاعرها، فربما تجد ان من تعيش معهم ليسوا سيئين جداً. إنها تفتقد سبانس، بالطبع. لقد أحبته، على أي حال، ولم يكن من السهل ان تخمد تلك المشاعر وتنسى أحلامها. ستبدو حياتها فارغة مدة قصيرة لكنها ستتخطى ذلك، في آخر الأمر.

عندما وصلت إلى آخر مدينة صغيرة، كان النهار قد شارف نهايته، ونذير العاصفة قد بلغ أوجه. كانت السماء مظلمة ومتجهمة وقد التفت الغيوم وتجمعت فوقها. وفيما أوقفت سيارتها عند متجر عام صغير على جانب الطريق، سقطت بقوة بضع قطرات من المطر على زجاج سيارتها وكانها قطع من الحجارة، فارتجفت وأسرعت إلى داخل المتجر.

نظرت صاحبة المتجر، وهي امرأة سمينة متوسطة العمر، إلى شرلي بحذر وسألتها: «ما الذي دفعك إلى المجيء إلى هنا في هذا الطقس، يا آنسة كولينز؟»

«حسن، المقيمون هنا لا يمانعون في ذلك، أليس كذلك يا سيدة هاربر؟»

تنهدت المرأة تنهدة عميقة، وقالت: «ذاك يعتمد على أي مقيمين تشيرين إليهم. البعض منا يفضّل أن يكون في تكساس. لن تمكثي في ذلك الكوخ القديم، أليس كذلك؟»

هزت شرلي كتفيها بلا مبالاة، وقالت: «لِمَ لا؟ إنه يحتوي على كل ما أحتاجه. لقد تذكرت، هل يمكنني استعمال هاتفك؟ لقد خطرت لي هذه الفكرة في اللحظة الأخيرة، لذا لم أتصل بالمسؤول عن الكوخ ليشغل السخان.»

دفعت صاحبة المتجر بالهاتف عبر المنضدة.

أخذت شرلي تعبث بالازرار وأضافت: «لقد نسيت، في الحقيقة ان اسأل عمي مارتن من يهتم بالكوخ هذه الأيام. هل تعرفين أنت؟»

«أعتقد ان جوباكستر ما زال يقوم بذلك. ذلك معقول. فان منزله يبعد ميلاً واحداً عن الكوخ. وإلا فان أي شخص آخر عليه أن يجتاز كل تلك الطريق من المدينة إلى هناك لمجرد أن يهتم بالمكان.»

لم يُجب أحد على رقم هاتف آل باكستر، فتجهمت شرلي وافترضت انها تستطيع تدبر الأمر بنفسها، لكنها لم تكن متلهفة إلى العمل على مدّ خط الاتصال من الموقد الكبير القديم إلى قارورة الغاز التي تغذيه. وماذا عن المياه؟ لا بدّ أنها مقطوعة، والأنابيب قد جفت في انتظار الشتاء. ومن يعرف أي أمور ضرورية أخرى عليها الاهتمام بها من دون مساعدة؟ وهل الكهرباء موصولة؟

فكرت شرلي: لعل قدومها إلى هنا لم يكن فكرة سديدة فعلاً.

ألقت السيدة هاربر نظرة على الشباك الأمامي حيث

قطرات المطر تضرب الزجاج بقوة وسألتها: «هل أنت متأكدة من أنك تريدين اجتياز كل هذه الطريق إلى هناك؟»

أومأت شرلي برأسها.

بدت السيدة هاربر مرتابة. وقالت: «حسنٌ، إذاً، من الأفضل أن تأخذي ما تحتاجينه وتتابعي سيرك قبل أن يزداد الأمر سوءاً. فما زال أمامك قيادة خمسة عشر ميلاً والطقس لا يظهر أي تحسن. سأحاول الاتصال بجوّ لاسلكياً وأرسله في طلبك في أسرع ما يمكن.»

قالت شرلي وقد شعرت بارتياح عميق: «شكراً، انك طيبة جداً، يا سيدة هاربر.»

بعد ما غادرت المدينة كانت الطريق في معظمها وعرة، وسارت شرلي على مهل وبحذر فيما الحجارة تفرقع عجلات السيارة. واشتد هبوب الريح تعصف بقوة مما جعل السيارة تهتز من تأثير قوتها وقد حجب هطول المطر الشديد عنها الرؤية تقريباً وجعل من الصعب عليها رؤية طريقها. وكانت أعصابها مشدودة جداً، عندما وصلت إلى الطريق الصغير الذي يصل إلى الكوخ. وفيما أوقفت سيارتها قرب الكوخ بقيت جالسة بهدوء للحظة، سعيدة لمجرد انها قطعت كل هذه الطريق.

درست وجهة هطول المطر وقررت إيقاف السيارة خلف الكوخ حيث تكون أقل عرضة لتساقط المطر وهي تنزل الحوائج منها.

تركت كل شيء في السيارة وسارعت لتفتح الباب. ودار المفتاح ببطء وتردد داخل القفل، وكأنه لم يستعمل منذ أمدٍ بعيد، واستجمعت نفسها. كم مضى من الوقت منذ أن جاء

مارتن إلى هنا آخر مرة؟ الخريف المنصرم، كانت شارلوت مريضة جداً فلم يغادر إلى أي مكان على الاطلاق...

انبعثت رائحة العفن من الكوخ قليلاً، لكن المكان كان دافئاً. ذهلت شرلي، ووضعت يديها فوق الموقد قبل أن تصدق نفسها ان الموقد يُشيع حرارة حقاً.

قالت شرلي بصوت مرتفع: «شكراً لك، يا سيدة هاربر على روحك الخيّرة بقيامك بهذا العمل. كيف لها ان تدبرت، لاسلكياً أو خلافه، ايجاد جوّ بهذه السرعة؟»

كان النور خافتاً في الغرفة الكبيرة فيما كان الليل يسدل ستائره السوداء بفظاظة في الوقت الذي انتهت فيه شرلي من انزال الحوائج من السيارة. لقد تطلب ذلك منها ستة مشاوير بين الكوخ والسيارة وفي الوقت الذي انتهت فيه من حمل الصناديق إلى الداخل، شعرت بالندم لأنها اشترت كل هذه المؤونة. فكم من الطعام يمكن الانسان أن يتناوله في اسبوع واحد، على أي حال؟

بالإضافة إلى ذلك، كان الكوخ أفضل تجهيزاً مما كانت تتوقع. وفكرت قائلة: «من المرجح ان كل هذا باقٍ منذ ان قَدِمَ مارتن إلى هنا آخر مرة.» وتأملت المعلبات الموجودة على الرفوف في المطبخ الصغير والذي كان يقع عند زاوية الغرفة الرئيسية في الكوخ. على أي حال، كم تبقى الأطعمة المعلبة صالحة للأكل؟

كان هناك أيضاً كمية وافرة من الحطب الجاف للمدفأة، في الرواق الخلفي الصغير. وابتسمت سراً، فقد تحوّل المطر إلى زخات الآن، وهي حتماً لا ترغب في الخروج بحثاً عن موضع كومة الحطب الرئيسية.

أضرمت النار، التي سرعان من تراقص لهيبها فرحاً، ثم أعدت لنفسها سلطة وعجة بيض. وتناولت وجبتها فيما قدماها ملقيتان على المنضدة وقد وضعت صحنها بتوازن في حضنها. كان أول طعام لذيذ تتناوله منذ اسبوع. وفكرت مرة واحدة في قطع اللحم التي كان يجب أن تتناولها الليلة في العشاء التقليدي، ثم طرحت تلك الفكرة جانباً وبشدة.

كانت مرهقة ومسترخية جداً. فكيف لها أن تنهض لتحضر شيئاً تشغل به نفسها؟ وكان شعورها بالارتياح الناجم عن ادراكها ومعرفتها بأنها ليست مضطرة إلى البقاء متيقظة وبأنها قد لا تتكلم، أو ترى حتى أي شخص اسبوعا كاملاً، أمراً كافياً.

تمتمت قائلة: «يا لها من نعمة» وهنأت نفسها بالفكرة الرائعة. نظرت إلى لهب النار التي كاد ضوؤها المتراقص وصوتها الخافت الصادر عن اشتعال قطع الحطب، أن ينومها حتى خبت النار كلياً. فوضعت الواقي بتأن في مكانه ومضت إلى الفراش.

كان هناك غرفتا نوم في مؤخرة الكوخ، يفصل بينهما ممر ضيق وصغير. اختارت شرلي أن تنام في الغرفة الصغيرة التي اعتادت استعمالها دائماً. ولم تكن كلتا الغرفتين واسعة أو أنيقة، وكان مؤنساً أن تعود إلى أجواء الطفولة.

كان جو غرفة النوم ما زال بارداً جداً، ذلك ان المدفأة في الغرفة الرئيسية كانت مصدر الدفء الوحيد في الكوخ. وقالت في نفسها: «في واقع الأمر، يمكنك أن تسميه برداً

قارساً.» فيما كانت تخرج ثياب النوم من حقيبتها، اصطكت أسنانها لأنها تركت باب الغرفة مفتوحاً. ووضعت عدداً من الأغطية على الفراش.

ولأنها كانت تشعر بالبرد الشديد فقد جافاها الكرى، كما انها لم تستطع ابعاد تفكيرها كيف كان يجب عليها أن تمضي هذه الليلة. كان من المفترض أن تكون الليلة الأخيرة في غرفتها في منزل آل هدسون. وكان من المحتمل أن تكون قلقة كما هي الآن. تتطلع بشوق إلى ارتداء ثوب الزفاف الجميل المصنوع من الساتان والطرحة المخرمة...

لقد نسيت فستان زفافها تماماً. كان لا يزال عند الخياط، حيث ينتظر القباس الأخير. لم يعد الأمر مهماً بالطبع، فالفاتورة قد دفعت منذ وقت طويل. وماذا تفعل به في كل حال؟

أين اقترفت خطأ فادحاً؟ كانت شرلي تعتبر نفسها انها قاضٍ جيد لشخصها؛ ولم تكن لتواجهها مشكلة في تقويم تلامذة الصف ومعرفة محدثي الشغب بينهم. إذاً لماذا لم ترَ أخطاء سبانس؟ صحيح انها لم تخرج معه مدة طويلة، ولكن بدا من الواضح جداً انهما يعرفان كل ما يرغبان في معرفته عن بعضهما البعض! ولكن في خلال فترة خطبتهما القصيرة، كان لا بد بالتأكيد من وجود دلائل متاعب آتية لكنها لم تر أياً منها.

تحركت بصعوبة، وقد لفح جسدها الهواء البارد لتستقر وقد تكوّمت في وسط السرير وأخذت تتأمل.

لطالما عرفت سبانس دائماً، أو على الأقل عرفت ما كان

هو، لقد كان يكبرها بأربع سنوات، لكن في مدينة بحجم منطقة هاموند، كل فرد يعرف الآخر. وكان ذلك ينطبق على سبانس في شكل خاص، طالما ان ما من احد في المدينة لا يعرف عن والده، جون غرينفيلد سمسار البورصة الذي كان أهلاً للثقة والاحترام ثم تحوّل ليصبح بخلاف ذلك. جون غرينفيلد الذي فُضح أمره وأصبحت مقاضاته أمراً مؤكداً عمد إلى شراء خرطوم ماء، يستعمل عادة في الحديقة، وقاد سيارته إلى طريق فرعي ومنعزل ليتنشق أول أوكسيد الكربون، ليضع حداً بذلك لكل شيء.

أجل، كل شخص في منطقة هاموند يعرف ما هو سبانس غرينفيلد.

قالت شرلي محدثة نفسها، وهي تتحرك بانزعاج تحت كومة الملاءات، إن أية امرأة لديها تفكير سليم لكانت تساءلت إذا كان من المحتمل ان يشبه سبانس والده قليلاً، في آخر الأمر.

لكن مهما بحثت بجد في ذاكرتها، فلم يكن هناك شيء، ولا أية ملحوظة تدل على عدم الاخلاص والازدواجية، وما هناك من سبب لتشك فيه.

ذكرت شرلي نفسها، بالطبع كانت تلك الطريقة التي كان والده يتبعها لكي يوقع بطرائده أيضاً منذ زمن بعيد.

ولكن اذا كان سبانس على غرار والده، فلماذا بقي في منطقة هاموند أصلاً؟ لماذا لم يبدأ من جديد في مكان آخر، حيث لم يكن اسمه ذائع الصيت هناك؟

لم يحدث لشرلي من قبل أن سألت نفسها هذا السؤال. كانت ببساطة سعيدة لأنه بقي، ليس من أجل نفسها في

الدرجة الأولى، بل كانت سعيدة لأن مارتن قد وجد نائباً جيداً له.

حتى ذلك الحين، لم تكن تعرفه جيداً. بما أنه كان أكبر سناً منها وبما انها غادرت البلدة إلى الكلية، فقد كانت فرص لقائهما قليلة. لكن عندما أصبح يعمل لدى شركة هدسون للمنتجات أخذت تراه بانتظام، في المكتب عندما كانت تذهب لرؤية مارتن، وفي المنزل عندما يأتي للعشاء أو حين يمرّ عليهم ومعه أوراق عمل أو شيكات مدفوعة يجب التوقيع عليها. ووجدت شرلي انه شخص جدير بأن يُحب، وانه مسلٍ دائماً. لكنها لا تعرف حقاً متى بدأت تنظر إليه كرجل، رجل جذاب جداً ووسيم ومثير جداً. وتمنت أن ينظر إليها كامرأة وليس فقط كقريبة لمارتن هدسون. وحسب ما تعتقد، حصل ذلك في احد أيام ذلك الخريف. وبرغم انها هي نفسها لم تلاحظ ذلك حتى شهر كانون الأول الماضي، في الليلة التي أقامت فيها شركة هدسون للمنتجات حفلة رأس السنة.

لم تكن شارلوت قد تعافت تماماً بعد من النوبة في الرئة التي أصابتها في الخريف، لكنها أصرّت على حضور الحفلة. وكانا، مارتن وشرلي، يعتقدان انها لا تستطيع تحمل ذلك بعد، لذا لم يدهشا عندما نالها التعب في منتصف الحفلة. قال مارتن عندما وجد شرلي ترقص في حلبة الرقص ليخبرها ان عليهم العودة إلى المنزل: «انه من المخجل ان نجعلك تغادرين أنت أيضاً.» ثم أضاف: «ان شارلوت تبدو متعبة، وان حاولت التحامل على نفسها، فانها ستعود إلى المستشفى في الأسبوع المقبل.»

اعتذرت شرلي في الحال إلى شريكها في الرقص. وكانت قد خطت خطوتين فقط نحو حجرة الايداع لاحضار معطفها، عندما تَدَّخلَ سبانس وسأل بلطف: «هل السيدة هدسون تحتاج حقاً الى عناية شرلي أيضاً؟»

بدا مارتن منذهلاً، فقال: «لا أعتقد ذلك، لكن...»

«إذاً، سأتأكد من ان تصل شرلي إلى المنزل بأمان.»

استدارت شرلي نحوه بتعجب. كانت قادرة تماماً على العودة إلى البيت بمفردها، اذا وصل الأمر إلى هذا الحد. صحيح ان سيارتها ليست معها، لكن عندها الكثير من الأصدقاء، ومنطقة هاموند فيها سيارات أجرة. ومع ذلك، فقد كان من حسن انتباهه ان يعرض ذلك. وبدأت كلامها قائلة: «هذا لطف منك.»

«ليس في ذلك أي ازعاج، فان ذلك على طريقي.»

ضايقتها قليلاً عبارة الصرف تلك وقبل أن تتمهل لتفكر فيها قالت شرلي بفظاظة: «وماذا إذا كان يبعد آلاف الأميال؟»

نظر إليها لحظة بدت وكأنها لن تنتهي، وقال بهدوء: «سأكون سعيداً بالقيام بذلك، على أي حال. ليس من أجل عمك فقط.»

ظهر فجأة شيء من الوقار والجدية في تينك العينين الرماديتين الداكنتين عندما نظر إليها، الأمر الذي جعل شرلي تتنهّد لتتنفّس في ما لو قال ما نطقت به عيناه...

لكن كل ما قاله كان: «هل ترقصين معي؟»

هكذا بدأت قصتهما معاً، برقصة ونظرة، وأمسية هادئة تغمرها السعادة تحوّلت فجأة إلى شراب مليء بالفقاعات

اللاهثة. عندما انتهت الحفلة وأوصلها سبانس إلى المنزل عرفت شرلي ان هذا ما كانت تنتظره طوال الخريف.

سار معها حتى الباب الأمامي وفتحه لها. ثم أعاد إليها المفتاح، وبرغم انها وضعت يدها على المقبض، لم تدره. هل كانت هي وحدها تشعر بسحر في الهواء الليلة؟ ولم يقم بأي حركة ليقبّلها، أو حتى ليمسك بيدها وهما يسيران نحو المنزل. قد تكون هذه الليلة الوحيدة التي تسهرها معه، ولم تكن تريدها أن تنتهي. لكن كم من الوقت تستطيع الوقوف هناك، آملة؟

سألها: «هل لي أن أراكِ ثانية؟»

خشيت شرلي أن تسمح لنفسها بالتفكير انه يعني ذلك حقاً. ربما شعر ان عليه أن يقول شيئاً ما ليحطم جدار الصمت، والكلمات كانت عادية جداً.

قالت بخفة: «عليّ القول انه لا يمكنك تحاشي ذلك نظراً إلى الظروف الراهنة.»

«لم يكن ذلك ما قصدته، يا شرلي.»

كان هناك رنة غريبة في الطريقة التي لفظ بها باسمها فهمست قائلة: «أرغب في ذلك.» وقد دهشت هي نفسها بعد ذلك، لأنها مررت شفتيها في ذلك الحين، على الغمازة في ذقنه وقد أخذت بالطريقة التي قبّلها بها في المقابل.

لقد بدأ الأمر بهذه البساطة. وفي غضون أيام، أصبحا حديث الناس في المدينة. وبعد أقل من اسبوع، كانا يمضيان معاً كل ليلة تقريباً.

بينما كانا يحتسيان عصيراً في نادي البلدة في احدى الليالي، ضمّها إليه قائلاً، وفي صوته نبرة متوترة: «أعتقد

اني مجنون، حتى في ان أريك هذا، لكن...» وسحب من جيب سترته علبة صغيرة بنفسجية اللون.

اتسعت عينا شرلي دهشة عند رؤيتها الحجر الماسي وقد وقع عليه الضوء الخافت الحالم الذي ينبعث من الشمعدان القريب وقد تحوّل شعاعه إلى أقواس قزح متراقصة.

أغلق سبانس العلبة وقال بصعوبة: «لا أريد أن أضغط عليك لكني أتمنى أن ترغبي في أن تضعيه يوماً في اصبعك، وهكذا...» ومرر يده في شعره.

ثم أضاف: «اني تصرفت بغباوة، انسي الأمر.»

أمسكت بيده من دون أن تراها، من دموع الفرح التي ملأت عينيها، وقالت بصوت منخفض: «لكني لا أريد أن أنسى ذلك يا سبانس، آه، نعم، سأتزوج منك...»

فكرت شرلي: إنه لأمر مضحك، لقد لاحظت الآن فقط، أنه لم يتقدم فعلياً في طلب يدها.

تقلّبت بتململ في السرير البارد. وفجأة لم تعد متضايقة من خشونة الملاءات التي ما زالت متجمدة، فحرارة جسدها لم تبدأ بعد في تخفيف حدة برودتها. وكيف ذلك وقلبها كان أكثر تجمداً من شدة الألم.

لقد وافقت على عرض للزواج لم يعرض عليها فعلياً. فكل ما قام به سبانس هو اخبارها انه قد يتقدم يوماً إلى الزواج منها، لكنها أجابت عن سؤال لم يطرح عليها، ووافقت على طلب لم يُقدم إليها. ونكرت نفسها انه لم يكن حزيناً تجاه ذلك. ومع ذلك، ماذا كان يفترض بالفتى المسكين أن يفعل؟ أن يخبر قريبة رئيسه في العمل انه لم يعن ذلك تماماً، بعد ما حصل؟

دفعت بالوسادة فوق رأسها. لكن ذلك لم يساعدها في اخفاء عذابها. هل شعر انه وقع في شركٍ؟ وان كان الأمر كذلك، فهل أراد، من دون وعي منه، على الأقل، أن يمسك متلبساً ذلك اليوم في الكوخ؟ هل أراد أن يفر هارباً قبل فوات الأوان؟

لم تفكر شرلي في ذلك المخطط من قبل، وقد جعلها ذلك مشمئزة قليلاً، لأنه كان التفسير المنطقي الوحيد الذي استطاعت ان تجده. وعلى أي حال، لماذا أحضر وندي إلى المنزل؟ لقد سألت نفسها ذلك السؤال ألف مرة. لماذا لم يفكر في ان يأخذ الفتاة إلى فندق أو إلى شقته بدلاً من أن يحضرها إلى كوخ البستاني، إلى المنزل الذي سيتشارك فيه مع عروسه؟ لا بدّ انه كان يعرف ان شرلي قد تمرّ من هناك...

غفت أخيراً، لكن نومها كان نوماً خفيفاً، يزعجه تساقط تهاطل المطر بقوة على السقف المصنوع من الصفيح. حتى انها فكرت مرة في خلال الليل. انها سمعت صفق باب، لكن ذلك لا يمكن أن يكون، فقد تحققت من جميع الاقفال. لا بد انه غصن انكسر وسقط على جانب الكوخ. على أي حال، كانت متعبة. والكوخ بارد جداً لتنهض وتبحث عن أشياء غريبة صدف انها سقطت في الليل.

عند الصباح كان جنون العاصفة قد رحل، لكن السماء ما زالت داكنة اللون وكئيبة. وانسلت شرلي من الفراش رغماً عنها. قالت في نفسها: قد تكون الغرفة الرئيسية أكثر دفئاً. سترتدي ملابسها بسرعة... أو قد لا تزعج نفسها بذلك. تناولت رداءً سميكاً من حقيبتها وانتعلت حذاء فرو خفيفاً

وقررت أن تشعر بالدفء أولاً ثم تكون عندها الشجاعة لارتداء ملابسها.

كانت الغرفة الرئيسية أكثر دفئاً، لكن ليس بكثير وبقايا النار كانت باردة ورمادية. لربما كان عليها أن تبقى حتى تخمد النار كلياً لكي تتمكن من أقفال الصمام المنظم. ما من شك ان كل الحرارة قد خرجت من هناك، مباشرة نحو المدخنة. بالإضافة إلى ذلك، ان مدفأة المازوت تبدو مضحكة، فقد كانت تصدر صفيراً غريباً وخافتاً.

لاحظت انه لم يكن صفيراً، بل غطيط. ولم يكن مصدره المدفأة، بل الاريكة القريبة منها.

الغطيط يعني وجود شخص... وقالت في نفسها: «لا ريب انه مسافر داهمته العاصفة، دخل إلى الكوخ ظناً منه انه شاغر. لربما كان ذلك الصوت الذي سمعته في الليل ناجماً عن تحطم زجاج النافذة، ان تحطم الزجاج هو بالتأكيد المسؤول عن انخفاض الحرارة في الغرفة. لكن أي نوع من المسافرين قد يخرج في تلك العاصفة ليلة البارحة، يبحث عن مأوى في كوخ منعزل بعيد عدة أميال عن أي مكان؟ انسان لا منزل له؟ مجرم فار؟

سارت على رؤوس أصابعها عبر الغرفة ونظرت من فوق مسند الأريكة إلى زائرها غير المرتقب... والتقطت انفاسها وكادت تفقد توازنها. لقد كان اختيارها الوحيد...

لقد كان ممدداً على جانبه، واحدى ذراعيه ملقاة فوق رأسه وملاءة هندية زاهية اللون مرفوعة حتى ذقنه. كانت الملاءة قصيرة جداً وقد بقي نحو اثني عشرة

بوصة من رجليه دون غطاء. لم يزعج نفسه بخلع حذائه. وكان شعره الأسود أشعث وكأنه تبلل بالماء ثم ترك ليجف وحده.

طرفت شرلي عينيها ونظرت ثانية وشعرت وكأن معدتها تدور ببطء في حركة تقلب مزدوجة، لا، ان عقلها لا يخدعها. فالرجل النائم على الاريكة، نوماً عميقاً آمنا، كان سبانس غرينفيلد، حقاً.

www.elromancia.com

الفصل الرابع

بدا سبانس وكأنه قد أحسّ بوجودها، فقد أفاق فجأة. وتحرك بسرعة كبيرة، دافعاً الملاءة بعيداً عنه ليهب على رجليه، مما جعل شرلي تتراجع خطوتين الى الوراء في ذهول تام. استرعت الحركة انتباهه فاستدار ليواجهها.

وقفا ثواني يحدقان ببساطة إلى بعضهما البعض.

لو ان شرلي كانت تدرك ان ذلك غير معقول، لكانت أقسمتْ ان قوة كبيرة قد أخفت سبانس غرينفليد الانيق اللبق الذي عرفته ووضعت بديلاً مكانه.

بدا منهكاً، فقميصه وسرواله الجينز كانا متجعدين. وكان هناك خط أحمر طويل على احدى وجنتيه حيث القى وجهه على حافة الاريكة واستلقى. لقد بدا وكأنه ندبة من خلال شعر نقنه.

كان على شرلي الاعتراف. انها هي أيضاً، لا تبدو وكأنها هي نفسها. فلم تزعج نفسها بتسريح شعرها الذي كان على الارجح أشعث حينها. حتى رداؤها الدافىء والعملي كان يختلف جداً عن الرداء الساتاني المزين بالشرائط، الذي كانت قد قررت ان تحمله معها في رحلة شهر العسل. كما أنه لم يرها من قبل من دون أحمر الشفاه وظلال العيون على عينيها، تماماً كما لم تره هي وقد بدأت شعيرات لحيته المهملة بالظهور.

فغر سبانس فاه وكأنه سيعّلق على مظهرها وعطس بدلاً من ذلك.

أعاد الصوت شرلي الى الواقع ثانية، فأدخلت يديها في اعماق جيبي ردائها وقالت بحدة: «ماذا تفعل هنا؟»

انقبض فم سبانس وقال: «حسنٌ، بالتأكيد، لم آت حتى اراك، ان كان ذلك ما تلمحين اليه.»

«آوه؟»

قال: «اللعنة، لا. فكل المدينة تعرف أنك ذاهبة الى الباهامس. لو كنت اريد ان أرتمي بين ذراعيك فهذا آخر مكان كنت قد ذهبت اليه.» وجلس على الاريكة ثانية واضعاً رأسه بين يديه ليتلفظ بكلمات بذيئة قد تجعل شارلوت هدسون تتوعده بغسل فمه بالصابون لو عرفت بها.

قالت شرلي باقتضاب: «ذلك يعبّرُ عن احاسيسي تماماً.» استدارت حول الاريكة لتصبح في مواجهته واضافت: «وبما أننا متفقان في شكل واضح على أننا لا نريد ان نكون كلانا هنا، فعلى احدنا المغادرة. بما أنني كنت هنا قبلك فعليك ان تغادر أنت.»

هزّ سبانس رأسه، دون ان تحمل حركته هذه اي استخفاف بالمعارضة، ولا تحدٍ غاضب. ثم قال: «ليس في هذه الحال.»

سألته: «ماذا تعني؟»

«هل نظرتِ إلى الخارج؟»

نظرت شرلي الى النافذة. ولم تستطع الرؤية من خلالها. للوهلة الأولى تساءلت فعلاً ان كان مارتن قد استبدل بالواح الزجاج زجاجاً واقياً، ذلك الشكل المزين بالنقوش الذي

يسمح بدخول النور ويمنع اختلاس النظر عبره. ولاحظت في ما بعد ان ليس هناك من خطب في الزجاج ما عدا طبقة قاسية من الجليد تُغلّفه من الخارج. فقطرات المطر التي تساقطت على الزجاج قد تجمدت وهي تنزلق عليه محدثة طبقة من الجليد بتصميم معقد.

فتحت الباب الأمامي غير راغبة في تصديق عينيها، فالتفّت الريح من حولها، لافحة صدرها وبدا البرد وكأنه يقضم رؤوس اصابعها، وقد تهددت القدم التي وضعتها عند المصطبة بالانزلاق من تحتها.

كانت أرضها مغطاة بنحو بوصة من الجليد، برغم السقف الواقي فوقها.

امسكت مقبض الباب واندفعت الى داخل الكوخ.

قال سبانس: «لقد نجحت في الوصول حتى بُعد نحو ميل من هنا، قبل أن تسقط السيارة في حفرة عميقة، اعتقدت على الأقل، أني كنت أبعُد من هنا نحو ميل وهكذا...»

كانت شرلي قد اتكأت على الباب وهي ترتجف. فقاطعته قائلة: «وهكذا مشيت؟ ذلك جنون يا سبانس. الا تعرف انه يفترض بك البقاء داخل سيارتك في اثناء العاصفة؟»

أجابها بغضب: «بالطبع، اني اعرف ذلك، اعرف أيضاً ان ما من أحد قد يبدأ البحث عني في اي وقت قريب. لذا لم ارغب في البقاء في تلك السيارة متجمداً من البرد طيلة الاسبوع المقبل. كان عليّ ان أخرج من هذه الحالة.»

ادركت حكمة التصرف في ذلك. وبرغم ذلك، جعلت فكرة السير في الظلام، وفي العاصفة، جسمها يرتعش.

اضاف: «في الوقت الذي وصلت فيه الى هنا، كنت قد

تجمدت من البرد، فجلست الى جانب المدفأة طالباً الدفء واعتقد أني غفوت بعدها.»

سألت شرلي: «ألم تتساءل لِمَ هي دافئة؟» وابتعدت عن الباب وسارت لتقف إلى جانب المدفأة مضيفة: «أم ان عقلك كان متجمداً جداً حيال هذا النوع من المنطق؟»

قال: «بالطبع لم أتساءل. فقد اتصل مارتن بالرجل المسؤول عن الكوخ وطلب منه ان يفتحه لي.»

بلعت شرلي ريقها بصعوبة. اذاً لهذا السبب كان الكوخ دافئاً عندما وصلت وادركت أخيراً ان السيدة هاربر لم تقم بالعجائب لايجاد جوباكستر.

عطس سبانس ثانية.

قالت شرلي بفتور: «لقد اصبت بالزكام.»

تنشق بعمق وأخرج منديلاً من جيبه ثم قال: «تهانينا، يا شرلوك هولمز.»

قالت: «لا حاجة بك إلى ان تكون متهكماً. انك تستحق ما اصابك، لقد بللك المطر ولم تزعج خاطرك وتجفف جسمك.» وتراجعت قليلاً لتقترب اكثر من المدفأة، وجالت بعينيها في ارجاء الغرفة فرأت على الأرض عند طرف الاريكة حقيبة من القماش لم ترها من قبل. وكانت تلك الشاهد الوحيد على وجوده، أي الحقيبة وسبانس نفسه بالطبع.

بدت عطسته الثالثة وكأن رأسه كاد ينفجر. وقد بدا ذلك من الطريقة التي تأوه بها وارتمى على الاريكة.

تنهّدت وقالت: «سأعد لك الشاي.»

قال بصوت غليظ: «لم يسألك أحد ان تقومي بدور الممرضة.»

www.elromancia.com

لكنها لم تزعج نفسها حتى بالرد عليه.

كان النور في المطبخ معطلاً. ولم تكن لتفاجأ بذلك؛ فقد كانت الاسلاك مغطاة بالثلوج بما لا يقل عن بوصة تقريباً، فما من شيء سيعمل. لكن على الأقل، كان هناك الفرن الذي يعمل بالمازوت. وفي غضون دقائق قليلة كان الابريق يصدر صفيراً بهيجاً.

فكرت شرلي، ان ذلك قد ينفع، لأن الأمر الذي تعوزه الحيوية فقط، يمكنه ان يعبّر عن روح الدعابة في هذه الحالة.

كانت عينا سبانس مغمضتين عندما عادت إلى الغرفة الرئيسية، لكن عندما ازاحت طاولة صغيرة إلى جانبه، استوى في جلسته ونظر إلى الصينية التي وضعتها على الطاولة. كان عليها فنجانان كبيران من الشاي وقد تصاعد البخار منهما. اضافة إلى كوب طويل من عصير البرتقال. لكنه ركزّ نظرته على قرص الدواء الموجود على حافة الصينية.

قالت شرلي باقتضاب، وهي تجلس على كرسي قريب: «مضاد للالتهاب. لقد وضعت قرصين في حقيبتي اليدوية الشهر الماضي عندما اصيبت شارلوت بزكام، ونسيت ان اعيدهما إلى خزانة الأدوية.»

تناول سبانس قرص الدواء وكوب العصير وقال: «اكرّر قولي أنت لست ممرضة، بل أنت ساحرة.»

جعلتها نبرة الامتنان في صوته غير قادرة على الكلام مما أضطرها إلى التنحنح قبل ان تستطيع القول: «لا تتحمس كثيراً. معي قرصان فقط، وكل واحد منهما يستمر مفعوله اثنتي عشرة ساعة فقط.»

ابتلع سبانس القرص وقال: «أشكرك على ذلك ولن اقلق في شأن الغد.»

بدا وكأن حنجرته تؤلمه أيضاً، هذا ما فكرت فيه شرلي. بالاضافة إلى تصرفه العابث، فقد جعلها تشعر بالغضب قليلاً فقالت ببرودة: «ومن ناحية أخرى فليكن في علمك ان قرص الدواء ذاك قد يكون فعلاً سمّاً قاتلاً.»

ابتسم قليلاً وقال: «في تلك الحال كان عليك ان تعطيني القرصين.» ثم استلقى على الاريكة وهو يضم فنجان الشاي بين يديه، ثم اغمض عينيه قائلاً:

«لماذا لم أرَ سيارتك الليلة الماضية؟»

«انها في الجهة الخلفية.»

اومأ برأسه، وقال: «لم أتعثر سوى بالباب الامامي. هل يمكن اخراج سيارتك؟»

هزت شرلي كتفّيها من دون مبالاة وقالت: «ان قدت سيارتك إلى الحفرة، فلِمَ تظن ان سيارتي لن يحدث لها ذلك؟»

«لقد طلع ضوء النهار، على الأقل.»

«ماذا يعني ذلك؟ فسيكون امامنا منظر رائع ونحن ننحرف عن الطريق. هل تضررت سيارتك كثيراً؟»

من دون ان يفتح سبانس عينيه اجابها: «لم أبقَ لاتحقق من جوانبها. لكني لا اعتقد ان مجرد طلاء خفيف سيكفيها.»

ذكّر ذلك الأمر شرلي بالاشياء الأخرى التي كان يشتريها من مخزن الخرضوات. فقالت: «ألهذا جلبت تلك الشموع معك؟»

«نعم، لا تقولي لي ان التيار الكهربائي مقطوع أيضاً.»

www.elromancia.com

تحركت شرلي في مقعدها ثم ثنت ساقها، وسألته: «هل يأتي جو ليتفقدك؟ ليحضر لك المؤونه أو اي شيء؟»

«لا بد أنك تمزحين. ان يأتي الرجل الذي يهتم بالمنزل؟ وفي هذا الطقس؟ اذا كنا نحن لا نستطيع الخروج...»

«لا بدّ أن عنده جراراً، أو حتى احدى تلك العربات التي تسير على الأرض الوعرة مهما كانت طبيعتها.»

حكّ سبانس أنفه ثم قال: «لقد أخبره مارتن بأني لا أرغب في ان يزعجني أحد. لذا اعتقد انه قد وضع ما يكفي من الطعام والحطب كما طلب منه، ولن اراه مطلقاً طوال الأسبوع.»

تنهدت شرلي وقالت: «اللعنة، اني حتى لم اتكلم معه، لقد طلبت فقط من المسؤولة عن المخزن في المدينة ان تقول له بعض الاشياء، لكن بما أنه قد فعل ما طلبته، فهو، على الارجح، لن يقلق في شأني أيضاً.»

قال سبانس: «وبما أنه يعرف ان كلانا هنا...» هزّ رأسه بحزن واضاف: «لا اعتقد انه سيفكر في ازعاجنا.»

ارادت ان تتأوّه. لقد كان على حق بالطبع؛ سيفترض جو باكستر ان هذا لقاء عاشقين ويبقي نفسه بعيداً. قالت: «ان منزل جو يبعد ميلاً واحداً فقط نحو الشرق من هنا. في لمكاننا...»

فتح سبانس عينيه ببطء وقال: «تلك هي المسافة التي قطعتها أمس، انظري إلى حالي.»

«إنها لا تمطر الآن.»

قال: «لقد تدنت الحرارة بسرعة حتى هذا الصباح، يا شرلي. سنتجمد قبل ان نقطع اول هضبة. علينا ان يتحمل احدنا الآخر يوماً أو يومين، هذا كل شيء.»

عضت شرلي على شفتها السفلى. ان يتحمّل كل منّهما الآخر. انها تراهن على أن الأمر يبدو أسهل مما هو عليه فعلاً.

ثم اضاف بتمهل ووضوح: «علاوة على ذلك، لا يمكن ان يستمر ذلك الى الأبد.» وما هي إلا ثوانٍ قليلة حتى بدا وكأنه قد غط في النوم.

فكرّت، ان الراحة كانت على الارجح الشيء الأفضل بالنسبة اليه. فهو يبدو مرهقاً من جراء السير مسافة ميل تحت الثلج المنهمر. لقد كان محظوظاً لأنه عثر على الطريق المؤدي إلى الكوخ، ففي العاصفة، وفي بلد غريب، كان سهلاً ان يضّل الطريق.

ذكرّت نفسها ان الأمر حسن بحيث لم يضّل الطريق. لذا ليس هناك من معنى في ان ينتابها الذعر في ما كان سيحدث.

نهضت عن مقعدها لترتدي ملابسها وتجلب بعض الحطب ثم تبحث عن شيء تأكله.

لم تفطن إلى انها قد احدثت صوتاً، لكن سبانس من دون ان يتحرك أو يفتح عينيه، قال: «شكراً، يا شرلي.»

قالت: «لا عليك.» وتقدمت خطوتين نحو غرفة نومها ثم اضافت على نحو سمج: «آسفة لأنك يجب ان تناضل معي، بدلاً من وندي.»

همهم قليلاً وكأنه يوافق على ذلك، لكنه لم يجبها.

فكرت شرلي في أنه قال شيئاً ما في وقت سابق على رغبته في ان لا يزعجه أحد. أكان من المعقول أنه خطط للقاء وندي هنا؟

بالطبع انها لا تتخيل مارتن يقوم بالترتيبات له ليستعمل هذا المنتجع الصغير المريح، لو ان ذلك كان هو واقع الحال. وان كانت تلك خطة سبانس، فلماذا لم تأتِ وندي معه بكل بساطة؟ لكن لعل مارتن لا يعرف ذلك.

سألت: «هل كنت تتوقع منها ان تلتقيك هنا؟ أعني قبل ان تبدأ العاصفة.»

«لا.» كلمة وحيدة قالها وكانت صارمة وقاطعة.

حاولت ان لا تشعر بالارتياح وقالت في نفسها ان فكرتها كانت سخيفة على اي حال. فقد كانت في واقع الأمر على شفير جنون الارتياب. لكن شيئاً ما لم يدعها تتوقف، فسألته: «لماذا أتيت إلى هنا، يا سبانس؟»

اعتقدت للحظة انه لن يجيب على الاطلاق. غير انه قال أخيراً: «لأفكّر.»

«آوه.» لم يكن ذلك جواباً وعرفت انها يجب ان تكتفي بذلك، لكنها لم تستطع. فقالت: «لو أني أفهم فقط ما تعنيه لك يا سبانس...»

قال بصوت يحمل اثار انزعاج واضح جداً: «لا شيء، اللعنة عليها.»

لا شيء؟ لقد تسبب بكل هذا الصخب في حياتهما من أجل امرأة لا تعني له شيئاً؟ ولم يكن في مقدور شرلي تحديد شعورها حيال ذلك ان كان حزناً أو اشمئزازاً في اعماق قلبها، أو قليلاً من الاثنين معاً. كيف أوقعه شعوره في الفخ مع اقتراب يوم زفافه، ليذهب معه إلى هذا الحد لكي يوقفه!

قالت ببطء: «في هذه الحالة، أشعر أنني اسوأ من قبل.»

كان سبانس قد غفا ثانية، عندما خرجت من غرفتها، وقد

ارتدت كنزتين وسروال الجينز. كان جزء منها يرغب في أن يندس تحت الاغطية والبقاء هناك طيلة النهار بحيث لا تكون مضطرة إلى مواجهته، لكن برودة غرفة النوم كانت أثقل عليها من ذلك.

اختلست النظر من فوق مسند الاريكة في الوقت الذي اطلق فيه نفساً طويلاً محدثاً غطيطاً، حفيفاً، ولم يكن سيئاً جداً. في الواقع، كان من النوع اللطيف وكأنه يُصدر نوعاً من الخرخرة تقريباً.

فكرت ملّياً، يجب ان يكون هناك قانون ينص على ان أي شخص يغط عليه ان يخبر من سيصبح شريك حياته بذلك ثم ذكرت نفسها، ان لا شأن لها بالتأكيد بعد الآن ان كان سبانس يغط أو لا.

ازداد احمرار وجنتيه، لا بد أن حرارته مرتفعة قليلاً، وعضت على شفتها اهتماماً. هل كان يعاني من الحمى؟ وان كان كذلك، فماذا يسعها ان تفعل؟

وضعت راحة يدها على جبهته بحذر وبطء شديدين.

مال سبانس بسرعة إلى أحد جانبيه وفتح عينيه.

تصورت للحظة، انها رأت في عينيه تلك النظرة عينها التي كانت تراها عادة قبل ان يقبّلها مباشرة، وجاءت ردة فعلها بالطريقة ذاتها، أيضاً، فقد شعرت فجأة بداخلها وكأنها حلوى لزجة معدّة من الليمون في أمسية دافئة.

اتقد وجه شرلي احمراراً. فلم يعد عندها سيطرة على نفسها أكثر من ذلك! وقالت متهمة اياه: «انك تتقلب كثيراً.» ثم اضافت: «كنت أتحقق فقط ان كنت مصاباً بالحمى.»

نظر إليها وقال: «وما هو حكمك؟»

www.elromancia.com

قالت بصدق: «لست متأكدة. فحرارتك لا تبدو مرتفعة جداً، لكن لعل يدي باردتان اكثر من المعتاد.»

لاح بريق سخرية في عيني سبانس، وقد ارتفع احد حاجبيه السوداوين موارباً.

رفعت شرلي رأسها قليلاً بتشامخ وقالت في نفسها يمكنه ان يفكر في ما يريد. ان كان خيالياً جداً إلى درجة تجعله يعتقد انها قد تختلق اي عذر لتلمسه...

قالت في نفسها، لا تكوني حمقاء. انه لا يفكر، بالطبع، في أي شيء من هذا القبيل. وتلك النظرة الكئيبة المثيرة قد تكون من نسج مخيلتها أيضاً. وحتى ان كانت حقيقية، فانها لا تعني شيئاً؛ فالانجذاب الحسي لا يقترن دائماً بالحب والاحترام.

نهض سبانس وقال بمرح: «ارتكب جريمة من اجل حمام ساخن.» ثم استطرد:

«كيف حال مخزون الماء؟ أم هل هذا توقف أيضاً مع انقطاع الكهرباء؟»

أجابته: «لا، انه يعمل في الوقت الحاضر على الأقل. هناك خزان ماء وسخان يعمل على المازوت أيضاً. واني لا أشرب من الماء الموجود، برغم ذلك، لأنها قد لا تكون مياهاً نقيّة تماماً.»

قال: «جيد. لن أشرب منها، بل سأغرق فيها فقط.» والتقط الحقيبة المصنوعة من القماش واضاف قائلاً: «أي غرفة نوم؟»

«لقد استعملت الغرفة التي على اليمين.»

لم تشاهده وهو يعبر الغرفة. فقد كانت تفكر في غرف

النوم المنفصلة في اليوم الذي كان مفروضاً ان يكون يوم زفافهما.

قالت في نفسها بصراحة، ليس لديّ أي نيّة لتغيير ذلك الآن.

بحثت في محتويات الثلاجة المظلمة قبل ان تقرر ماذا تأكل. وكانت تضع شرائح من الجبنة السويسرية في شطيرتين، عندما ظهر سبانس ثانية، وبرغم ان اصابعها ارتعشت قليلاً عندما اقترب منها، فلم تنظر اليه.

سألها بتأثر واضح: «هل هذه سلطة سرطان؟»

اومأت شرلي برأسها ووضعت الشطيرتين في المشواة وقالت: «لا تفكر في شيء. بما ان التيار الكهربائي مقطوع، كان عليّ اما ان استعمل السرطان، واضعه في الخارج حيث يتجمّد ويفسد، أو أتخلص منه فوراً، لذا...»

ابتسم قليلاً وقاطعها قائلاً: «لذا اخترتِ ان تتخلصي من قسم منه باطعامي اياه. شكراً يا شرلي. اتعرفين، أنت رفيقة جيدة.»

لم تستطع شرلي ان تدرك لِمَ جعل ذلك التعليق العابث الدمع يظهر في عينيها، بينما مرت في السابق بحالات مماثلة من دون ان تبكي. لكنها كانت لتتضايق فعلاً لو أنه رآها تبكي. حركّت حساء اللحم في القدر ووضعت بعضاً منه في كوب، وقالت: «هاك هذا، يمكنك ان تبدأ به. حاذر، إنه ساخن جداً.»

احتسى سبانس قليلاً منه وقال: «ماذا؟ ليس حساء دجاج؟ لقد خاب ظني بك.»

حدّقت شرلي إليه ورأت في عينيه وميض انزعاج.

www.elromancia.com

لكن ذلك التعبير اختفى حالاً وتركزت نظراته على فمها.

قالت في نفسها، ربما لأن شفتيّ ترتعشان وليس لأنه يرغب في تقبيلي.

قال سبانس بارتباك: «آسف. قصدت فقط ان الطّف الجو قليلاً.»

لم تكن شرلي تستمع إلى ما كان يقوله. كانت تتوقع ان يعيده الاغتسال وتبديل الملابس إلى الرجل الذي عرفته من قبل. لكن ذلك لم يحدث بالطبع، برغم انه بدا أفضل حالاً مما كان عليه في الصباح الباكر. كان يرتدي قميصاً صوفياً نظيفاً ذا خيوط زرقاء وحمراء متقاطعة مما جعل لون عينيه الرماديتين ضارباً إلى الزرقة. وقد جفّ شعره فبدا جعداً قليلاً وليس أملس كما اعتادت رؤيته. واللحية النامية حديثاً كانت على حالها...

سكبت لنفسها كوباً من الحساء وسألته: «هل تبغي شيئاً من تلك اللحية؟» ثم اضافت: «هل تسعى لأن تكون ساكن الغابة لهذه السنة أو شيئاً من هذا القبيل؟»

قال: «آوه، لا. ذلك فقط لأني جلبت معي آلة الحلاقة الكهربائية.» وفرك فكه بتكاسل باحدى يديه وكأنه قد اصابته الحكة، ونظر إلى المشواة خلفها وأضاف: «لا أرغب في ان أكون مزعجاً، يا شرلي، لكن سلطة السرطان تلك تبدو شهية، وأكره أن تتحول إلى قطعة فحم.»

سحبت الشطيرتين في اللحظة التي بدأ فيها لون الجبن السائل يصبح بنياً، ومن حسن حظها ان حرارة الفرن ستبرر سبب احمرار وجنتيها. كانت واقفة هناك تحدق إليه وكأنها نعجة، ماذا دهاها. كانت تبدو وكأنها لم ترَ هذا الرجل من قبل!

تناول سبانس صحنين من بين عدد من الصحون في الخزانة، نظر اليهما بانتباه ومسحهما بمنشفة. وقال: «ذلك سيجعلهما نظيفين كفاية.»

قالت: «وخصوصاً اني قد أنهيت غسلهما للتو.» ووضعت شرلي شطيرة في صحنه قائلة: «رقائق التاكو!»

هزّ سبانس رأسه وقال بمرح: «كل وسائل الراحة المنزلية.» وجلس إلى الطاولة الصغيرة وأمسك بشطيرته.

سألت شرلي، ما الذي يعنيه بقوله هذا؟ منتجع مريح وامرأة شابة تهتم به، من دون تعقيدات؟ تلك الجملة جعلت جفون عينيها توخزها في شكل مؤلم. فقالت: «استنتج من قولك هذا، أن كل شيء سيكون رائعاً طالما دواء الالتهاب متوافر وأنا لم اتعب من الطبخ.»

قطّب سبانس حاجبيه قليلاً بتجهم وقال: «لم اطلب منكِ ان تهتمي بي، يا شرلي.»

كان صوته هادئاً ومتزناً. وكان عليها الاعتراف بحقيقة ما قاله. وبرغم ذلك، بقيت تشعر بقليل من السخط. فقالت محذرة: «لا تعتمد على استمرار ذلك.»

قال: «إني لست كذلك. لكني لن اتسابق واياك لأرى من يبادر أولاً.» وضع الشطيرة في الصحن. ونظر اليها بتأمل، واضاف: «مشكلتك أنكِ معتادة تنفيذ كل نزوة لشارلوت حتى قبل ان يُطلب منك ذلك.»

«لو أني كنت أريد تحليلاً عن عيوب شخصيتي، يا سبانس....»

تجاهل مقاطعتها واضاف: «انك تذهبين مباشرة وتقومين بما تعتقدين انه يجب ان يكون، ثم تتوقعين

التصفيق استحساناً على حسن صنيعك. ذاك هو ما يذهلني. لم يَبدُ قط ان شارلوت تقدر ما تفعلينه، لذا لِمَ يجب أن تتوقعي أن يلاحظ ذلك أي شخص آخر؟»

قالت: «اللعنة، يا سبانس....»

قاطعها قائلاً: «لا تسيئي فهمي. اني لا أعني ان اعمالك الطيبة لا تستحق القيام بها، على الأقل في بعض الأوقات. اني لا أعني بالتأكيد أني لم أقدّر تحضيرك الغداء.» وأشار إلى صحنه واضاف: «ما قصدته فقط هو ان السيدة الكريمة قد تجد بعض الصعوبة في المحافظة على المستوى الذي وصلت اليه.»

حدّقت شرلي إليه لحظة طويلة، وقالت بلطافة: «أتعرف يا سبانس؟ بدأت أشعر بالغبطة لأننا علقنا معاً هنا في الغابة.»

قال وقد بدا حذراً: «آه!»

قالت: «يومين على هذا المنوال وسأكون قطعاً مسرورة لأنك لم تعطني تفسيراً عن قصتك الصغيرة مع وندي. لأنك ان فعلت ذلك لكنت فعلاً غفرت لك!» ووضعت كوب الحساء على الطاولة بقوة مما جعل بعض ما في داخله ينزلق عن حافة الكوب.

ومن دون أن تطرف عينا سبانس، قال: «لا تستطعين تحمل فكرة أنكِ لست كاملة، أليس كذلك؟»

أجابته: «أنا؟ كاملة؟ هل اصابك الجنون؟ إن حكمك يثير القرف، اتعرف ذلك يا سبانس؟ بعد ما فعلته، لماذا تعتقد ان لك الحق في انتقادي...؟» وخانتها الكلمات. وما نفع ذلك، على أي حال، انه لن يدرك أبداً ما الذي تقصده.

ومن دون ان تمس شطيرتها، عبرت بسرعة إلى زاوية الغرفة الرئيسية، وابتعدت قدر المستطاع عنه من دون ان تغادر إلى غرفة النوم، وارتمت بقوة على المقعد وقد ادارت ظهرها له.

ساد الصمت، ما عدا صوت اشتعال المازوت المنتظم في المدفأة وعويل الريح حول الكوخ.

كان قد مرّ نحو ربع ساعة عندما سمعت شرلي صوت انفتاح الباب فقفزت عن كرسيها بحركة سريعة. مهما كان نوع الخلاف بينهما، لا تستطيع أن تدعه يسير مسافة ميل ليصل إلى منزل آل باكستر. انه لا يعرف تماماً اين يقع المنزل، ومع زكامه ودواء الالتهاب الذي اعطته اياه وقد بدأ يأخذ مفعوله...

فكرّت، لكن لا شأن لها لتتدخل. فان كان مغفلاً إلى درجة أن يخرج وهو على حالته تلك، فليس من شأنها ان تحاول منعه عن ذلك. كان على حق في هذا الشأن؛ فهي ليست ممرضته ولا حتى خادمته، وليست المسؤولة عنه أيضاً.

فُتح الباب مرة أخرى وظهر سبانس من جديد، وهو يحمل حطباً بين ذراعيه. ركل الباب ليغلقه وحمل قطع الحطب إلى المدفأة.

لم تستطع شرلي ان تقرر هل توبّخه لأنه لم يضع معطفه عليه أم تخبره انها سعيدة لأنه لم يذهب أبعد من ذلك. لذا اطبقت شفتيها ولم تقل شيئاً.

جلس قرب المدفأة واضرم النار فيها. فقد كان الحطب رطباً حتى في الباحة الخلفية، وقد قاومت قطع الحطب

الرطبة النار بعناد. ومرّ وقت قبل ان يتمكن سبانس أخيراً من انتزاع لهب صغيرٍ منها.

عندما ابتعد أخيراً عن المدفأة، لم يعد إلى الأريكة كما توقعت شرلي، بل قَدِمَ ليجلس على ذراع مقعدها.

مالت بعيداً عنه بقدر ما تستطيع، لكن الدفء ورائحة الدخان ممتزجين بعبير العطر الذي يضعه، جذبا حواسها بقوة.

لم ينظر سبانس اليها. كانت ذراعاه ملتفتين، وقدماه متباعدتين ليتمكن من حفظ توازنه. كان ينظر إلى النار حين قال: «آسف، لا حق لي في أن أنتقدك. فليس من شأني كيف تتعاملين مع شارلوت.»

قالت شرلي بصراحة: «بالتأكيد لا.»

تنهّد سبانس وقال: «أنظري، يا شرلي، منطقة هاموند هي مدينة صغيرة. يجب أن نكون قادرين على مواجهة أحدنا الآخر وهذا النوع من الحقد لن يُسهّل ذلك.»

«إنك على حق. ربما كان عليك التفكير في ذلك قبل ان تتابط ذراع وندي بزهو في حفلة زيادة رأسمال المنح المدرسية.»

قال شيئاً هامساً لم تستطع شرلي فهمه. وقبل أن تتمكن من سؤاله عما كان ذلك، كان قد استكمل حديثه قائلاً: «إني آسف. ذلك القرار لم يُدرس بدقة.»

«ليس إلى الحد الذي تقصده، لا.»

ضاق فم سبانس وقال: «على اي حال، الآن وقد اعدت إلي خاتم الخطبة، فاني لا ادين لكِ بأي ايضاح.»

لم تستطع شرلي ان تجادل في ذلك.

أضاف: «كنت افكر فقط في أننا يجب ان نحاول ان نكون مهذبين تجاه بعضنا البعض، هذا كل شيء.»

مهذبين. فكرّت شرلي، لو أن الأشياء كانت مختلفة لكانت في هذا الوقت، عروساً في أوج تألقها ذاهبة لتلتقي الرجل الذي ستهبه حياتها. وتساءلت ان كان سبانس قد لاحظ ذلك أيضاً، ورأى سخرية الأقدار. إلى أي حدّ قد وصلا، من الوعد بالحب والرفقة مدى الحياة، وإلى آخر محاولة في أن يكونا مهذبين تجاه بعضهما البعض؟

ان أخذت كل الأمور بعين الاعتبار، فلا عجب مطلقاً ان يكونا سريعي الانفعال اليوم. ووفقاً لنوع الضغط الذي يشعران به كلاهما فقد كان من العجب ان شيئاً لم ينفجر قبل الآن.

استنتجت شرلي، برغم كل شيء، ان سبانس كان محقاً. فمنطقة هاموند صغيرة جداً، وبقدر ما تكون مشاعرهما تجاه بعضهما البعض واضحة وعنيفة، يفسحان المجال أمام الناس للتحدث مما يجعل القصة الحزينة متداولة مدة أطول. وان لم يكن في مقدورهما التوصل فعلياً إلى تسوية مستقرة، وهو ما يبدو غير مستحبٍ، عندها يكون تظاهرهما بذلك البديل الوحيد.

تحركت بصعوبة في مقعدها، غير قادرة تماماً على ايجاد الكلمات التي تصف بها مشاعرها.

لكن سبانس بدا وكأنه عرف في ما تفكر، لذا قال: «الأمر يستحق المحاولة، اليس كذلك؟»

أومأت برأسها، فابتسم سبانس لها ابتسامة صغيرة ملتوية. وشعرت شرلي بصدمة في قلبها. وفكرّت، ان ذلك

ليس عادلاً. فالرجل لا يمكن التنبؤ به، لأنه متقلّب جداً.

نهض، ثم قال: «هل هناك شيء نفعله هنا؟ ورق لعب أو لعبة أو اي شيء آخر؟»

فكرّت شرلي، ان كان يعتقد انه سيجعلني العب معه، فانه رجل أحمق. سأحاول ان اكون مهذبة، لكني لن اكون صديقة! لا يمكنني تحمّل ذلك.

قالت: «في تلك الخزانة، على ما اعتقد.» وأشارت بيدها بتكاسل إلى منصة صغيرة في الزاوية ثم أضافت: «سأحضر كتاباً.»

اوما رأسه وكأن الأمر لا يعنيه مطلقاً. وأخذ يبحث في الأدراج.

استوقفت شرلي على باب غرفة نومها صرخة ارتياح أصدرها، فاستدارت لتراه ممسكاً بعلبة قديمة. لم ترَ قط شخصاً متأثراً بهذا القدر لحصوله على لعبة أحجية الصور المقطوعة. فسألته بنبرة لاذعة: «ماذا خططت لتفعل طيلة الاسبوع؟»

أجابها: «هناك حقيبة ملأى بأوراق العمل لا تزال في السيارة.»

تمتمت قائلة: «اي عطلة» ولم تستطع الا ان تتساءل ان كان سيحمل تلك الحقيبة معه إلى الباهامس أيضاً.

عندما عادت حاملة كتابها إلى غرفة الجلوس، كان يصفّر وهو يصنّف قطع صور الأحجية المستقيمة الجانب ويضعها حسب الوانها على المنضدة. اخذت شرلي وسادة عن الأريكة وقعدت على السجادة السميكة امام النار لتقرأ. لكن قصتها لم تكن ممتعة كما بدت من عنوانها على أحد

رفوف المكتبة. وصفير سبانس الخالي من النغم كاد يصيبها بالجنون. وضعت الكتاب جانباً تحدق إلى ألسنة النار، محاولة ان تجد طريقة لتطلب منه بتهذيب ان يصمت. واحست بثقل في جفونها، قبل ان تقرر كيف تطلب منه ذلك، فقررت ان ترتاح دقيقة أولاً. فنزعت نظارتيها الخاصتين بالقراءة ووضعت رأسها على الأرض.

كانت الغرفة مظلمة تقريباً عندما افاقت، فيما الملاءة الزاهية الألوان ملفوفة حول جسمها باحكام حيث ظنّت للوهلة الأولى انها قد لُفّت بسترة المجانين. دفعت الملاءة إلى الوراء وجلست وهي تفرك عينيها.

كان سبانس قد اضاء شمعتين ووضعهما على زاويتي المنضدة، كان ممسكاً بقطعة من أحجية الصور المقطوعة ناظراً إليها بعينين شبه مغمضتين.

قالت شرلي: «ستؤذي عينيك بالقيام بذلك في الظلام.» هذا ما حاولت قوله، على الأقل، فقد تثاءبت في منتصف جملتها.

على اي حال، بدا سبانس انه ادرك ما قالته، لأنه رفع نظره وابتسم قائلاً: «هل أنت جائعة؟»

قالت: «نوعا ما» بينما هي في الحقيقة كانت تشعر بجوع شديد، فشطيرة سلطة السرطان التي لم تلمسها كانت تلازم أفكارها، لكنها لم تكن لتخبر سبانس بذلك.

حاولت ان تتذكر الأشياء المتبقية في البراد. يجب استهلاك البيض في وقت قريب، لأنه قد يتجمد ان وضعته في الخارج مع بقية الأطعمة القابلة للفساد....

قال: «حسن، اني جائع بالتأكيد، لقد غفوتِ وقتاً طويلاً.»

وضع قطعة من الصور في مكانها وامسك بأخرى ثم اضاف: «وبما أننا لا نستطيع الاتصال بمطعم ليحضر لنا الطعام، أعتقد اني ساعد وجبة لحم وكعك. معلبة بالطبع، فانا أعدّ كعكاً لذيذاً من لا شيء.»

اومأت شرلي برأسها ببطء وقالت: «يبدو ذلك جيداً.» فقد جعلها العرض تشعر بدفء أكثر نوعاً ما.

وضع سبانس قطعة من صور الأحجية في مكانها واتجه إلى المطبخ.

تمددت شرلي، محاولة ان تليّن تشنج عضلاتها. فكرة النوم على السجادة لم تكن فكرة صائبة. رمت قطعة حطب أخرى في النار وجلست على الأريكة. كان المكان لا يزال دافئاً من حرارة جسمه وغائراً في شكل مريح، الأمر الذي جذبها.

التقطت قطعة بدت جميلة على ضوء الشموع المتراقص، واخذت تتأمل الأحجية. كانت مكتملة حتى اكثر من نصفها، وقد أصبح الرسم ظاهراً، إنه منظر معقّد لعدد من المنازل على الطراز الفيكتوري ذات تفاصيل يصعب حلّها ومطليّة بألوان زاهية. كانت القطعة التي امسكتها جزءاً من نافذة وردية صغيرة، وفكرّت انه ليس من الصعب ايجاد مكانها.

برغم ذلك مضت بضع دقائق قبل ان تضع القطعة في مكانها وربتت عليها مبتهجة بذلك.

«ستؤذين عينيك بالقيام بذلك في الظلام.»

كان صوته كالصدى مما جعل شرلي تقفز؛ فهي لم تسمع وقع خطوات سبانس وهو يعبر الغرفة حتى وقف إلى جانبها. كان يلّف خصره بمنشفة صحون كالمريلة؛

وقد شدّت وركيه النحيلين، الأمر الذي جعله يبدو أطول.

قالت بلطف: «القاعدة تنطبق عليك فقط. سأريك ما قد يفعله لاعب أحجية الصور المقطوعة الحقيقي.»

رفع سبانس الشموع وقال: «آه، ستلعبين بهذه الأحجية، اليس كذلك؟»

قالت: «ذلك ليس منصفاً! ان أخذت الشموع...»

قاطعها محذراً: «ان لم أفعل فقد تتناولين اغرب كعك في العالم، لأني لن استطيع ان أرى ماذا اضع في العجين.»

اطلقت شرلي تنهدة حزينة، فقد بدت كل قطع صور الأحجية مشوبة بلون شنيع مائل إلى الحمرة على ضوء النور المتراقص المنبعث من النار.

إلا ان سبانس لم يبد متعاطفاً فقال لها: «ان كنت تبحثين عن شيء تقومين به، يمكنك ان تأتي وتحركي المرق.»

قالت: «اعتقدت انه دورك في تحضير هذه الوجبة.» وبرغم ذلك، تبعته إلى المطبخ.

قال: «وهل نحن نأخذ ادواراً؟ اعتقدت أننا نتعاون.»

لامست الكلمات العابثة قلبها. والتقطت الملعقة الخشبية، وقد عزمت التركيز بشدة على المرق.

اقترب سبانس منها ليأخذ شيئاً ما من الخزانة فوق رأسها. ولامس كمّ قميصه شعرها بنعومة. وتشنّج وكأنه قد أحرِقَ.

رمى ضوء الشموع المتراقص ظلالاً قوية على وجهه مظهراً الارتياح على وجنتيه وجفونه والغمازة في ذقنه. ستكون بين ذراعيه تقريباً ان هي استدارت قليلاً.

ثم ماذا؟ ماذا قد يبرهن ذلك؟

www.elromancia.com

انكسر غصن خارج نافذة المطبخ لم يحتمل ثقل الثلج عليه. وبدا انه كسر الصمت السائد في الداخل أيضاً. فقد تحرك سبانس ليمزج عجينة الكعك، وبدأت شرلي تحرّك المرق متنبهة وهي تسوي وسط المقلاة وتحاول ان تخفي الدموع في عينيها.

كانت هذه الليلة لتكون ليلة زفافهما.

ارادت ان تصرخ: آوه، يا سبانس، ماذا حصل لنا؟ لو أني أفهم ذلك فقط

الفصل الخامس

لكن شرلي لم تنطق بتلك الكلمات، لأنها كانت تعرف ان ما قاله سبانس كان صحيحاً، انه لا يدين لها بأي تفسير بعد الآن. لقد تنازلت عن الحق في ان تسأله اي سؤال عندما أعادت إليه الخاتم.

ذكرّت نفسها، ان فسخ الخطوبة كان، برغم كل شيء، القرار الوحيد الذي كان في امكانها اتخاذه في ظل الظروف الراهنة. فالحقيقة انها قد اعطته كل فرصة ليشرح الأمر، وهو حتى لم يحاول ذلك. فلماذا تخدع نفسها بالتفكير انه قد يكون الآن مؤهلاً اكثر ليبرر ما فعله؟

اطفأت النار تحت المرق واحضرت الصحون من الخزانة. وعاودها انقباض صدرها عندما بدأت اعداد طاولة الطعام الصغيرة في المطبخ، فقد تذكرت كيف كانا يتشاركان تناول احدى وجبات الطعام في ما مضى. فقد كان يحدث ذلك عادة في أحد المطاعم والناس يحيطون بهما، أو أنهما كانا في منزل آل هدسون، بحضور مارتن وشارلوت، فقلما يكونان معاً بمفردهما. لكن حدث ان تناولا العشاء بمفردهما مرتين؛ واحدة في شقة سبانس، ومرة أخرى في تلك النزهة المرتجلة في الشتاء عندما وجدا زاوية في المتنزه ولم يتطفل عليهما أحد في حينها. والآن هذه الوجبة البسيطة على ضوء الشموع، في الليلة التي كانت لتكون ليلة زفافهما، لكنها ليست كذلك.

www.elromancia.com

قالت في نفسها بصراحة ان الانغماس في الشفقه على النفس ليس إلا مضيعة للوقت. وبرغم ذلك، كان عليها ان تجرض بريقها بصعوبة لتتخلص من الضيق في حنجرتها.

كان سبانس محقاً في شأن نوعية الكعك الذي أعدّه. فقد كان من النوع الخفيف الهش الذي يذوب في الفم واللذيذ الطعم، وقد قالت له شرلي ذلك وهي تتناول القطعة الثالثة.

قال لها وهو يضع بعض الزبدة على قطعة له: «لقد تعلمت كيفية اعداده من والدتي.»

قالت: «اني آسفة لأن الفرصة لم تسنح لي لمقابلتها.» فقلما كان يأتي سبانس على ذكر والدته، التي توفيت عندما كان لا يزال في المدرسة الثانوية. فهل يتكلم عليها الآن؟

قال: «كنا نأكل الكثير من الكعك عندما كنا أولاداً. وكان قد مضى وقت طويل قبل ان الاحظ أنها ليست لذيذة الطعم فحسب، بل أنها لا تكلف كثيراً أيضاً.» وأمال برأسه وقال: «أصغي.»

توقعت شرلي سماع هدير طائرة انقاذ على الأقل، وخصوصاً من جراء وضعيّة التركيز التي اتخذها. لكن في الواقع لم تستطع سماع شيء. واستسلمت أخيراً فسألته: «ماذا يفترض بي ان أسمع؟»

قال: «الريح. لا أثر لها.»

كان محقاً. فقد كانت الريح تعصف حول الكوخ بانتظام طوال النهار حتى انها اعتادت صفيرها. عرفت ان شيئاً قد تغيّر، لكنها لم تحدد ما هو.

قال سبانس بمرح: «لربما ذلك يعني ان موجة من الدفء آتية.»

ربما كان الوصف مجرد اقتراح، لكن شرلي شعرت بدفء أكثر فقالت: «ان الوضع مريح أكثر هنا، أليس كذلك؟»

قال: «كأن الموقد يمضي وقتاً ممتعاً بالبقاء مشتعلاً طوال الوقت. لا بد ان تكون جدران هذا المكان كالمنخل.» وتناول القدر من على الموقد وعرض على شرلي المزيد.

اومأت له وهي شاردة الذهن وأخذت تراقبه وهو يسكب الطعام في صحنها. ثم قالت: «حسن، لم يبنَ قط ليكون منتجعاً شتوياً.»

قال: «اتعرفين، لا استطيع مطلقاً تخيّل شارلوت الأنيقة تخيّم هنا. فمجرد التفكير في ذلك يجعلني ارغب في الضحك.»

قالت: «آه، انها لا تفعل ذلك. هذا المكان ملاذ مارتن.»

قال سبانس بحدة: «بالطبع، الآن وقد فكرت في ذلك، فلا يبدو الأمر مفاجئاً.»

قالت شرلي وقد نفد صبرها: «أنظر، يا سبانس، أعرف ان رأيك في شارلوت ليس حسناً، لكنك لست منصفاً تجاهها فالجلطة التي أُصيبت بها قبل بضع سنوات، قد جعلتها حقاً شخصاً مختلفاً. فهي لم تكن قاسية من قبل.»

رفع يده وقال: «ليس ذلك ما قصدته، تماماً. على اي حال، دعينا لا نتشاجر حول ذلك الليلة، اتفقنا؟»

أخذت شرلي تحرك الطعام بطرف الشوكة وقالت بحزن: «اتفقنا، لكنها حقاً ليست غلطة شارلوت. فالجلطات، تفعل ذلك في بعض الاوقات، فتسبّب تحوّلاً في الشخصية. ومهما كان ذلك، فقد كانت طيبة جداً معي، بالطريقة التي أخذتني بها...»

قاطعها قائلاً: «انها خالتك، ماذا تتوقعين غير ذلك! وماذا كان الناس ليظنون بها لو أنها تخلّت عنك؟»

قالت: «حسن، لو أنها فعلت ذلك لكان الأمر مفهوماً جداً. ففي تلك السنة اصابتها الجلطة الدماغية، وما من احد كان يتوقع، بالنظر إلى سوء صحة شارلوت، ان والدتي هي التي ستموت أولاً.» تنهّدت ثم اضافت: «على كل حال، ان آخر شيء كانت شارلوت بحاجة اليه، هو مراهقة طائشة وصاخبة تدخل حياتها.»

هزّ سبانس رأسه.

قالت: «وماذا يعني ذلك؟»

أجابها: «لست صاخبة ولا طائشة. ليس أنتِ، يا شرلي ولن تكوني كذلك أبداً.» واشعلت نبرة صوته المنخفضة، والتي خالجتها تقريباً ارتعاشة غير ظاهرة، قلب شرلي. فقد بدا صادقاً جداً....

استطاعت القول: «شكراً، أعتقد...»

ابتسم سبانس، وقد جعل ضوء الشموع اسنانه تشع بياضاً وعينيه تتراقصان اشراقاً ليقول: «لقد عنيت ذلك.»

لطالما امتلك ابتسامة جميلة. لا، صححت شرلي، بل أنه يملك بياناً مفصلاً حول ذلك يتراوح بين ابتسامة عريضة، لعوب وجذابة، وابتسامة بطيئة ومثيرة...

كانت أنفاسها تقوم بحركات مضحكة، كأن تبقى عالقة في حنجرتها جاعلة رئتيّها تؤلمانها. دفعت كرسيها إلى الوراء. وقاومت بخفة، ثم قالت: «سأنظف المائدة. كان الكعك رائعاً حقاً، يا سبانس.»

لم يعترض. وساعدها في تنظيف المائدة ثم اعاد اشعال النار بينما نظفت هي المطبخ.

وجدت شرلي نفسها تتمنى كثيراً، وهي تغسل الصحون

لو أنه قال: «لِمَ العجلة. دعينا نجلس هنا فقط ونتكلم لبعض الوقت، عوضاً من...»

لم تهبّ الريح ثانية طوال الليل. واحست شرلي ان الصمت السائد في الخارج جعل الكوخ يبدو أكثر عزلة، لولا تلك الأصوات الصغيرة التي كان يصدرها سبانس في الغرفة الكبيرة.

قالت في نفسها، بينما كانت تأخذ دوشاً صبيحة نهار الأحد، انه لولا عدم الشعور بالارتباك لوجوده في هذا المكان لكنت مسرورة تقريباً لأنه هنا.

وجدت نفسها تسرع في ارتداء ملابسها، ولم يكن السبب الجو البارد في غرفتها. فقد كانت متنبهة لوجود سبانس. لقد بدا ان زكامه قد تحسن عند العشاء في الليلة الماضية، حتى انه لم يعطس ولا عطسة واحدة في خلال الأمسية كلها. وبرغم ذلك فقد بقي مستيقظاً ساعات بعد ما أوت إلى فراشها، وعرفت رغم انها لم تكن مستيقظة تماماً، انه قد نهض منذ الصباح الباكر. هل ساءت حاله؟

كانت هي نفسها تتذمر قليلاً وهي خارجة من غرفتها، وهي تفرك شعرها المبتل بمنشفة. لكن كيف حدث ان نسيت ان مجفف الشعر لا يعمل من دون وجود طاقة لتشغّله؟ ستصاب بزكام من دون شك هي أيضاً، في الوقت الذي يجف فيه شعرها.

استهلت تذمرها قائلة: «الكهرباء اللعينة، لقد زحفت إلى حياتنا في شكل مغرٍ جداً حتى أننا لا ندرك كم نعتمد عليها...»

وقع نظرها على سبانس الذي كان يعمل على تركيب

أحجية الصور المقطوعة ثانية وقد حبست أنفاسها. فعندما دخلت عليه فجأة صبيحة أمس، بدا شبه مريض ومتعباً كليًا؛ وبرغم ذلك فقد بقي فاتناً. أما اليوم فقد عادت بشرته إلى لونها الطبيعي تفيض صحة. فيما أن شعر ذقنه الذي كان أمس غير مرتب قد عاد ليظهر اليوم وكأنه محاولة ناجحة لارخاء لحيته. حتى المنامة ذات اللون الأحمر الساطع، والتي ظهرت من تحت روبه ذي اللون البني، لم تجعله يبدو أقل فتنة.

شعرت بعضلات جسدها تنقبض قليلاً استحساناً للصورة التي أنجزها، حتى انها ربما استبقت حصول ذلك، وكأن جسدها لم يتلقَ بعد تنبيها من دماغها بأنه ليس من المفترض بها أن تتفاعل نحوه بهذه الطريقة بعد الآن.

توقف سبانس عن اشغال نفسه بتركيب الأحجية من دون طائل ورفع نظره وكأنما وجد الطريقة التي تنظر بها إليه مزعجة، فقطّب وجهه قليلاً.

فكرّت شرلي، لقد بدد ذلك آمالها. اللعنة، انها لا ترغب حتى في الرجل، فلماذا اذاً تدور حوله وكأنها مراهقة صغيرة متيمة به؟ كما ان آخر شيء تريده هو أن تعطيه فكرة بأنها نادمة.

قالت بلهجة حادة: «ربما يكون من الأفضل ان ترتدي ملابسك.»

أخذ يقلّب قطعة من الأحجية في يده ولكنه بدا انه يفكر في كلماتها، عوضاً من القطعة. وسألها: «وماذا قد يحدث ان لم أفعل؟»

شعرت شرلي بوجهها يتقد احمراراً. وفكرّت، ان كلامه

بدا كتحذير، وكأنها قالت له ان يرتدي ملابسه أو فليتوقع ان يُهاجم! فأجابته بصراحة: «لا شيء. ليس من اللياقة ان تجلس هنا وأنت ترتدي ثياب النوم.»

وضع القطعة مكانها وقال: «لا تتذمري، يا شرلي. وكوني ممتنة لأني جلبت معي ملابس للنوم. لو ان مارتن لم يحذرني من غرف النوم غير المدفأة، لما ازعجت نفسي وجلبتها معي.»

كلماته تلك جعلت الدم يتصاعد إلى وجه شرلي مرة أخرى. فجلست على الأرض قرب المدفأة واحنت رأسها مما جعل شعرها ينسدل فوق وجهها كالشلال. وفكرّت، انه في الوقت الذي يجّف فيه، يكون لديها سبب كافٍ وراء اتقاد حمرة وجهها. وما عليها التحدث إلى سبانس مطلقاً في الوقت الحاضر.

بدا انه لم يلاحظ تجاهلها له. وكانت الأصوات الوحيدة التي تتردد في ارجاء الغرفة، صوتاً ناعماً لفرشاة شرلي وهي تمررها في خصلات شعرها الطويل الأشقر، وفرقعة ألسنة النار وهي تلتهم قطعة أخرى من حطب السنديان، بالاضافة إلى صوت خفيف يصدر كلما وُضعت قطعة من صور الأحجية في مكانها.

نهض سبانس، بعد دقائق قليلة، وذهب إلى غرفة نومه.

عندها فكرّت شرلي، لقد ربحتُ. لقد استطعت الصمود اكثر منه. لكن في داخلها فان احساسها بالنصر لم يكن كبيراً.

كان شعرها قد جفّ تقريباً. لكنها جلست هناك برهة أخرى من الوقت، وهي تمرر الفرشاة عبر كل عقدة في

شعرها حتى اصبح شعرها كله بلونه الأشقر أملس يلمع فوق كنزتها ذات اللون الأزرق الفاتح. ثم وضعت الفرشاة جانباً وأخذت تحدق إلى لهب النار، محاولة ان تقدّر إلى متى قد يستمر هذا.

برغم سكون الريح، لم يكن عليها ان تبحث بعيداً عن شاهد لتعرف ان الحرارة لم ترتفع كثيراً، فالنوافذ ما زالت مغطاة بالجليد. كانت تعرف ان الطاقم المسؤول عن الطرق في منطقة هاموند قد بدأ بنثر الرمال والملح لمجرد أن ابتدأت العاصفة. وفي هذا الوقت تكون الشوارع قد استعادت حالتها الطبيعية تقريباً. لكن هنا فثمة العديد من الطرقات، والمقيمون في هذه المنطقة قلائل جداً لجعل ذلك النوع من التدابير حيز التنفيذ. فيما ان أقرب جارٍ لهما يبعد ميلاً والكوخ مقفل كلياً في خلال فصل الشتاء فسيكون عجباً اذا شاهدا شاحنة صيانة في دارهما قبل شهر أيار. وبالطبع سيذوب الثلج طبيعياً حينها بل قبل ذلك بكثير. وبمجرد ان تشرق الشمس يبدأ الثلج بالذوبان...

لم تسمع وقع خطوات سبانس عندما عاد، ولم تشعر بوجوده حتى في الغرفة الرئيسية إلا عندما دخلت هبة من الريح الباردة عبر الباب الأمامي وصفعتها. فقالت: «هيه» ورفعت عنقها في محاولة لترى إلى ما ينظر، ثم اضافت: «أنت تُخرج كل الحرارة من الغرفة.»

أجابها: «كنت احاول ان استطلع الطريق.» ثم اغلق الباب بقوة.

قالت شرلي في نفسها انها يجب الا تنالها الدهشة ان وجدت رغبته في الهروب شديدة كما تشعر هي تماماً.

فقالت: «لا تأمل كثيراً فلقد سمعت جوباكستر يقول ذات مرة إنهم يتحلوّن بالايمان في ذوبان الثلج هنا.»

رفع سبانس حاجبيه بفضول وسألها: «ماذا يعني ذلك؟»

قالت: «كما شرح الأمر، ان القدرة الالهية اسقطته، وسيذوب في أوانه. وأظن ان الأمر يصبح صحيحاً أكثر عندما يتحول الثلج إلى جليد.»

هز سبانس كتفيه بلا مبالاة وقال: «لنخرج ونر ما هي عليه.»

قالت شرلي: «خذ راحتك.» والتقطت فرشاتها مرة أخرى.

اقترب ليقف بالقرب منها، قدماه متباعدتان، ويداه ملتفتان على صدره وقال: «قد تكون فكرة حسنة ان نترافق.»

«لماذا؟ حتى نسقط أرضاً معاً؟»

«ان الهواء المنعش والحركة سيفيداننا كلينا.»

قالت وقد خطر ذلك على بالها: «وماذا عن زكامك؟»

هز سبانس كتفيه بلا مبالاة وقال: «اني اشعر بتحسن اليوم، يبدو ان الأمر لم يكن زكاماً فعلياً، بل كان من التعرض للرياح وهطول الأمطار.»

قالت شرلي بتهكم: «وهكذا فانك حالما شعرت بتحسن، تريد أن تخرج لتتعرض مجدداً لذلك.»

قال: «ماذا أنتِ، على اي حال؟ كسولة؟» وانحنى ليمسك بمعصمها، وقبل أن تدرك شرلي ما كان يقوم به نهضت على قدميها. واضاف: «قليلاً من المشي سيفيدك كثيراً وسيجعلك تتمتعين بطعامك، أيضاً.» وقادها نحو الباب الخلفي ولفّ شالاً على وجهها.

قالت شرلي بصوت مكتوم: «لقد سبق أن فعلت.» ودفعت الشال عن فمها.

قال سبانس بتأمل: «ذلك صحيح. أنتِ واحدة من النساء القلائل اللواتي أعرفهن واللواتي لا يتذمرن دائماً من كمية الحراريات التي يحتويها اي طعام.»

قالت وهي تضع معطفها: «لقد أخبرتني شارلوت مرة ان مراقبة زيادة الوزن موضوع مضجر كلياً لكل الناس ما عدا من يعنيه انقاص وزنه، لذا على السيدة المحترمة الا تجادل فيه.»

قال: «تهانينا لشارلوت.» واقفل سحاب معطفه وفتح الباب.

ارتجفت شرلي وتناولت زوج واقي الاذن الصوفي من جيبها. وان سكنت الريح، لكن صفعة البرد ما زالت موجودة، فقد بدت غير مستحبة بعد الدفء المريح في الكوخ.

كانت قدماها غير ثابتتين على الأرض المغطاة بالجليد، واستندت باحدى ذراعيها إلى كومة الحطب. وفكرت متعجبة كيف ان سبانس لم يسقط ارضاً برغم عدد المشاوير التي قام بها إلى هنا لجلب الحطب للنار. انها ما كادت تستطيع المشي برغم أنها تستطيع ان ترى تماماً اين تضع قدميها. كيف استطاع السير في الظلام ويداه مليئتان بقطع الحطب؟

استطاعت شرلي ان تصل إلى السلالم وتهبطها ثم توقفت لتنظر حولها.

كانت الغيوم الداكنة لا تزال تظهر في السماء. ولولا اشراق نور الشمس لبدت كل الألوان مأخوذة من الطبيعية.

فقد كانت الطبيعة تبدو صورة احادية اللون تماماً، وكل ما فيها باللونين الأسود والأبيض وظلال رمادية كثيرة. كانت الطبيعة ساكنة؛ ولم ترَ أي أثر للحياة لحيوان أو طير أو انسان.

قال سبانس: «مكان رائع لايقاف سيارة يا كولينز.» واستدارت بسرعة وكان عليها ان تبذل جهداً للمحافظة على توازنها. انحرفت عن مكانها بنحو قدمين حيث اتجهت مباشرة نحو باب المقعد الذي بجانب السائق.

كان سبانس متكئاً إلى حاجز الدفاع الأمامي وقد لفّ ذراعيه على صدره، وسألها بتهذيب: «ألم تفكري انه قد يكون من الأفضل ان توقفي السيارة على أرض صلبة، بدلاً من قيادتها إلى أسفل الهضبة وايقافها على بقعة من العشب؟»

قالت: «أمر ظريف، ان يقول ذلك شخص ترك سيارته في حفرة.»

قال: «لم أفعل ذلك عن عمد، واريدك أن تعرفي أني قدتها إلى مسافة أبعد مما يمكن أي سائق عادي ان يفعل.»

تمتمت شرلي قائلة: «من المرجح ان السائق العادي كان ليكون ذكياً كفاية ليستدير عائداً.»

قال سبانس بهدوء: «لم يكن هناك مكان متسع لذلك، وإلا كنت فعلت ذلك.»

عندها لكانت وحيدة هنا. ولم يكن هناك بالطبع اي فائدة من التفكير على ذلك النحو.

درست الهضبة التي اوقفت فيها السيارة. كان سبانس محقاً في شأن الهضبة، لماذا لم تأخذ بعين الاعتبار تلك

الحقيقة ليلة وصولها؟ فقالت: «لم يكن هناك جليد تحتها. كان في إمكاني اخراجها...»

قال: «وأي فائدة من ذلك في اعتقادك؟ اعتقد ان سيارتك ستبقى فترة هنا، إلا اذا كان في امكانك احداث قوة دافعة كافية في أقل من عشرين قدماً لتصعد فوق تلك الهضبة.»

فكرت شرلي في محاولة دفعها للخروج من هناك، ثم ادركت ان تلك فكرة لا جدوى منها. فهزت كتفيها بلا مبالاة وقالت بلهجة بدت معتذرة: «كل ما فكرت فيه تلك الليلة هو اخراج حوائجي ووضعها في الداخل قبل ان يغمرني الماء، ولم يخطر في بالي ان الماء سيتحول إلى جليد.»

تنهّد سبانس وقال: «حسن. لقد حصل ما حصل الآن. دعينا نذهب ونرى إلى اي حد تضررت سيارتي.»

لم تجد شرلي في نفسها شجاعة لتعارض ذلك. كما وأنها، في آخر الأمر، في وضع يكاد لا يسمح لها بانتقاد افكاره المجنونة؛ لو أنها كانت مدركة اكثر بقليل، لكان لديهما، على الأقل، امل في الخروج من هنا بسرعة. وقالت في نفسها، اضافة إلى أن سيارة سبانس قد لا تكون في بقعة سيئة جداً كما يعتقد. فكل شيء يبدو اسوأ في الظلام، اليس كذلك؟ ربما يستطيعان اخراجها من الحفرة الآن والعودة فوراً إلى المدينة.

حالما يصلان إلى الطريق المفروشة بالحصى، سيكون السير بعدها اسهل نوعاً ما، كانت الحجارة مغلّفة بالجليد وزلقة، لكنها على الأقل، لم تكن كالسير على صفيحة من الفولاذ المصقول. وبدت التلال الصغيرة، من ناحية ثانية، كبيرة بعد غلاف الجليد الذي غطاها. كانت شرلي تتنفّس

بصعوبة في الوقت الذي وصلا فيه إلى قمة أول منحدر، وجعلها الهواء القارس تشعر بألم في صدرها. فسألته: «أما زالت المسافة بعيدة؟»

هزّ سبانس رأسه، واجابها قائلاً: «لست متأكداً، كنت قد بدأت بعدّ التلال، لكن ذلك أخذ يوقع الأسى في نفسي فتخليت عن الفكرة.»

قالت: «كم عدد التلال التي قمت بعدّها قبل ان تتوقف عن ذلك؟»

قال: «أربع»

قالت شرلي بصوت منخفض: «شكراً جزيلاً.»

ابتسم سبانس قائلاً: «أنتِ من سأل.»

كلما سارا قُدما، وجدا المزيد من الكتل الحجرية التي خلفتها الأمطار على الطريق. لقد سمعت شرلي عندما كانت في الكوخ تكسّر بضع اغصان في الخارج، لكنها ادركت لأول مرة مدى الأضرار التي خلفتها العاصفة. وكانت احجامها تتراوح بين اغصان صغيرة إلى أغصان بحجم شجيرات صغيرة وإلى فروع كبيرة تبلغ دائرتها باتساع خصرها، انسلخت عن الأشجار تحت ثقل وزن الجليد المتجمد تماماً. وكان بين الحين والآخر يتردد صدى وقع خطواتهما مع صوت انكسار غصن آخر.

عبرت شرلي الطريق لتلقي نظرة عن كثب على أحد الفروع الكبيرة. وامتدت يد سبانس بسرعة وسحبها إلى الوراء وقال لها محذراً: «احترسي من الاسلاك الكهربائية. قد تكون متشابكة في اي مكان.»

قالت: «لكن الطاقة مقطوعة.»

قال: «نعم، لكن ذلك لا يعني ان احدها لا يمكن ان يكون موصولاً.» إني أشك في ذلك، لكن فقط في حال...»

حافظت شرلي على ابقاء مسافة بينها وبين الأغصان المتكسرة بعد ذلك، واخذت تراقب كل خطوة تخطوها وتحاول الا تفكر في دفء يد سبانس التي ما زالت ممسكة بذراعها. وكم تمنّت لو أنه كان يمسك بيدها، عوضاً عن ذلك.

فيما تابعا سيرهما، لم يعد ذلك أمراً غير مستحب. لقد كان الهواء بارداً، لكنها بدأت تعتاده. فملابسها كانت ملتفّة جيداً حول جسمها، ولم تكن الريح لتخرق معطفها وسروال الجينز الذي ترتديه. وكان سبانس محقاً في شأن فوائد بعض التمارين؛ كانت تشعر بألم بسيط في رأسها، ألم بسيط جداً إلى درجة جعلتها تكاد الا تلاحظه، واعتقدت ان سبب ذلك هو جلوسها قريبة جداً من النار، مزيج من الحرارة واجهاد العينين من النظر مباشرة إلى لهيب النار وهي تجفف شعرها. لكن ذلك قد تلاشى الآن.

لقد اضاعت مدى المسافة في الوقت الذي توقف فيه سبانس عند حافة احدى التلال وتأوّه.

كانت سيارته متوقفة عند منتصف الهضبة التالية، ومقدمتها غارقة في الحفرة. واستطاعت شرلي حتى من على هذه المسافة، ان ترى حاجزي الدفاع الاماميين وقد تقوسا فيما احدى العجلات الخلفية لم تكن تلامس الأرض.

كان ذلك كثيراً جداً بالنسبة إلى فكرة ايقافها على الطريق. فان تلك السيارة بحاجة إلى قاطرة وإلى ثروة صغيرة في مرأب الصيانة.

ادركت ان الأمر كاد ان يكون اسوأ بكثير. فمجرد بضعة أمتار إلى الأمام تسقط السيارة من خلال مجموعة من الأغصان المقطوعة إلى وادٍ صغير شديد الانحدار. لقد كان سبانس محظوظاً بالخروج منها، واكثر حظاً بخروجه في حالة جيدة مكّنته من السير مسافة ميل إلى الكوخ. كان ممكنا ان يموت هناك مباشرة في كومة من المعدن، أو من شدة البرد، لو أنه لم يكن قادراً على البحث عن مأوى.

أحست ان الدم قد نضب من وجهها عندما شعرت بهول الصدمة. لقد كان في خطر داهم.

قال سبانس: «حسن، تلك هي تقريباً الحالة التي أتذكرها بها. أمر مؤثّر جداً. ألا تقولين ذلك؟»

ابتلعت شرلي ريقها بصعوبة، ونكرت نفسها بأن الخطر قد زال، وعلاوة على ذلك، ما حصل له ليس من شأنها. ومن دون ان يبدو على وجهها اي تعابير قالت: «مكان رائع لايقاف سيارة، يا غرينفيلد. إني سعيدة لأني حصلت على سبب كي لا ادعك تقود سيارتي.»

ابتسم لها سبانس ابتسامة ملتوية عريضة واستدار عائداً نحو الكوخ.

سألته: «ألن تتقدم لتفحصها على الأقل؟»

هزّ كتفيه بلا مبالاة وقال: «من سيقدم على سرقتها؟ اضافة إلى ذلك حتى وان استطاع اخراجها، الا ترين الشجرة عند أعلى...»

توقف عن الكلام، وفي لحظة الصمت التي تبعت ذلك، سمعت شرلي قرقعة تشبه تلك التي تصدر عن بندقية ذات قوة عالية. وأخذت تنظر إلى حولها لتعرف مصدرها.

لم تعلم مطلقاً ماذا اصابها وتملّكها احساس مفاجيء بالتلاشي، وكأنها اصبحت فجأة خفيفة جداً. والأمر التالي الذي شعرت به هو أنها كانت مستلقية في شكل مستقيم على الحصى، بعيدة عدة امتار عن المكان الذي كانت تقف فيه، وقد انحنى سبانس فوقها بخوف لحمايتها.

ادارت رأسها بارتباك ورأت الأغصان، بدلاً من الحصى الذي توقعته، على مسافة بضعة سنتيمترات بعيداً عن وجهها. بدت الأغصان متمايلة، لكنها لم تكن متأكدة ان كانت فعلاً تتحرك أو ان رأسها كان يدور من تأثير سقوط كرة الجليد عليه.

حاولت ان تتكلم، لكن نَفَسَها تلاشى في صدرها وكل ما استطاعت فعله ان احدثت صفيراً.

حرّكها سبانس، وسألها بقلق: «هل أنت بخير، يا شرلي؟»

كانت لمسة يديه رقيقة، لكن شرلي شعرت ان اسنانها تصطك ومرت دقيقة أخرى قبل ان تستطيع الكلام. ثم قالت: «إني بخير. إني فقط... لم يُمسك بي من قبل.»

قال: «لم يكن عندي خيار آخر، تعرفين. وأنت ايتها المجنونة الحمقاء، تقفين هناك وتنظرين إلى تلك الكرة اللعينة وهي تسقط مباشرة عليك...». ودفع نفسه إلى أعلى حتى اصبح جالساً إلى جانبها واضاف: «ابقي مستلقية بهدوء لدقيقة ودعيني أفحصك. لم أتوقع ان تسقطي أرضاً بهذه القوة. اعتقد أني نسيت ما يتعلق بالجليد الذي يغطي الأرض.»

شعرت بدفء يديه، حتى من خلال معطفها السميك وسألته شرلي في محاولة لاشغال نفسها اكثر من رغبتها

بأن تعرف: «أكانت تلك الشجرة التي كنت تتحدث عنها؟»

هزّ رأسه بتبرم وقال: «لا، لقد كنت أعني تلك التي في أعلى التلة التالية هناك والتي فعلت ما فعلته هذه هنا.»

قالت بنبرة غير واثقة: «هل تعني أنها سقطت؟»

قال: «لقد لاحظت ذلك أخيراً.» لكن نبرة السخرية في صوته كانت مرتجّة نوعاً ما. ثم أضاف: «شرلي...»

قالت: «آوه، ياسبانس.» ومدّت يدها نحوه بنفس مقطوع تقريباً، ولفّت ذراعيها على عنقه ودفعته نحوها وكأنما هو ملاءة يمكن ان تشعرها بالدفء والراحة والشفاء.

لامست وجنتاه وجنتيها. وشعرت بشعر لحيته أنعم مما كانت تتوقع، وليست أخشن بكثير من دغدغة رموشه على صدغها.

بدأت ترتعد من دون ان تستطيع السيطرة على نفسها عندما ادركت كم كان الغصن قريباً من ان ينال منها أو ان يرديها ميتة.

لامست شفتا سبانس وجهها وهمس قائلاً: «كل شيء على ما يرام. كل شيء على ما يرام.»

لم تتركه. فقد كانت اصابعها متشابكة عند مؤخرة عنقه، وادارت وجهها نحو المنحنى الدافيء في عنقه.

قال بانفعال: «اللعنة. اعتقدت أني ان أخرجتك من الكوخ، فلن يكون هناك ما يحثني كثيراً على فعل هذا.»

لم تسأل شرلي؛ لم تكن بحاجة إلى أن تسأل. ولم يكن هناك وقت لتسأل اذا ما كان هذا صحيحاً أو حكيماً. قوّست ظهرها قليلاً وشدت بقوة، وترك سبانس ذراعيها الملتفتين حول مؤخرة عنقه تدفعانه نحوها.

كانت شفتاه باردتين، لكن في غضون لحظات اختفت البرودة التي وردتها الحرارة الملتهبة التي بدت انها أذابتهما معاً حتى لم يعد لأي شيء آخر أي وجود.

فجأة ابتعد سبانس. كان يتنفس بصعوبة وعيناه غائمتين، وتمتم قائلاً: «ليس هناك اي تعقل في اللعب بالنار.»

ارتخت شرلي فوق الحصى.

بعد لحظة، ساعدها سبانس برزانة للوقوف على قدميها. ثم سألها: «هل أنت جاهزة للعودة؟»

اومأت برأسها وابتلعت ريقها بصعوبة ثم قالت: «اني آسفة، يا سبانس.» لم يجبها، واعتقدت للحظة انه لم يسمعها.

لكنه قال أخيراً: «انها ليست غلطتك، انه لأمر حسن انك لم ترتدي سروالاً قصيراً. لكان اصابك الكثير من الخدوش بسبب الحصى.»

لسبب مجنون تخيلت نفسها ترتدي سروالاً قصيراً في مثل هذا الطقس وقد اصطدمت بها شجرة انكسرت تحت ثقل الجليد. بدا الأمر لشرلي مضحكاً، فلفّت ذراعيها على جسدها وانحنت لتنفجر ضاحكة.

قال لها بلهجة صارمة: «كفي عن ذلك، يا شرلي.»

بجهد استطاعت ان تتكلم. فقالت: «لكن ذلك مضحك في شكل جنوني! ان ارتدي صندلاً ونظارات شمسية، من دون شك، ومنشفة للشاطىء على كتفي...»

قال: «الكلمة الصحيحة هي «جنوني»، اني موافق جداً على ذلك، تعالي. اعتقد ان البرد والصدمة... وكل شيء قد أثرت في عقلك.»

تجهمت شرلي فجأة، وامتلأت عيناها بالدموع.

التقط سبانس واقي الأذنين من تحت غصن صغير على جانب الطريق وقال: «آسف لأني جرحت مشاعرك.»

هزت رأسها بقوة وقالت: «لا تكن مغفلاً، يا سبانس. لقد أنقذت حياتي، على الأقل، حميتني من الاصابة بضربة مؤذية حقاً على الرأس.»

مرّر يده على مؤخرة عنقها. ثم حركها نحو شعرها، وأخذت اصابعه تربت برقة شديدة على مؤخرة رأسها بقدر ما يستطيع. وحبست شرلي أنفاسها.

قال: «لست متأكداً جداً من الضربة القوية. لم يبد أنك اصبت بارتجاج، لكنك كنت تتصرفين بتلك الطريقة.»

فكرت شرلي انه قد يكون على حق؛ وبرغم ان لمسات رؤوس اصابعه كانت رقيقة، فقد شعرت وكأنها ورق مزجج يفرك على رأسها. ولم تعرف ما اذا شعرت بالارتياح أو بخيبة الأمل عندما القى يده ثانية إلى جانبه.

سألته: «بأية حال، ما الذي جعل الشجرة تسقط، أعني في ذلك الوقت. أو كان ذلك مجرد حظي السيىء في اختيار البقعة الخطأ للوقوف عليها؟»

قال سبانس بمرح: «لربما كان ذلك انهياراً ثلجياً، وان تلك الثلوج كانت ستنهار عاجلاً أو آجلاً، لكن ربما أننا قد احدثنا ارتجاجاً جعلها تسقط في ذلك الوقت مباشرة.»

تجهمت شرلي وقالت: «تعني، بمجرد السير هناك؟»

قال: «أو التحدث.»

قالت: «كما الغناء بطبقة صوتية عالية وتحطم الزجاج من جرائها؟»

قال: «شيء كذلك. انه سؤال فيزيائي ممتع.»

قهقهت وقالت: «اصرّت شارلوت على ان دروس الأصوات، تلك التي أخذتها مؤخراً سيكون لها تأثير ما!»

بدت طريق العودة طويلة جداً، وعندما وصلا إلى الكوخ اطلقت شرلي تنهيدة كبيرة من الارتياح وقالت: «اني اشعر بالنعاس الشديد كطفل صغير بعد تنشق كل هذا الهواء النقي. اعتقد أني سوف...»

قال: «آسف، لكن ممنوع عليك النوم.»

قالت: «لِمَ؟» وأخذت تتأمله عن كثب بينما كانت تفك ازرار معطفها وتخلعه وتعلّقه. ثم اضافت: «آه، عرفت. لكنك لا تعتقد حقاً أني اصبت بارتجاج من جراء السقوط أرضاً. هل تعتقد ذلك؟»

أجابها: «أتمنى الا يكون ذلك قد حصل، لكن هناك حماقة في المجازفة.»

قالت متذمرة: «لا اعرف ماذا كنت لتفعل لو أني مت. في أية حال كان في امكانك ان تحملني كل تلك الطريق وصولاً إلى منزل آل باكستر.»

قال سبانس: «لكنت سحبتك من شعرك. ما رأيك في فنجان من القهوة كي يساعدك على البقاء مستيقظة؟»

هزت شرلي كتفيها بلا مبالاة وجلست قرب النار، وقد اجفلها قليلاً ممانعة اكثر اجزاء جسدها حساسية. حتى تلك اللحظة، اعتقدت ان كل عضلة قد تأذت كغيرها من جراء السقطة. فقالت: «كيف يستطيع لاعبو كرة القدم تحمل هذا؟ لا أتصور أني أتطوع لهذا النوع من المعاناة.» وتجمعت متخذة وضع الجنين تقريباً واغمضت عينيها.

نَاداها سبانس قائلاً: «كفى. هناك مجموعة من ورق اللعب في تلك الخزانة ان كنت ترغبين في اللعب.»

تنهدت شرلي وسألته: «هل لديّ خيار آخر؟» وبقيت جالسة حيث هي تماماً حتى وضع فنجانين من القهوة قربها على الأرض ودفعها برفق من كتفها.

قال: «استيقظي، أيتها الجمال النائم، أو أمسك خصلة من شعرك وابدأ بشدها!»

فتحت شرلي عينيها ثم سألته: «هل يجب ان نلعب بالورق؟»

قال: «يمكنك اقناعي لأجعلها لعبة أخرى، بدلاً منها.»

اقتربت قائلة: «الثمانية المجنونة.»

قال: «ولِمَ تلك؟»

ابتسمت له ابتسامة ولد شريد، وقالت: «لأني املك خبرة كبيرة فيها مع أولاد في السابعة من العمر في أيام الثلج والبرد إلى درجة أني استطيع أن العب وأنا نائمة.»

ضحك سبانس وسحب كرسياً وقال: «من سوء حظك اني لست في السابعة من العمر.» جلب الورق وخلطه بخبرة، واضاف: «ما الذي يبقي على حماسك في غرفة الصف، بعد ثلاث سنوات من تعليم دروس الرياضيات ذاتها والقراءة ذاتها. اعتقد ان الأمر سيكون مضجراً.»

قالت شرلي: «النظر إلى التعليم بهذه الطريقة يجعله يبدو مضجراً. لكني، في الواقع، لا اعلّم الدروس مطلقاً.» جمعت اوراق اللعب الخاصة بها وبدأت بتنسيقها.

بدا سبانس منذهلاً فسألها: «ماذا يعني ذلك؟ كيف يمكنك الا تعلّمي...»

www.elromancia.com

قاطعته قائلة: «اني أعلم الأولاد. وحتى ان كانت المادة ذاتها فلا يمرّ يومان متشابهان ابداً، لأن الأولاد مختلفون.»

وضع سبانس بقية مجموعة الورق بينهما. لم يكن في عجلة لالتقاط اوراقه. فقال: «لم تخبريني ذلك من قبل. لم يكن عندي فكرة عن شعورك هذا تجاه عملك.»

لم ترفع شرلي نظرها عن الورق وقالت: «لم تسأل عن ذلك قط.» ثم وضعت ورقة الملك على كومة الورق المرمية.

فكرت، لم نعرف سوى القليل فقط عن بعضنا بعضاً، عندما ربط كلٌ منا حياته بالآخر إلى الأبد! ربما كان من الأفضل، أخيراً، ان تحوّلت الأمور إلى هذا النحو.

لكن لا فرق كم تبلغ صحة ذلك، فتلك الحقيقة لم تبعد الحزن عن قلبها.

الفصل السادس

اعادت شرلي ترتيب اوراقها دونما حاجة إلى أي اهتمام، حتى تأكدت انها تستطيع الابتسام بتألق وهي ترفع نظرها ثم سألته: «ألن تلعب؟»

لم يكن سبانس بعد قد التقط اوراقه. فقد كان منحنياً إلى الوراء على كرسيه وقد أخذت اصابع يده الطويلة تحك بتكاسل شعر لحيته السوداء وكأنها تثير حكاكاً. ثم قال بهدوء وهو يتأملها: «أنت محقة. لم يكن هناك وقت على الاطلاق. فلو لم تكوني منشغلة في المدرسة أو بترتيبات الزواج، لكنت تحلّين مقام شارلوت في كل ارتباطاتها الاجتماعية.»

قالت شرلي بحدة: «آه؟ ولم يكن عندك أي شيء في جدول اعمالك على ما اعتقد؟»

ابتسم سبانس قليلاً وقال: «مذنب. لذا، فأنا اسألك الآن. ما الذي جعلك تعملين مدرّسة؟ ولِمَ هؤلاء الأولاد الصغار؟»

قالت: «آه، تبدو وكأنك شارلوت. وما هو الفرق في كل حال؟» ثم فكرت بطريقة أفضل في ذلك. من يعرف إلى متى يبقيان عالقين برفقة احدهما الآخر؟ على الأقل، سيساعد الكلام على ملء الوقت. فأضافت بتمهل: «لطالما رغبت في أن أُعلّم. حتى قبل أن استطيع القراءة كنت أصّف دماي واعطيها دروساً.»

ارتسمت ابتسامة لعوب وملتوية عند زاوية فمه وقال:

www.elromancia.com

«ماذا كنت تفعلين عندما كانوا يخرجون عن الدرس؟ هل كنت تجعلينهم يجلسون في الزاوية لمدة اسبوع؟»

تظاهرت شرلي بعدم سماع ما قاله وتابعت قائلة: «وأردت دائماً أن اعلّم الصغار. أعتقد أن الصف الثاني رائع أو يكاد. فالأولاد فيه قد تعلّموا التوافق مع بعضهم البعض.»

رمى سبانس ورقة وقال: «طالما هم متوافقون، على ما اعتقد.»

قالت: «أي موقف تهكمي. لقد تعلموا الأشياء المهمة. لكن لست متأكدة من اني سأكون حسنة جداً في تعليم عقد شريط الحذاء.» لكن الحقيقة كانت أنها تتوق إلى يوم تعلّم فيه طفلاً واحداً، طفلها، ان يعقد شريط حذائه، ويميّز الألوان ويعد حتى العشرة. طفلاً مميزاً جداً، أو ربما طفلين. لكن لا جدوى من الحلم بذلك الآن فيما كان ليكون، لو أن الأمور جرت على نحو مختلف.

تنهدت تنهدة عميقة وتابعت قائلة: «وحين يبلغون السابعة من العمر، يكون مقياس انتباههم قد نما واصبحوا جاهزين للخروج إلى العالم. تلميذ الصف الثاني هو فعلاً مجرد كتلة كبيرة من الفضول مع شهية كبيرة للمعرفة، هل تعرف ذلك؟»

ضحك سبانس.

قالت شرلي معترضة: «هذا صحيح.» لم تكن متأكدة تماماً ما اذا شعرت بالسعادة لأنه لم يلاحظ ترددها، أو بالانزعاج لأنه من الواضح انه لم يفكر حتى في الأولاد الذين كان من الممكن أن ينجبهم. كوني سعيدة، أمرت نفسها. لقد كان ذلك الوضع اقل أيلاماً.

سألها: «وذلك ما وَجَدْته فاتناً جداً؟»

اومأت برأسها وقالت: «هناك سحر في أن تفتح نافذة طفل على الحياة. انها لذة لا مثيل لها على الأرض.»

قال بمرح: «جعلتني تقريباً ارغب في ان احاول ذلك بنفسي. ماذا تعنين في شأن شارلوت؟»

قالت: «لا شيء، فعلاً. انها فقط لا تفهم ابداً السبب الذي جعلني أختار مهنتي.»

أومأ سبانس وقال: «التعليم، عمل سخيف.» قال ذلك بلهجة صوت شارلوت تقريباً.

ابتسمت شرلي رغماً عنها لتقليده. وقالت: «حسن، لم يكن اعتراضها بهذه القوة تماماً. على الأقل التعليم هو عمل لائق بسيدة، وأفضل بكثير من الأمور الأخرى التي كان يمكن ان أختارها.»

تمتم سبانس قائلاً: «عاملة في مصنع للفولاذ، اختصاصية في الابحاث الفضائية أو مغنية في مقهى ليلي. نعم، عندها نظرة في ذلك.»

قالت: «لكن ان كنت أصرّ على التعليم، فَلِمَ أضيّع حياتي مع الأولاد؟ لِمَ لا أقوم بتعليم الشبان والشابات المؤهلين لدخول الجامعة، فأكون عندها في منصب معلمة لديها مستقبل ومنزلة رفيعة نوعاً ما؟»

قال سبانس بتعقل: «حسن، لِمَ لا؟»

رمقته شرلي بنظرة.

أمرها بقوله: «لا تنظري إليّ وكأني حاولت تحطيم حلم حياتك للتو. فأنا اسأل فقط. هل أنت متأكدة من أنك تريدين لعب تلك الورقة؟»

elromancia.com

نظرت شرلي إليها وقالت: «فات الأوان الآن.»

قال: «سأدعك تسترجعينها، لكنك ستدينين لي بواحدة.»

هزت رأسها وقالت: «اعتقد أني سأبقيها. لِمَ لا اعلّم في الجامعة؟ لأن أي شخص يمكنه تعليم هؤلاء الطلاب.»

قال: «استميحك عذراً، لكن...»

قالت: «فكر في الأمر. يا سبانس. حين يصبح الانسان في عمر يؤهله لدخول الجامعة. فقد يرغب في أن يتعلم أو لا. فان كان يرغب في ذلك، فانه يستطيع عملياً تعليم نفسه. وان كان لا يرغب فيه فانه سينصرف عن العلم وأهله، ولن يكون لنوعيّة الاساتذة الذين سيعلمونه حينها تلك الأهمية.»

هزّ رأسه وقال: «لا اعتقد أني اوافقك على ذلك. اتذكر بعض الاساتذة...»

توقف عن الكلام. وبعد لحظة قالت شرلي تستحثه: «نعم؟»

قال سبانس ببطء: «في آخر سنة لي في المدرسة، كانت هناك معلمة جعلتني اعاني أوقاتاً صعبة. كنت أشبه كثيراً نوع الشبان الذين تتحدثين عنهم، النوع الذي يجد دائماً اعذاراً بدلاً من القيام بفروضه، والذي لا يزعج نفسه في بعض الأحيان حتى في ايجاد عذر.»

أومأت شرلي برأسها.

قال: «لقد توفيت والدتي في ذلك العام. وبدا لي انه لم يعد هناك ما يهم في شأن المدرسة. اني بالتأكيد، لم اتوقع ان الدراسة ستوصلني إلى أي شيء، وفي الحقيقة كنت أفكر في ترك المدرسة.»

قالت: «لكن...»

قاطعها مضيفاً: «وقررت أن ينتهي بي الأمر كميكانيكي. فقد بدا لي انه الأمر الوحيد الذي أتمتع بموهبة فيه، فلِمَ اذاً لا ابدأ؟»

تمتمت شرلي قائلة: «قِصَرُ نظر نوعاً ما.»

قال: «ربما، لكني كنت في الثامنة عشرة من العمر، ولم يبدُ لي ان هناك أي بديل آخر. لم يكن عندي خالة وعم محبّان ليتطوعا لدفع أقساط تعليمي الجامعي.»

عضت شرلي على شفتها. انه لا يبدو ساخراً، تماماً، ولقد لاحظ بالتأكيد، انها تعرف كم كانت محظوظة جداً. وبرغم ذلك...

قال: «وفي كل حال، اعتقدت ان هذه المعلمة ستقول لي ذلك حتى دعتني ذات مساء ووضعت النقاط على الحروف، اخبرتني ان ما حصل لوالدي ليس سبباً كافياً لي لأهدر حياتي.»

اطلقت شرلي تنهدة ذعر طويلة.

ابتسم سبانس ابتسامة ملتوية عريضة وقال: «قلت لها لو انها كانت رجلاً لضربتها، وقالت انها اشتبهت في أن يكون عندي احساس بالكرامة مختبىء في حنايا نفسي. ولقد جعلتها تكتشف للتو مكانه.»

قالت شرلي: «كانت امرأة هادئة الطباع.»

قال: «جداً، كانت تعرف كل نقاط الضغط، وكم تضغط، بقوة لتحصل تماماً على النتيجة المطلوبة. بعد ما تلقيت بعض دروس علم النفس في الجامعة عرفت تماماً ما كانت ترمي إليه، لكن في ذلك اليوم، كل ما عرفته هو، انها كانت المرة الأولى التي يهتم فيها شخص بهذا الأمر. كانت المرة

www.elromancia.com

الأولى التي يُمسك فيها أحدهم قلماً ليقول: «يمكن ان يكون هذا لك، يا سبانس.»

وضعت شرلي رأسها فوق رأسه.

لم ينظر سبانس اليها. واضاف: «انها المرة الأولى التي أخبر فيها احداً عنها.»

كان في امكانها من خلال نبرة صوته، القول انه نادم على ذلك، أيضاً، على الأقل جزئياً، خوفاً من ان تغدق عليه شفقتها الجياشة. كان عليها ان تتنحنح قبل ان تستطيع القول: «لكن ذلك يؤكد نظريتي، يا سبانس، لو أنك كنت قد دخلت الجامعة، لكان يمكن تلك المعلمة ان لا تتاح امامها الفرصة لمعرفتك كفاية لتعرف اي ازرار يجب ان تضغط عليها.»

ارتسمت على وجهه ابتسامة صغيرة لذلك.

قالت شرلي بمرح: «اذاً كنت ستعمل في اصلاح السيارات، اصلاح المحركات أم الهيكل الخارجي؟»

قال: «المحركات، لماذا؟»

قالت: «أمر مؤسف حقاً. ان مظهر سيارتك يشير إلى انها بحاجة إلى حداد ماهر.» وتأملت شرلي اوراقها المتبقية. ثم اضافت بعد تفكير عميق: «أو ربما الاثنين معاً.»

قال: «لا شك أني احدثت عطلاً في المحرك، أيضاً، فانها تدور بصعوبة.»

قالت بلهجة ساخرة قليلاً: «آه، ذلك يجعلني اشعر بالارتياح اكثر.»

ابتسم سبانس ثانية ولعب آخر ورقة يحملها. ثم قال: «شكراً، يا شرلي.»

قالت: «علام؟ على الاهتمام أم على منحك الفرصة لتهزمني؟ للمناسبة، هل تحدثني لتتحقق ان كنت ما زلت اتكلم بعقلانية أو لالهائي عن اللعب؟»

قال: «للاثنين معاً.» وجمع سبانس الورق وبدأ يخلطه، واضاف قائلاً: «ويبدو ان الأمر قد نجح. هل أنت متأكدة من أنك لا ترغبين في اللعب مجدداً؟»

قالت: «اني متأكدة.» ورفعت نفسها من اعماق الأريكة. لم يكن الأمر سهلاً؛ فقد غارت الوسائد وكان جسمها كله يؤلمها. ربما الجلوس هادئة لم يكن فكرة رائعة؛ ربما ابقى التحرك عضلاتها مرتخية. واضافت قائلة: «اريد بعضاً من الطعام لآكله. اننا لم نتناول الفطور.»

قال: «تكلمي عن نفسكِ.»

صمتت لبرهة وهي في طريقها إلى المطبخ ثم ادارت رأسها ونظرت اليه من فوق كتفها وقالت: «الهذا السبب كنت تبحث حول الكوخ هذا الصباح وتصدر الكثير من الأصوات؟»

قال وقد بدا مستغرباً: «ابحث؟ اريدك ان تعرفي أني كنت هادئاً جداً.»

قطعت شرلي قطعة سميكة من رغيف الخبز ومسحت عليها قليلاً من المربى. وسألته: «لماذا؟ كي لا اطلب منك المشاركة؟»

اجابها قائلاً: «اني أرفض هذا الاتهام، كنت سأطلب مشاركتك بالطبع.» وكان قد تقدم وانحنى فوق المِنْضَدِ في ذلك الوقت - يراقبها وهي تشرك قضمة من الخبز، وسألها: «هل تفعلين ذلك؟»

قالت: «المشاركة؟ افعل ذلك بنفسك، يا سبانس. لكني سأعد لك فنجاناً من القهوة.» واعادت ملء الابريق ووضعته على الموقد.

قال: «فقط لأنك تريدين واحداً.»

قالت: «هذه هي روح التعاون الحقيقية، الا تعتقد ذلك؟»

مدّ سبانس يده والتقط السكين الخاص بقطع الخبز وقال: «في هذه الحالة يجب ألا اقول لك ان هناك بعض المربى على وجهك.»

مسحت شرلي زاوية فمها.

هزّ سبانس رأسه وقال: «لقد اخطأتها.»

سألته: «اين تماماً؟»

كان يمسح بتمهل المربى على قطعة الخبز، ليتأكد من ان كل جزء من سطحها قد غُطي وقال: «تعالي إلى هنا لأدلك. من صميم قلبي، أتفهمين؟»

لم يكن ينظر اليها. لكن النبرة المحمومة قليلاً في صوته، جعلت شرلي ترتعش قليلاً في داخلها. لا يمكن ان يقصد انه كان يعتزم تقبيل تلك اللطخة السخيفة على وجهها، ايمكن انه قصد ذلك؟ بعد ما قاله عن اللعب بالنار؟ لا، انه لم يكن يقصد شيئاً من هذا بالطبع.

لم تلاحظ انها تحركت في اتجاهه حتى استدار ليصبح في مواجهتها. كان الجو بارداً في المطبخ، لكن أنفاس سبانس كانت دافئة فوق جبهتها واسرع قليلاً من المعتاد، تقريباً كما كانت هناك في اعلى الهضبة.

كانت ذراعه تحيط بها من جهة واحدة. وشعرت شرلي بتشنج تام في معدتها. وقالت في نفسها، أنت تعرفين

أفضل. لكنها اغمضت عينيها، وانتظرت ان تلامس شفتاه وجهها.

لكنها عوضاً من ذلك، شعرت بمسحة القماش البارد على ذقنها، وفتحت عينيها في اللحظة التي سحب سبانس فيها منشفة المطبخ الرطبة عن وجهها. وقال بلهجة عادية: «هنا، هذا يهتم بها.» ورمى المنشفة من فوق كتف شرلي نحو المغسلة وعاد ليمسح المربى بعناية فائقة.

قالت في نفسها. ذلك سيعلمك ان تعتقدي أنك لا تقاومين.

اكلت بقية قطعة الخبز بتمهل، وكانت تقضم قطعاً صغيرة لأن قطعة الخبز كانت قد بدأت تجف وتهدد بأن تعلق في حنجرتها. ثم اعدت القهوة.

لكنها كانت لا تزال تفكر في المربى. قالت في نفسها، انها قد تفاعلت كثيراً تجاه ذلك الوضع برمته بالطبع. كان سبانس محقاً في شأن اللعب بالنار. لقد كان كل ذلك المأزق سيئاً بما فيه الكفاية كما هو. واي اتصال حسي كان كاضاءة موقد المازوت تحت وعاء يحتوي على أسيد. المغفل فقط قد يفعل ذلك.

قالت في نفسها، تلك المعرفة لم تمنعها من ان تكون مغفلة. وكأن تلك القبلة الملتهبة هناك عند اعلى الهضبة قد ازاحت الغطاء عن صندوق عقلها، مكان صغير. خفي حيث خبأت ذكريات كل قبلة، كل عناق، وكل لمسة. فقد تدفقت تلك الذكريات ثانية الآن، وبدا وكأن كل شيء يقوم به يضرب وتراً ويستدعي صورة...

قالت في نفسها ان الانجذاب الحسي ليس كل شيء. حتى انه لم يكن الأمر الأكثر اهمية في علاقة ما. اذاً

لماذا تسمح لنفسها بالانغماس في رغبات قديمة؟

لقد اعتادت ذلك، هذا كل شيء. يجب ببساطة ان تسوي تفكيرها قبل ان تسبب مشكلات أكثر.

كان سبانس يفتش عن الطعام الموجود في الخزانة. وكاد صفيره الذي لا يتوقف ان يجعلها تفقد صوابها عندما وقع اختياره على علبة حساء جاهزة للأكل.

اقترح قائلاً: «لنتناول غداء مبكراً، كي نعوض فقط الفطور المتأخر. اين فتّاحة العلب؟»

شدّت شرلي الدُرج حيث وضعتها. وعندما علق الدرج، شدّته بقوة اكبر، فانخلع المقبض في يدها. ووقفت مأخوذة هناك للحظة تجول بعينيها بين المقبض والدرج. كان المطبخ قديماً وكانت مقدمة الأدراج متساوية تماماً مع واجهة الخزانة؛ لم يكن هناك أي حافة للوصول اليه.

فكّرت انه كان من السيىء عدم وجود ثلاجة هنا، لكن اذا لم يستطيعا الحصول على فتاحة العلب، فان الأمور ستجري مسرعة من سيّىء إلى اسوأ.

استدار سبانس وقد نفد صبره وضاقت عيناه فيما احدى يديه ممدودة لتتناول فتاحة العلب، وقال: «والآن، ماذا؟»

هزّت شرلي كتفيها ورفعت المقبض ثم قالت: «اعطني السكين الخاص بالخبز وسوف احاول خلعه.»

قال: «على الأرجح، سوف تجرحين معصمك وأنت تفعلين ذلك.» ورفع كمي كنزته ودفع الدرج الذي يليه، ففتحه، ومرّر يديه في داخله وضغط براحتي يديه على وسط الدرج الاعلى وقال: «ذلك يظهر مساوىء الأدراج الخشبية.»

اصدر الدُرج صريراً عنيداً، وراقبت شرلي عضلات ساعديه تشتّد وتلتوي. واخيراً اصدر الدرج صريراً وانفتح نحو بوصة. ادخل سبانس اصابعه في الفتحة وجذبه بعنف، لكنه لم يستطع فتحه الا بوصة أخرى فقط.

قال: «اللعنة. هل يمكنك ادخال يدكِ من هنا؟ فيداي كبيرتان جداً.»

ادخلت شرلي كلتا يديها في الفتحة وحاولت ان تسحب فتاحة العلب. كان عليها ان تمسك تلك القطعة بين السبابتين وادارتها لتتمكن من اخراجها من الفتحة الضيقة. فقال سبانس بمرح: «ما من مشكلة. ان كان هناك اي شيء قد نحتاجه فمن الأفضل ان تخرجيه الآن. أشك ان ذلك الدرج قد يفتح ثانية قبل شهر حزيران.»

تحسست شرلي الحوائج في الدرج ثم قالت: «عليّ ان أتذكر هذا التمرين لأخبره لتلاميذي في المدرسة. انه تحدٍ لمعرفة الأشياء من دون رؤيتها، آوه!»

قال سبانس محذراً: «احترسي من السكاكين.»

قالت: «الآن تخبرني ذلك. ما كنت اعتقد أننا سنواجه ادراجاً عالقة في الشتاء، هل كنت تعتقد ذلك؟ من المفروض ان تكون جافة هنا مع ارتفاع حرارة الموقد المشتعل ولهب النار.»

قال: «قد يكون سبب كل ذلك الماء الذي رششناه على النار لتطفأ.»

هزت شرلي كتفيها من دون مبالاة، وقالت: «لا بدّ من تناول القهوة.»

قال: «وبرغم ذلك، فانه لمن الدهشة ان يعمل اي شيء في

هذا الكوخ، تعرفين، انه بارد طوال فصل الشتاء، ولربما هو مليء بالعفن طوال الصيف ومهمل طوال ايام السنة. فان سحج ذلك الدُرج قليلاً بالمسحاج فلن يشكل اية متاعب مرة ثانية، لكن مارتن لن يفكر في القيام بذلك.»

كفت شرلي عن تحسس محتويات الدرج وأخذت تتأمل مفصل اصبعها حيث جرحتها. وقالت: «حسن، ما من أحد اتهم مارتن بسوء عمله الميكانيكي. عندما حاول آخر مرة أن يحصد المرجة، مَزَجَ الزيت بالبنزين كي يوفّر الوقت وعطل الحصادة.»

قال: «متى حصل ذلك؟»

«آه، منذ نحو خمس سنوات. حصل ذلك عندما استخدمت شارلوت رجلاً ليقوم بمختلف الأعمال.»

قال: «شخصية بارزة.». وقذف سبانس المقبض المخلوع إلى داخل الدرج.

ارادت شرلي الاعتراض، ثم فكرت في الأمر في شكل أفضل، من المرجح، انه قد يقول لها اذا ما ارادت استرجاعها، تستطيع البحث عنها. فسألته: «لهذا السبب مارتن فخور بك إلى هذه الدرجة؟ لأنك تقوم بأشياء كتلك بمهارة كبيرة.»

قال وقد بدا شارد الذهن: «فتح ذلك الدرج لم يكن بحاجة إلى مهارة، يا شرلي، قد يتطلب ذلك قوة كبيرة. ولكره ان افكر في أن ذلك هو السبب الوحيد الذي من اجله يستبقيني مارتن.»

جلست شرلي على زاوية الطاولة. وقالت بحذر: «اتعرف، لقد تساءلت دائماً عن سبب بقائك في منطقة هاموند؟»

نظر اليها ثم عاد لتحريك الحساء ثانية. وقال لها: «كانت شركة منتجات هدسون فرصة جيدة لي، نوعاً من التمازج بين الأمور الادارية للناس وحل المشاكل العملية. اني من الاشخاص الذين يحملون المسؤولية، لكن في معظم الشركات التي هي بذلك الحجم لا استطيع الدخول إلى قسم الانتاج.»

تركت شرلي الصمت يسود نصف دقيقة، لكنه لم يتابع كلامه. فقالت: «لا، ما قصدته هو...» وتوقفت عن المتابعة ثم اضافت: «آسفة. لا شأن لي بذلك.»

قال: «تعنين بسبب والدي، وما قام به؟»

انها المرة الأولى، التي تذكرها شرلي، التي تحدث فيها عن هذا الموضوع. فقالت: «حسن... نعم. فكرت ان الأمر سيكون اسهل في اي مكان آخر.»

هزّ سبانس كتفيه بلا مبالاة، وقال: «كدت ان اغادر. فقد أدرج اسمي عملياً في اللائحة السوداء في منطقة هاموند. ذلك أمر مؤكد. ما من أحد كان على استعداد للمخاطرة باستخدام ابن جون غرينفيلد. لكني لم استطع نسيان أمر اطلعتني عليه معلمتي، اني لا استطيع الهرب مما قد حصل، لأنني حيثما اتجهت لا فرق طالما عليّ ان اعيش مع نفسي. لذا عندما اعطاني مارتن الفرصة...». وتهدج صوته قليلاً.

قالت شرلي بنعومة: «انه انسان مميّز جداً، اليس كذلك؟ بالتأكيد لا استطيع ان أنسى كم أنا مدينة له ولشارلوت، أيضاً. لكن مارتن ليس من العائلة، لأن شارلوت هي شقيقة والدتي. ما كان لزاماً عليه ان يأخذني ويعاملني كابنة له، لكنه فعل ذلك.»

قال سبانس بصوت خفيض: «نعم، أعرف.»

تساءلت ما الذي يقصده تماماً بذلك، لكن حتى قبل ان تبدأ بالمناظرة، تابع سبانس كلامه قائلاً: «حتى أنك سُميّتِ باسم شارلوت، اليس كذلك؟»

قالت: «نوعاً ما. كانت جدتي تدعى شيرلي، لذا كان من الصعب ان يجمعا كلا الاسمين معا. أنظر!»

قفز سبانس شاتماً بعدما سقط بعض من الحساء الساخن على يده. وسألها: «ماذا؟»

قالت: «لقد اشرقت الشمس.» وهرعت شرلي إلى النافذة. لقد سارعت حرارتها بإذابة قسم من الجليد، لذا فان وسط زجاج النافذة كان جلياً، تحجبه فقط كثافة البخار من الداخل، والتقطت منشفة المطبخ لتمسح الرطوبة، وتجهمت اشمئزازاً من اللطخة المتسخة التي نجمت عن ذلك على المنشفة. كم مضى من الوقت على غسل هذه النوافذ؟

كان الضوء خافتاً وباهتاً، لكنه كان من دون شك نور أشعة الشمس مباشرة. وبدا لشرلي وكأن اللون قد عاد فجأة إلى عالم من الأسود والأبيض وقد أضافت الظلال عمقاً وابعاداً على ما كان يبدو منظراً طبيعياً، سطحياً وبسيطاً.

بدا الثلج الذي يغطي الأغصان متلألئاً وكأنه جواهر طويلة الشكل تنثر اقواس قزح صغيرة عبر منحدر التل.

تبعها سبانس إلى النافذة. قالت شرلي: «لن يمضي وقت طويل قبل ان تبدأ بالذوبان، اليس كذلك؟» ولمسكت ذراعه في غمرة حماسها، وهزّتها ثم أضافت: «ربما نستطيع الخروج اليوم!»

قال: «ان استمر هذا.» ومال بعنقه نحو الجنوب

واضاف: «لا استطيع ان اعرف ان كانت السماء ستصفو أو انه مجرد تباعد موقت بين الغيوم؟»

لكن وبينما هو يتكلم اختفت الظلال وأصبحت من الماضي، وكأنها لم تظهر قط.

صرخت شرلي: «اللعنة، ذلك ليس عدلاً!»

قال سبانس بصوت فظ: «لقد مضى يوم فقط. ولن يستمر ذلك إلى الأبد.»

لاحظت فجأة انها تركت رأسها يضطجع على كتفه، فابتعدت بسرعة. وقالت: «آسفة.»

قال: «الحساء ساخن. هل هناك المزيد من رقائق البسكويت؟»

أخذت تبحث في الخزانة، ممتنة للفرصة التي اتاحت لها ان تدير له ظهرها. ما الذي اصابها على اية حال؟ انها لا تريده، أفلا تستطيع البقاء بعيدة عنه؟

سكب سبانس الحساء في الصحنين. وقال: «ماذا نفعل بعد الغداء؟ هل تريدين الثأر لخسارتك في لعبة الثمانية المجنونة؟»

ارتاحت شرلي لتغيير الموضوع. فقالت: «لعب المزيد من الورق؟ لا، شكراً. كادت اصابعي تتقرح من كثرة الخلط.» وفكرّت، وقلبي أيضاً من الجلوس قريبة جداً منك. وأضافت: «سأنظف المكان قليلاً.»

نظر سبانس حوله وقال: «ولِمَ تزعجين نفسك؟»

قالت: «حسن، اني لا اتوقع ان امسح كل ذرة من الغبار. لكن منذ ان ذكرت ذلك الوضع بأنه...» ارتجفت ثم اضافت: «من المضحك أني لم الاحظ ذلك من قبل.»

قال: «لا، ان الأمر ليس كذلك. فالضوء خفيف جداً هنا حتى أنك لا تستطيعين رؤية حية الا اذا دستها.»

قالت: «آه، ذلك مطمئن جداً. اعتقد عندما كنت آتي مع مارتن إلى هنا لم الاحظ ان كان المكان نظيفاً حينها أم لا، لأني كنت مجرد طفلة، أو ربما كانت السيدة باكستر تنظف المكان بين الحين والآخر. على كل الأحوال لا اعتقد أن جو من النوع الذي يدع خيوط العناكب تكبر كفاية لتخنقه.»

ضحك سبانس، وقال: «اعتقد أني سأخرج للبحث عن مخزن الحطب الرئيسي. لا اعرف ان كنت لاحظت ذلك ولكننا استهلكنا كمية كبيرة من الحطب الموجود عند المدخل الخلفي. وان تدنّت الحرارة الليلة فسنحتاج إلى اضافي.»

لقد جعلها تنظيف المطبخ تجد عملاً تقوم به، على الأقل. لقد شغل تفكيرها أكثر مما قد يفعله الجلوس أمام النار. وأخذت تنظف الأوساخ بكثير من القوة. لكن النشاط لم يوقف الصداع الذي ازعجها طوال النهار. وكانت تتوقف، بين المرة والأخرى، لتلتقط انفاسها، وفي كل مرة تقريباً كانت تنظر فيها عبر النافذة إلى الخارج كانت ترى سبانس يحمل كومة أخرى من الحطب بين ذراعيه إلى الفناء الخلفي. لم يكن في عجلة للعودة الى الداخل. حتى انه توقف عدة مرات ليتأمل السماء، برغم الحرارة أو ربما كان ينظر إلى الطيور. هل كان متلهفاً للهروب منها كما كانت متلهفة لابقاء مسافة بينهما؟

حمل آخر رزمة من قطع الحطب إلى الداخل. مع دلو حديدي وقام بِغرف الرماد بانتباه قبل ان يشعل النار من جديد.

تركت شرلي أخيراً تنظيف الأوساخ واستلقت على الأريكة وقد اغمضت عينيها. كان رأسها يؤلمها بشدة الآن. وشعرت بقليل من الغيثان في معدتها، أيضاً.

اخيراً ابتعد سبانس عن المدفأة إلى الوراء، فيما اشتعلت النار بابتهاج من جديد، قال: «آسف على الفوضى التي احدثتها.»

قالت شرلي من دون ان تفتح عينيها: «لا يزعجني الأمر حتى وان نثرت الرماد في ارجاء الغرفة. لقد أنهيت تنظيف المطبخ فقط.»

قال: «تبدين مرهقة.»

قالت: «ان عنقي متشنج قليلاً، وأعاني من صداع بسيط.»

تجهم وجهه وقال: «من أثر السقطة؟»

هزت رأسها بعناية وقالت: «لا، لقد شعرت بوجع الرأس منذ أن استيقظت هذا الصباح. تناولت بعض الأقراص المهدئة قبل بعض الوقت، لكنها على ما يبدو لم تفدني كثيراً.»

قال: «دعيني اضع هذا الرماد في الخارج وأغسل يديّ، وسأدلك لك عنقك.»

عندما عاد إلى غرفة الجلوس، كانت شرلي شبه نائمة. ممددة على بطنها على الأريكة. جلس عند حافة الأريكة إلى جانبها، وتمتمت معترضة بفتور لأنها أزعجت. تجاهل سبانس التذمّر وبدأ يدلّك عنقها.

كانت يداه دافئتين وثابتتين وقويتين. وفي الحال لقي التدليك اللطيف استجابة منها، حيث انبعثت الحرارة في

اعماق عضلاتها. كان ذلك مهدئاً ومريحاً، واصدرت صوت أنين قصيراً في داخل حنجرتها.

سكنت اصابع سبانس وسألها: «هل آلمتك؟»

كان عليها ان تبذل جهداً لتتكلم، وقالت: «لا، على الأقل، كان نوعاً لذيذاً من الألم بالاضافة إلى ذلك.» واضافت بصبيانية: «انه اقل شيء يمكنك القيام به. وعلى اي حال، انك السبب في شعوري بالحقارة.»

قال: «انا؟ آه، بسبب الطريقة التي أمسكتك بها.»

هزت شرلي رأسها ثم تمنت لو انها لم تفعل؛ فالدوار لم يفارقها. فقالت: «اعتقد ان الأمر أكثر من ذلك. اني لست مصابة بدوار فقط، اشعر أيضاً بأني مريضة، لا بدّ أنك قد نقلت إليّ زكامك.»

قال: «لم يكن زكاماً. الم تلاحظي اني لم أعد اعطس؟»

قالت شرلي بعناد: «حسن، بالأمس كنت تبدو كما أبدو انا الآن. ربما كانت تلك الانفلونزا قد اصابتك في شكل خفيف.»

لكن كان عليها بذل مجهود كبير لتناقشه في ذلك، لذا اغمضت عينيها ثانية وتركت نفسها تغرق في مقعد الأريكة، مأخوذة بضغط اصابعه المعتدل القاسي. لم تلاحظ من قبل ان يديه قويتان إلى هذه الدرجة. حتى الان، لم يكن قاسياً أو فظاً؛ كانت اصابعه تبحث عن كل عضلة متألمة في رقبتها وكتفيها ويُخرج الألم منها، ولم تكن لمسته مؤلمة، بل كانت رقيقة وناعمة.

فرك سبانس عنقها مرة أخيرة وسريعة؛ وكأنه قرأ أفكارها وقال: «هذا كل ما تستطيع اصابعي ان تفعله.»

هل كانت هناك نبرة غريبة في صوته؟ واستدارت شرلي ببطء لكي تتمكن من رؤيته.

كان يفرك عينيه وكأنهما تؤلمانه، وتمتم قائلاً: «لا بد انه قد دخل فيها بعض السُخام.»

قالت بنعومة: «من جهة أخرى. قد لا تبدو بشعاً ابداً مع ضمادة على العين، مع تلك الضمادة واللحية يمكن ان تكون قرصانا.» ورفعت يدها من دون وعي منها تقريباً، لتفرك شعيرات لحيته.

قال برقة: «شرلي.»

لكن شرلي لم تسمع لهجة التحذير في صوته. فقد حل عفريت صغير ثائر في تفكيرها الباطني وهمست: «كان يجب ان يكون هذا شهر عسلك.» كانت تلك الكلمات وكأنها تلاوة تتردد في رأسها.

لامست برأس أصبعها الغمازة في ذقنه؛ ووضعت راحة يدها على وجهه. أمسك بيدها ودفعها بعيداً، لكن اصابعه تشابكت مع اصابعها، وبينما كان يدفع يدها برقة إلى جانبها، انحنى في شكل تلقائي تقريباً نحوها.

اغمضت شرلي عينيها ببطء.

أطلق اصابعها، لكن فقط ليدخل كلتا يديه تحت كتفيها ويرفعها لتصبح شبه جالسة. وضعت يديها على كتفيه، مستمتعة بقوته.

قال لها: «انك جميلة جداً.» نبرة صوته كانت تكاد أن تكون أكثر من همس دافىء فوق شفتيها، كان عناقه رقيقاً ومشتاقاً، ذاك النوع من العناق الذي كان يجعلها عادة في خلال خطبتهما ترغب في نسيان ذلك العهد

المزعج الذي أخذته على نفسها بالانتظار حتى يوم زفافها.

تململت اصابع شرلي عبر وجهه، وفوق أذنه ومن خلال شعره. ما المشين في أن تستسلم لتلك الرغبة؟ كان يجب ان يكون هذا شهر عسلك....

لكنه لم يكن، ولسبب مهم جداً.

تراجعت إلى الوراء قليلاً، وتركها سبانس على الفور. واستدار على حافة الأريكة حتى اصبح ظهره في اتجاهها وبدأ يفرك صدغيه. وكان رأسه يؤلمه هو أيضاً. وقال لها: «اللعنة، يا شرلي، هل اوقفت هذه الألعاب؟»

عضّت على شفتها. لم تستطع ان تنكر حقاً الاتهام بانها هي التي بدأت، وبرغم ذلك لم يكن الأمر برمته ناتجاً منها. فقالت بحدة: «وافترض ان فرك العنق لم يكن متعمداً؟»

لم يجب سبانس وابتعد عن الأريكة، مع ذلك كان في امكانها ان تعرف من الأصوات الصغيرة التي أصدرها انه انحنى ليلقي قطعة حطب في النار.

سألته: «كم من الوقت تعتقد سيمضي حتى نخرج من هنا؟»

اجابها: «غداً، اعتقد، سنحاول ذلك، على اي حال!»

لأننا لا نستطيع البقاء هنا معاً فترة اطول. كان في امكانها تقريباً سماعه يقول ذلك، لقد رنت تلك الكلمات في رأسها بوضوح تام، أو انها قالتها هي بنفسها؟

دفعت شرلي نفسها لتجلس على حافة الأريكة. وفجأة بدا لها انه من المهم جداً الا يفكر سبانس في أنها غير قادرة على السيطرة على نفسها. فقالت: «اني قلقة على شارلوت،

أتعرف؟ لم أخبرها أني لست ذاهبة الى المنتجع. ولم اتوقف حتى لأفكر كم ستقلق ان حاولت الاتصال إلى هناك وعرفت انني لم اصل بعد. لا بدّ أني مجنونة لأني لم افكر فيها قبل الآن.»

لم يستدر سبانس وقال: «لا عجب ان كنت كذلك، اعني مجنونة.»

قالت: «وماذا يعني ذلك؟»

قال: «لا بدّ ان رغبتك في الابتعاد عن شارلوت كانت دافعك الأول.»

قالت: «لماذا؟ اني احب شارلوت. لقد أحسنّتُ معاملتي.»

قال لها: «لقد اربكتك فعلاً، اليس كذلك؟ اني مندهش. فبدلاً من أن تنتحب على مهنتك التعليمية، لم تحاول منعك من القيام بأي شيء على الاطلاق.»

قالت: «لِمَ عليها القيام بذلك؟» وأخذت شرلي تروح وتجيء عبر الغرفة الرئيسية واضافت: «عليّ القيام بعمل ما لأكسب عيشي.»

قال بلهجة فظة: «آه، حقاً؟»

انقبض صوت شرلي فقالت: «حتى وان كان مارتن وشارلوت قد خططا ان يتركا لي كل قرش يملكانه، الأمر الذي لست متأكدة ابداً انهما ينويان فعله، فما زلت بحاجة إلى نوع العمل. لقد صممت دائماً على ان أفعل شيئاً مهماً في حياتي.»

اومأ سبانس برأسه وقال: «بالطبع. لذلك السبب كانت تعتمد الأساليب الملتوية.»

سألته: «ماذا تعني؟»

www.elromancia.com

اجابها: «ألم يخطر لك ان خالتك العزيزة ستحب كثيراً ان تبقيكِ إلى جانبها ليل نهار؟»

قالت شرلي: «بالطبع انها لن تفعل. انها امرأة مريضة، لكنها تكره ان تغيّر لي مخططاتي.»

قال: «حقاً؟ لم الاحظ قط ان مرضها يمنعها من القيام بما تريد فعلاً أن تفعله.»

قالت: «ذلك سخيف! كادت أن تموت في الخريف الماضي.»

قال: «اني لن أناقشك في ذلك. لكنها ستكون بصحة أفضل في شكل عام ان نهضتْ وقامت بعمل ما، عوضاً من الاستلقاء على الأريكة وتناول حبوب الدواء والشعور بالأسى على نفسها.»

اجابت: «ليس عندك فكرة كيف...»

قال: «ان كانت تريد ان تعزل نفسها عن العالم، فذاك شانها. لكن الأمر يختلف عندما تحاول ان تُديرَ حياتكِ، على أية حال، فكرة مَنْ كانت، اعادة احياء كوخ البستاني؟»

أجابته شرلي بحدة: «فكرة شارلوت بالطبع.»

قال: «وقبل ذلك اقترحت ان أنتقل شخصياً إلى السكن في المنزل.»

قالت: «كان ذلك أمراً منافياً للعقل وقد عرفت ذلك! كانت مجرد طريقة لتخبرك كم هي تُرحّب بك.» وترقرقت الدموع في عينيْ شرلي، وجعلها الضيق في حنجرتها تتوقف عن الكلام. فقد فكرت، لو ان ذلك حدث لكان أمراً رائعاً.

سألها: «اكان ذلك هو السبب حقاً؟»

قالت: «مناف للعقل؟ بالطبع كان كذلك. فالمنزل ببساطة ليس كبيراً بما يكفي لتسكن فيه عائلتان...»

قاطعها قائلاً: «لا، كنت اعني هل أنت متأكدة من انها كانت تخبرني بتلك الطريقة كم هي سعيدة بدخولي إلى العائلة؟ أم أنها كانت طريقة لابقائك قريبة منها قدر المستطاع؟»

قالت: «اذاً، فانك تقول الآن ان شارلوت عارضت الفكرة كلها؟ ذلك سخيف، وكأنك تقول إنها قد اعدت ذلك المشهد كي ادخل واشاهدك وأفسخ خطوبتنا...» ونظرت اليه برزانة وسألته: «اهذا ما تقصده؟»

تنهّد سبانس وقال: «لا.»

قالت: «حسن، لأنه كان ليكون اسخف اقتراح سمعته.» وادارت له ظهرها. وكانت تشعر بدوار في رأسها من شدة التوتر. ربما انها ستصاب فعلاً بالأنفلونزا! انها بالتأكيد تعاني تلك العوارض.

قال: «شرلي، ارجوك...»

قاطعته قائلة: «هل تطلب مني ان أغفر لك، يا سبانس؟»

لم يجبها في الحال وعندما اجابها كان صوته متهدجاً فقال: «ليس تماماً.»

قالت بلهجة تهكمية: «لأنك لم تفعل شيئاً، هل هذا صحيح؟ هل تتوقع مني ان أصدق ذلك عندما كنت هناك؟ اني اعرف ما رأيت، ياسبانس!»

القى قطعة حطب أخرى في النار بقوة مما جعل الشرر والرماد يتطايران. وقال: «انا لا اتوقع منك اي شيء بعد الآن، يا شرلي.»

قالت: «حسن»

كان الألم في رأسها قد اشتد أكثر الآن. ولم يكن ذلك مدهشاً. ستستلقي برهة، حتى يزول الألم، ثم تتجه إلى منزل آل باكستر. مسافة ميل ليست بعيدة جداً؛ لا بد انها مشت اكثر من ذلك هذا الصباح. انها ستبتعد عن الكوخ، على الأقل، ستبتعد عن سبانس.

جلست على الأريكة والقت رأسها على المساند الخلفية، وقالت وكأنما تكلم نفسها: «كيف حدث أن اخطأت في معرفتك إلى هذه الدرجة؟»

اعاد سبانس صفيحة المدفأة إلى مكانها وقال: «كنت اسأل نفسي ذلك السؤال، أيضاً.»

ساد المكان سكون هادىء ومؤلم يقطعه فقط صوت النار بين الحين والآخر.

الفصل السابع

كانت شرلي ستنهض ببساطة وتغادر الكوخ لو كانت عندها القوة لفعل ذلك. لكنها شعرت انها متلاشية تماماً، وكأنها لن تملك القدرة على الحركة ثانية.

تساءلت لماذا هذه المشادة الخاصة تزعجها إلى هذا الحد؟ انها صغيرة جداً إذا ما قورنت بالمشاجرة الأولى، تلك التي وضعت حداً لخطبتهما. وفي الواقع، ان هذه المشادة ما هي إلا تتمة لتلك المشاجرة.

فكرت بطريقة حالمة، المشاجرة الأولى لنا. ففي خلال فترة خطبتهما التي دامت نحو الشهرين، لم يتشاجرا قط، لا على خطط الزفاف، ولا على تزيين الكوخ، ولا على ما سيفعلانه في الوقت الذي يقضيانه معاً...

تجهمت قليلاً. هل هما لم يتشاجرا قط لأنهما كانا متفقين دائماً، أو ان اختلافهما كان ببساطة غير ظاهر، مدفوناً؟ وبدت مشاعر سبانس تجاه شارلوت تشير بالتأكيد إلى احتقار كان يجيش في صدره منذ وقت طويل، الأمر الذي لم تكن شرلي تشك فيه قط لكن كانت هناك أمور أخرى، أيضاً، وقد بدأت تفكر فيها، ربما انها أمور ليست مهمة جداً بحد ذاتها بالقدر الذي ظهرت به. ألم يهتم سبانس حقاً بنوعية الأطباق التي اختارتها؟ أم ان مرونته الظاهرة كانت جزءاً من برنامجه غير المعلن، خطة لابقاء شرلي سعيدة بأي ثمن؟ هل كانت شارلوت محقة عندما فكرت أن

www.elromancia.com

سبانس لم يكن مهتماً بشرلي لشخصها، إنما لكونها قريبة مارتن هدسون؟

إن كانت تلك هي اللعبة التي يلعبها، فان كل شيء قد انهار، بالتأكيد، ذلك النهار في كوخ البستاني.

قالت في نفسها: لا أهمية للأمر الآن.

فكرت في المضي إلى غرفة نومها حيث يمكنها أن تكون وحيدة وتبكي قدر ما تريد. انها تكره أن تكون مريضة، لو أنها تستطيع فقط أن تزحف إلى زاوية حيث تكون بمفردها متفجعة لبرهة... اللعنة على الأنفلونزا، لِمَ عليها أن تصيبها الآن؟

قالت في نفسها: لأن مقاومتكِ ضعيفة جداً، فانها مرهقة، متعبة وحزينة.

اضافة إلى ذلك، ما كانت العلة لتأخذ هذه الصورة لو أن أوجاعها العاطفية لم تتحرك، وكان عليها أن تعترف أنه منذ بضع لحظات عندما قبّلها سبانس كادت آلام رأسها وصدرها وانقباض معدتها تزول.

فكرت شرلي، بالطبع، ما من أحد قال ان سبانس ليس بارعاً في ذلك النوع من الأمور، فمنذ لقائهما الأول معاً في حفلة رأس السنة، كان قادراً دائماً على ابعاد أية فكرة أخرى عن تفكيرها، تاركاً المجال له وحده بحيث يمكنه أن يعانقها بحرارة تجعلها تتوق وتتلهف إلى اليوم الذي تصبح فيه عروسه، عناقاً جعل من الصعب جداً عليها أن تستمر بالتفكير... أكان هذا السبب هو الذي جعله يتحول إلى وندي؟ لأن شرلي كانت مصرّة على مبدئها.

لا تجهدي نفسكِ بأسئلة سخيفة. ان كان هذا هو السبب

الذي دفعه إلى ذلك، فيجب أن يغمرها السرور على ما آلت اليه الأمور، فأي رجل يعتقد أن ذلك سبب كافٍ يسمح له بانشاء علاقة ما، فانه لا يُصلح لأن يمنح اسم زوج، لقد كان ذلك مؤكداً.

مع معرفة كل ذلك، فلماذا لا تزال تشعر وكأنها ستبكي؟

نامت في شكل متقطع نحو ساعتين. لكن يبدو ان ذلك لم يجدِ نفعاً كبيراً. فسواء كانت مستيقظة أو نائمة، فإن افكارها لا تتغير. سمعت نفسها تقول ذات مرة: «إذا كنت تحبّها يا سبانس، فَلِمَ تقدمت بطلب يدي؟» اصطدام صدى تلك الكلمات في رأسها جعلها تنهض مرتاعة عن الأريكة.

لكن ذلك كان مجرد حلم. لا بدّ أنها كانت تحلم، لأنها عندما نظرت إلى ما حولها، كان سبانس قد أدار رأسه فوق مسند مقعده، وقال: «ماذا تريدين، يا شرلي؟»

تمتمت قائلة: «لا شيء.» واستلقت ثانية، شاكرة لأنها، على الأقل لم تتلفظ بذلك السؤال عالياً. لكن الارتباك لم يفارقها.

أكان المال هو السبب؟ التوقع أنها ستكون وريثة مارتن، وهكذا فانه سيكون متأكداً ليس فقط من توافر العمل له في شركة منتجات هدسون وانما من سيطرته النهائية على الشركة.

كان قلبها يقول لها لا، سبانس ليس ذلك الرجل القادر على ذلك النوع من المكر. وبرغم ذلك فقد كانت ستفهم الأمر فيما لو كان هذا هو الحال. لقد حصل على القليل من الأمان في حياته حتى مَنَحَه مارتن فرصة لذلك. أكان من العجب إن نظر سبانس إلى الأمام بامعان وقرّر أن يرسخ مركزه

بأن يصبح المالك التالي لشركة منتجات هدسون أيضاً؟

لكنه لم يفعل ذلك، قالت شرلي في نفسها، فالرجل الذي أحبته لا يستطيع القيام بأمر كهذا. لقد كان سبانس مهتماً بها فعلاً؛ كان من الصعب عليها اقناع نفسها بأنها خدعت في هذا الشكل الفاضح.

هزّت رأسها بتعب وقالت لنفسها ألا تكون مخبولة؛ فالرجل الذي أحبته قد خانها. ولم يكن قط ذلك الفارس بدرعه اللامعة الذي كانت تحلم به.

الرجل الذي أحبته... وهل كان هو أيضاً، الرجل الذي ما زالت تحبه، برغم كل شيء؟

غمرها احساس عندما واجهت ذلك السؤال، كالهزّة الأرضيّة ليحرك كل خلية في جسدها.

عندما يُحب الانسان بصدق، ليس من السهل أن يختفي ذلك الشعور عند أول صدمة محتومة تصاب بها تلك العلاقة الرومانسية. وحتى عندما تكون تلك الصدمة الأولى قوية جداً، كما صُدِمتْ شرلي، فان الحب لا يختفي بومضة عين. ويمكن ان يظهر ويختفي حسب مجريات الأحداث، لكنه لا يجف ويتطاير كما أعشاب الحديقة مع أولى نسمات فصل الخريف.

سيتطلب الأمر وقتاً لتتغلب على ذلك، قالت في نفسها ذلك غير مرة في خلال الأسبوع المنصرم. لكن ماذا إن لم تكن هناك مدة كافية من الوقت؟ برغم الحادثة في كوخ البستاني، وبرغم فسخ خطبتها، برغم الكلمات القاسية والمشاجرات، عندما ينتهي كل ذلك، تجد نفسها ما زالت مغرمة به؟

مغرمةً به، وتريد يائسة أن تصدقه؟ أكان من الممكن حتى أن تفعل ما طلبه منها؟

لقد قال لها: «خذي كلمتي موضع ثقة، ان كنت تحبينني كفاية.»

لكن ذلك اعادها إلى البداية مباشرة. كان يتوقع منها أن تصدق أنه بريء. لكن ان كان كذلك، فيجب أن يكون هناك سبب لما حدث في الكوخ. إذاً لماذا؟ ان كان يمكن شرح ذلك، فهو لم يخبرها ما الذي حصل فعلاً؟

اغمضت شرلي عينيها وتعمدت ترك افكارها تعود إلى ذلك المساء المشرق، عندما كان العالم ما زال جميلاً ويشع بالحب والفرح والأمل. لقد تركت الباب مفتوحاً، أم انها أقفلته؟ لقد استعملت المفتاح الذي يخصها، عرفت ذلك، لكن هل كان الباب موصداً فعلاً؟

سألت نفسها، وما الفرق في ذلك؟ ان كان يتوقع أن يُكشف أمره، لما قام باستخدام الكوخ على الاطلاق. من الواضح أنه كان يشعر بالأمان هناك. أكان الباب موصداً أم لم يكن.

تجهمت شرلي، لقد بدأ يتشكل في أعماق تفكيرها انطباع غامض، ثم اختفى قبل أن تتمكن من فهمه.

دخلت إلى غرفة الجلوس الصغيرة ولاحظت وجود المقعد الجلدي المزدوج الجديد، ومؤخرة رأس سبانس، وشعر وندي الغزير كالشلال على كتفه...

لا، لم يكن هناك أي خطأ في ذلك، أيضاً، كانت وندي بين ذراعيه، لأنه عندما قفز على قدميه، كادت تسقط على الأرض.

فكرت شرلي، لعل وندي خططت ليبدو ذلك على هذا

النحو. ربما سمعت وقع خطوات شرلي ورمت بنفسها بين ذراعي سبانس...

هزت شرلي رأسها. وقالت في نفسها، انك تتعلقين بقشةٍ وتحاولين أن تجدي له عذراً.

لم يكن هناك بكل بساطة وقت لدى وندي لتتدبر ذلك المشهد. وأيضاً لم يكن هناك شيء يظهر أن سبانس كان مكرهاً على ذلك الوضع. لقد صدم عندما واجه شرلي، لكن كما بدا واضحاً ليس من شيء قامت به وندي في اللحظات القليلة الماضية، لأنه في اللحظة التي رأته فيها شرلي، حتى قبل أن يعرف أنها موجودة هناك، بدا مرتاحاً جداً. وفي الواقع، بدا وكأنه كان يجلس على المقعد المزدوج منذ بعض الوقت ووندي مائلة نحوه.

ماذا قال؟ لا يمكن أن يستمر الأمر هكذا، يا وندي، أو شيئاً كهذا. لا، من الواضح أن سبانس كان يعرف تماماً في ما يتعامل، حتى أنه لم يكن يحاول أن يفكر في حبيب منبوذ؛ كان الأمر واضحاً وكأنه كان يضع قانوناً.

برغم ذلك، لم يكن يبدو نوعاً ما وكأنه يُصدر أمراً. كانت هناك نبرة من الألم الحاد في صوته، وكأنه كان يقدم تضحية مؤلمة جداً.

لكن إذا كان يحب وندي...

شعرت شرلي بصرع في رأسها. فقالت في نفسها، عليّ أن أتوقف عن هذا. عليّ أن أخرج من هذه الدوامة.

تركت رأسها يسقط على مساند الأريكة الخلفية واعترفت أنها تستطيع أن تربط معاً كل الأعذار المنطقية التي تعجبها، لكن حتى ذلك، فلن يحدث أي تغيير. وان

تجادلت في ذلك الشأن في دخيلتها لأسابيع، فسيبقى عقلها يملي عليها امراً، فيما قلبها يملي عليها أمراً آخر. والحقيقة أنها كانت تريد أن تصدق قلبها.

فكرت، ذاك لأني ما زلت أحبّه. لا فرق لما يحدث، أو لماذا كان هناك معها. فأنا ما زلت أحبّه.

تأوّهت بألم، فنهض سبانس عن مقعده واتجه نحوها ليضع يده على جبهتها.

قال: «لا تبدو حرارتك مرتفعة. ما رأيك في بعض البرتقال؟ أعتقد أنه ما زال لدينا بعض منه.»

أومأت شرلي برأسها. ونهضت حتى أصبحت شبه جالسة على الأريكة. فقد جعلها ذاك الجهد تصاب بدوار، وعندما عاد سبانس أعاد ترتيب الوسادات خلف ظهرها لتجلس في شكل ملائم.

ملأ سبانس الكأس بالعصير وقدمه اليها. فابتلعت شرلي نصفه تقريباً دفعة واحدة. ثم لاحظت أنه طوال مدة تناولها العصير، سيبقى سبانس جالساً إلى جانبها. لذا قررت أن ترتشف البقية رشفاً. بالطبع، ان هي اطالت فعل ذلك، فلا بد أن يقول شيئاً، اليس كذلك؟

لم يكن تفكيرها واضحاً، انها بالتأكيد لا تمتلك سرعة بديهة ولا قدراً مؤثراً من التبصّر النفسي تجاه مشكلاتها. وقد أزعجها افتقارها إلى ذلك، وقبل أن تتوقف عن التفكير قالت بفظاظة: «أريد أن أصدقك. لكن كيف يمكنني ذلك؟»

اعتقدت لحظة أنه سيتجاهلها كلياً، لكنه قال: «لا جواب عندي عن سؤالك يا شرلي. فاما أن تستطيعي تصديقي أو لا. هل انتهيت من تناول العصير؟»

قالت: «لا، لم انته.» وضغطت على الكأس وكأنها تريد سحقها، ثم أضافت: «سبانس، أرجوك، أخبرني فقط ما الذي حدث؟»

زمَّ شفتيه وقال بصوت هادىء: «لن يجدي نفعاً إذا أخبرتك، لكن بالطبع ستزداد الأمور سوءاً.»

ضغطت شرلي أسنانها لتحبس دموعها وقالت: «أكره ذلك عندما تتصرف على هذا النحو. تبدو منطقياً جداً يا سبانس غرينفيلد، حتى وان تحدثت بلغة أهل المريخ فلا بد أنك تخفي حقيقة ما وراء ما تقول.» وارتجفت يداها بشدة مهددة عصير البرتقال بأن ينسكب عن حافة الكأس التي تحملها.

انتزعها من يدها وقال: «أعلم أنك تعتقدين بانه من السخف أن لا أخبرك.»

هزت شرلي رأسها، وقالت: «إنه أكثر من مجرد أمر سخيف. فأنت تتصرف على نحو مقيت و... عدائي!»

شَحُبَ لون وجهه وقال: «صدقيني، يا شرلي. ذلك أفضل.»

سألته: «وأنت من يقرر ذلك؟ ليس لي أن أقول شيئاً حيال الأمر؟»

قال: «من الصعب أن أقول لك الحقيقة ثم أسالك ان كنت ترغبين في أن أسحبها وأستبدلها بأكذوبة. أيمكنني ذلك؟»

قالت: «الحقيقة لا يمكن أن تكون أسوأ من هذا.»

قال: «أجل، قد تكون يا شرلي. وحين تُقال، ما من طريقة تعيدها إلى الخفاء. صدقيني، أتمنى لو استطيع المحاولة.»

كانت نبرة الألم واضحة في صوته، مما جعل شرلي تشعر بضيق شديد في حنجرتها لم يمكنّها من التكلم.

ترك سبانس الصمت يسود للحظة قبل أن يقول: «واجهي ذلك، يا شرلي، لا شيء سيسوّي الأمر بيننا. لا يسعك أن تحملي نفسك على الوثوق بي، وأنا... أنا لا استطيع ان أهتم أبداً بامرأة لا تثق بي. فلِمَ التسبب بالمزيد من الألم لكل منا؟ انسي الأمر وكفي عن الكلام في هذا الموضوع. سميه تعادلاً. كأنه لم يحصل قط.»

هزّت رأسها، لكن ذلك كان اشارة يأس أكثر منها عدم موافقة. قالت في نفسها، لقد انتهى الأمر. انه محق في ذلك. لينتهِ الأمر بكرامة؛ يا شرلي. انه الأمر الوحيد الذي يمكنك القيام به.

أضاف سبانس بهدوء: «قمنا بما يكفي من الأخطاء، فلِمَ نضيف إليها واحدة بعد؟»

كان عليها أن تتنحنح مرتين قبل ان تستطيع الكلام، وجاء صوتها بعد ذلك أعلى بقليل من النَفَس حين قالت: «أعتقد أنه من الصعب أن يكون لذلك أهمية الآن.»

تَرْكُ نفسها تأمل، بعد كل الأذى الذي أصابهما، بأن شيئاً ما قد يسوّي الأمر بينهما، كان أمراً سخيفاً حسب مقوماته، كما الاعتقاد بأن شارلوت يمكن أن تكون قد دبرت الحادثة برمتها لتبقى شرلي إلى جانبها فقط.

قال: «تماماً.» وربت على يدها واتجه إلى المطبخ وهو يحمل كأسها بيده.

جلست شرلي بهدوء وأخذت تنظر إلى ظاهر يدها، حيث لامست رؤوس أصابعه البشرة الرقيقة. بدا أن كل خلّية

فيها ترتعش وكانما قد مسّها تيار كهربائي. أرادها أن تكون إشارة طمأنينة. كانت شرلي متأكدة من ذلك، لكن بدلاً من ذلك، فقد شعرت بحزن عميق.

تحركت شرلي بصعوبة بينما كانت تغرق ثانية في تفكيرها، مدركة فقط أنها تشعر بالتعب الشديد. وفكرت أنها تريد ليبي، وليس شارلوت؛ برغم مرضها الشديد، أو ربما بسببه، فشارلوت لم تكن تأتي بنافعة في غرف المرضى. لكن مديرة شؤون منزل آل هدسون تعرف ماذا تفعل. انها تعرف كم يُعطي مجرد ارتداء ملابس نوم نظيفة ووضع الرأس على وسادة باردة، شعوراً بالتحسن.

نعم، كان عدم معرفة شارلوت بوجود شرلي هنا في الغابة أمراً حسناً، بمفردها كما أنها وحدها ومريضة...

تجهمت شرلي عندما حاولت ان تتبع تلك الأفكار إلى النهاية. وتحديداً لِمَ يجب الا تعرفه شارلوت؟ لكانت قلقت بالطبع، ولم يكن حسناً لها أن تقلق. لكن برغم ذلك، فان شرلي امرأة ناضجة. لها الحق في أن تكون مريضة ان ارادت ذلك.

حاولت أن تبتسم لسخافة تلك الفكرة. ربما كان لسبانس رأي خاص في شارلوت؛ صحيح أنها كانت متملكة قليلاً ومفرطة في العناية بنفسها. لكن ما من أحد يستطيع أن يجادل بأن لدى شارلوت شيئاً ما سوى دوافعها النبيلة. كانت تفعل ما تعتقده صحيحاً، كما يفعل أي شخص. فاذا كان ابقاء شرلي منشغلة يساعدها في تخطي هذه المحنة، فيجب شكر شارلوت على ذلك. وبالطبع، انها تريد ان تبقي شرلي قريبة منها. فابنة أختها هي الشخص الوحيد لها، إلى

جانب مارتن بالطبع. لا، ان سبانس قاسٍ جداً عليها، بوضع اللوم على شارلوت المسكينة فيما لا شأن لها بكل هذا...

غرقت شرلي في النوم ثانية.

لم تعرف كم من الوقت كان قد مضى عندما نهضت لترى شكلاً مبهماً وقد انحنى فوقها. يداه تمسكان بكتفيها، وكان يهزها بقوة جعلتها تشعر وكأن العاباً نارية تنطلق داخل رأسها. وأطلقت صرخة صغيرة مخنوقة، وقد تملكها الرعب.

قال بصوت أجش: «لقد استيقظت أخيراً.»

نظرت شرلي اليه شزراً. كان الظلام قد خيّم تقريباً وقد غشي بصرها قليلاً وقالت بصوت غير واضح تماماً: «تهانينا، يا سبانس.»

قال لها: «لم استطع ان أوقظك. كنت أحاول ايقاظك لأرى ماذا تريدين أن تتناولي في العشاء.»

مجرد التفكير في الطعام، جعلها تشعر بالتقيؤ. فقالت: «لا أريد شيئاً، فانا مريضة.»

قال: «اعرف أنك مريضة. لم ادرك من قبل كم أنت مريضة. تعالي، يا شرلي انهضي.»

قالت: «لقد اصبت بالأنفلونزا. دعني... أستريح.»

قال: «لا، إنها ليست الأنفلونزا، يا شرلي.»

تجهمت وقالت: «...سقطتي هي السبب؟»

قال: «غلطتك؟ ماذا فعلت... اللعنة، لا يهم الأمر الآن. لا استطيع التفكير في شكل صحيح تماماً لاتجادل معك، علينا ان نخرج من هنا. انه أوّل اوكسيد الكربون، يا شرلي.»

عرفت ان ما قاله كان مهماً بالنسبة اليها، لكن لم يكن في

امكانها أن تتذكر مدى الحياة لماذا أول أوكسيد الكربون... عليها ببساطة ان تستلقي بهدوء وتفكر فيه. قد تستطيع تذكر ذلك عندما يتوقف ألم الصداع في رأسها.

كانت نبرة صوت سبانس حادة عندما قال: «أصغي جيداً. ان اضطررت فسأجرّك من شعرك. اللعنة، يا شرلي عليك المساعدة. لا استطيع أن احملك!»

وخز ذلك كبرياءها قليلاً فاعترضت بوهن قائلة: «اني لست... سمينة جداً.»

كان الجو بارداً جداً في الكوخ. نظرت إلى ما حولها بترنح. ولاحظت ان البابين مفتوحان. وبدا وكأن احداً ما قد ضرب النافذة القريبة بمطرقة أيضاً.

قالت بقليل من الوقار استطاعت اظهاره: «سبانس، لن يُسَر مارتن بما فعلته بكوخه.»

أجابها: «اللعنة على مارتن واللعنة على كوخه. ان قدراً كافياً من الأوكسجين لا يصل إلى دماغك. ماذا تقترحين عليّ ان أفعل؟ الوّح لك بصحيفة؟» ثم رفعها على قدميها.

كانت تشعر بدوار شديد لذا لم يمكنها المحافظة على توازنها. فسحبها سبانس في شكل عملي نحو الباب. وعجزت عن المشي على الفناء المتجمد، وبرغم ما قاله من انه لا يستطيع حملها، فقد رفعها ببساطة.

أمرها قائلاً: «لا تتحركي.» ومشى الامتار القليلة نحو سيارتها.

احتارت شرلي لذلك. لقد ادركت لتوها بعدما وضعها بفظاظة على المقعد الذي إلى جانب السائق، أنها لو تحركت حينها لافقدته توازنه وسقط على الجليد. ترك باب السيارة مفتوحاً وعاد في اتجاه المنزل.

إضطجعت شرلي وامسكت بحافة المقعد بكل قوتها لتحفظ توازنها. شعرت وكأن العالم أخذ يدور في شكل أسرع فسألته: «إلى أين أنت ذاهب؟»

أجابها: «لأجلب الرماد الذي نظفته من المدفأة.»

قالت: «لكن لماذا تريد ان تأخذ...»

قاطعها قائلاً: «سوف أنثره على هذا المنحدر. فبقليل من الاحتكاك الالتصاقي الاضافي، قد نستطيع اخراج السيارة من هنا.»

قالت شرلي متجهمة: «الآن وقد خرجنا من الكوخ، فاننا بخير، اليس كذلك؟»

أجابها: «ليس بتلك البساطة يا حبيبتي. أنت بحاجة إلى علاج طبي.» وانحنى فوقها لحظة، وأخذ يدفع شعرها إلى الوراء بعيداً عن جبهتها. وجعلتها لمسات أصابعه الدافئة على وجهها تشعر بالارتياح.

اعتقدت أنه على حق، برغم أنها لم تبدُ قادرة على الاحاطة بالأمر كله بمفردها. ما الذي يحصل لتفكيرها بأية حال؟ من الواضح ان تفكير سبانس ما زال يعمل، لماذا لا تستطيع هي التفكير؟

أمرها بفظاظة: «لا تنسي كيف تتنفسين.»

لم تعرف شرلي كم مضى من الوقت عليها قبل أن يعود، أغلق باب السيارة وجلس خلف المقود. ولاحظت أن معصميّه قد كانا ناصعي البياض عندما ادار المحرك برغم أن يديّه كانتا ملوثتين بالرماد.

استطاعت أن تسأله: «وماذا عنك؟ لقد كنت هناك، أيضاً.»

أجابها: «اني بخير. لم ابقَ هناك بقدر ما بقيت أنتِ.»

تأخر المحرك لحظة قبل ان يدور. ورأت سبانس يغمض عينيه لحظة ليعبّر عن راحته.

قالت: «تعني لأنك كنت تجلب الحطب بعد ظهر هذا اليوم فيما كنت أنا أقوم بالتنظيف؟»

قال: «تماماً.» تنفس تنفساً عميقاً ثم أضاف: «ها قد انطلقنا. رددي صلاة، يا حبيبتي.»

بكل طاعة، بدأت شرلي بتلاوة الصلاة: «الآن اني مستلقية للنوم، اني أطلب من...»

قال سبانس بحدة: «لا، ليست تلك، اللعنة. أرجوك ليست تلك!»

لم تستطع أن تفهم ما قاله تماماً، لكن قبل أن تتمكن من أن تطلب منه أن يشرح لها، اوقف السيارة وداس برفق على دواسة البنزين، وتأرجحت السيارة على الفور على جوانب الطريق إلى جانب الهضبة، وترنحت شرلي بعنف على مقعدها: «انها مثل الدوامة تماماً.»

قال: «نعم. تابعي استمتاعك بالرحلة.» وبدأت القوة الدافعة تخف بينما علقت العجلات في الجليد، وحاول سبانس أن يعيد السيارة إلى الوراء حيث الممر مغطى بالرماد ثم قطعا الهضبة بالحركة الأمامية الصغيرة الأخيرة.

قالت شرلي بابتهاج: «لقد نجحت.»

قال: «أخشى أنها مجرد عقبة أولى من عدة عقبات.» كان الطريق الجانبي ينحدر في اتجاه الطريق العام، وبدأت سرعة السيارة تتزايد، ورفع سبانس المكبح بحذر لكن الاستفادة منه كانت ضئيلة. فأمرها قائلاً: «تمسكي.» وتأرجحت السيارة واندفعت إلى الطريق محدثة صوتاً هائلاً.

قال: «آسف على ذلك. لكن ابقاء ثلاث عجلات على الطريق في هذه الحالة، ليس بالشيء السيىء مطلقاً.» ونظر أمامه إلى الهضبة التالية وتنهد.

تثاءبت شرلي.

قال سبانس محذراً: «لا تبدئي بذلك. أرجوكِ. أفعلي ما في وسعك للبقاء مستيقظة، يا شرلي. اللعنة، كان عليّ أن أعرف أن هناك خطباً ما. الرائحة الفاسدة... اعتقدت أن المكان بالٍ ومتسخ بسبب اقفاله لمدة طويلة وكان عليّ أن تساورني الشكوك في تكاثف البخار على النافذة. كان هناك ما يكفي من الرطوبة في الهواء لجعل الأدراج عسيرة الانزلاق. وذلك ما لا يجب أن يحدث في هذا الطقس، لقد كنتِ على حق.»

سألته: «كنت كذلك حقاً؟» وبرغم أن شرلي كانت ترتعش من شدة البرد، ظلت تشعر بالنعاس.

قال: «بكل تأكيد. عندما لا يحترق الوقود تماماً، تنبعث منه رطوبة، إضافة إلى الغاز السام. انها واحدة من العلامات التقليدية، واحدة من العلامات فقط، طالما أنك لا تستطيعين تنشق رائحة اول أوكسيد الكربون بمفرده. لكني كنت مقتنعاً تماماً أن الكوخ فيه الكثير من الثقوب، الأمر الذي جعلني لا أبحث مطلقاً عما هو واضح.»

استطاعت شرلي أن تقول: «ما كان ذلك؟ أعني ذاك الذي سمّمنا. هل هي المدفأة؟»

قال: «لا أعرف. مدخنة متشققة قد تسبب اعادة الغازات ثانية إلى الكوخ، أو منفذ مسدود في فرن المطبخ. ربما

سنجاب قد بنى عشه في أعلى قسطل الموقد. ما كنت لأبقى وأبحث عن السبب.»

بجهد بطيء اتجهت السيارة نحو قمة الهضبة. وكانت تبدو في بعض الأحيان تتجه بضع أمتار إلى الجوانب كما إلى الأمام. لكن سبانس قاد السيارة بحذر ولم يرفع قدمه عن دوّاسة البنزين. ووصلا أخيراً إلى القمة.

سألت شرلي: «لماذا لم يلاحظ مارتن وجود خطب ما؟»

أجابها: «ربما لم يكن هناك أي خطب ليلاحظه في آخر مرة جاء فيها إلى هنا.لقد مضى على ذلك نحو سنة على الأقل، اليس كذلك؟»

أومأت شرلي لكنه لم يرفع عينيه عن الطريق فقالت: «أعتقد ذلك.»

قال: «ولم يكن هناك من سبب لجوباكستر ليهتم بالكوخ جيداً، لأنه لم يكن يتوقع استعماله هذا الشتاء. لقد كان سوء عناية منه بالطبع، أن يلقي نظرة على الكوخ عندما اتصل به مارتن. لكنه على الأرجح فكر بالطريقة ذاتها التي فكرّت أنا بها. ان المكان فيه الكثير من الثقوب ولن يكون هناك مشكلة في تسرب الهواء النقي إلى الداخل.»

نظرت شرلي إلى الهضبة التالية. لقد كانت أعلى من تلك التي استطاعا للتو بلوغها. وقد سقط في منتصفها فرع شجرة قطعت الطريق جزئياً. أغمضت عينيها وفكرت، ان سبانس سيتدبر الأمر.

قال سبانس بمرح: «أتساءل ما إذا كان الجليد هو ما اقفلها باحكام. إنه كاحاطة المبنى بكامله في كيس من البلاستيك. وكلما طال بقاؤنا في الداخل...» أدار رأسه

بحدة وأمرها قائلاً: «اللعنة، استمري بالتحدث اليّ. لا تستغليني الآن، يا شرلي، ابقي معي...»

تزحلقت السيارة في اللحظة التي غَفَلَ فيها انتباهه وجاهد حتى يعيدها تحت سيطرته. فتحت شرلي عينيها ونظرت بقليل من الاهتمام وبدا ان السيارة تقترب أكثر ناحية قناة الطريق عند كل مرة تتأرجح فيها.

توقفت السيارة على بعد قيد أنملة من القناة، لكنها كانت قد فقدت قوتها الدافعة كلياً. وهكذا كان على سبانس أن يعود إلى أسفل الهضبة ويعاود الصعود من جديد. كان ذلك أسوأ ما في الأمر، وبعد بضع دقائق أشارت شرلي الى منزل ظهر وكأنه اكثر بقليل من طيف مظلم إلى جانب الطريق. وقالت: «هناك يقطن آل باكستر.»

تنفس سبانس الصعداء بينما كان يقود السيارة بلباقة بعيداً عن الطريق العام نحو الطريق الفرعي الضيق. كانت يده ترتجف عندما اطفأ المحرك وقال: «يبدو وكأن التيار الكهربائي مقطوع هنا أيضاً. ابقي هادئة.» ترك باب السيارة مفتوحاً واتجه نحو المنزل.

ارادت شرلي ان تتذمر من التيار الهوائي. لكن القدرة على فعل ذلك خانتها وبدأت تحاول ببطء أن تنزل من السيارة. عوضاً من ذلك شعرت أن قدرة عضلاتها على الحركة قد تحسنت إنما ليس بالقدر الكافي.

رأت سبانس يضرب على الباب، ورأت الباب ينفتح وظهر رجل يرتدي فرو دب رمادياً.

قال سبانس بحدة: «احتاج إلى ايصال الآنسة كولينز إلى المستشفى.»

«شرلي؟ بالتأكيد، أدخل وسنتصل بالاسعاف.»

«هل يمكن لسيارة الاسعاف أن تصل إلى هنا؟»

كانت شرلي تسمع الحوار الذي يدور بينهما، بينما كانت تمشي متعثرة نحو المنزل بقليل من الاهتمام. سيارة اسعاف؟ لها؟ لم يحدث طوال حياتها أن مرضت إلى درجة تكون فيها بحاجة إلى سيارة اسعاف، وبدأت الاعتراض.

استدار سبانس قائلاً: «قلت لكِ أن تبقي هادئة!»

قالت بتذمر: «شعرت بالبرد.»

حملها بين ذراعيه. وفتح جو باكستر الباب على مصراعيه.

فيما هو يضع شرلي على أريكة طويلة قرب باب المدخل قال سبانس: «هل جهاز الهاتف لديك يعمل فعلاً؟»

«لا، لقد تعطل بسبب تساقط الثلوج. لكن لدي جهازاً لاسلكياً، ما هي المشكلة؟»

كان في امكان شرلي رؤية علامات الارتياح تظهر على وجه سبانس حين جلس بقوة على مسند كبير بقربه واضعاً وجهه بين يديه وهو يخبر جوباكستر بما حدث في الكوخ.

شدّ جو على فكه، لكنه لم يقل أية كلمة. واختفى متجهاً إلى وراء المنزل.

مدت شرلي يدها لتمسك بيد سبانس، لكنها لم تستطع امساكها، وكانت متعبة جداً لتنهض فتمتمت قائلة: «ساكون بخير الآن.»

حاول سبانس أن يبتسم، ثم قال: «نعم، سيكون الأمر على خير ما يرام. حالما تصل سيارة الاسعاف.»

فكرت، ان ذلك سيبعث على الارتياح. فهي لم تكن تشعر

بأنها أفضل حالاً في نهاية الأمر. أومأت برأسها وهي مستلقية على الأريكة.

كانت الأريكة إلى جانب موقد حطب كبير قديم الصنع، وبسرعة لم تعد شرلي ترتجف وغفت ثانية، لكن ليس في نوم فعلي بل في شبه غيبوبة. وعلى نحو غير واضح سمعت جو يقول ان سيارة الاسعاف في طريقها إلى هنا، لكنها لم تعر الأمر الكثير من الاهتمام؛ فذلك كان يتطلب الكثير من الجهد. برغم انها توقعت أن يصرخ سبانس في وجهها لتبقى مستيقظة، الا أنه لم يفعل.

حتى صخب المسعفين لم يوقظها تماماً. شعرت في شكل متقطع بهم، وهم يأخذون ضغط دمها ونبضها. وعرفت تماماً متى وضعوا لها قناع الأوكسجين على وجهها، لأنه جعلها تشعر وكأنها تختنق، وقاومته حتى انطلق الأوكسجين البارد وأخذ يلطّف رئتيها المهتاجتين. ولم تلاحظ كم آلمها التنفس، حتى بدأ الألم يخف.

قال جو باكستر: «انكما محظوظان، فإن هؤلاء الشبان كانوا هنا في المنطقة.»

نظرت إلى سبانس، واتسعت عيناها بذعر شديد عندما ادركت لأول مرة كم كان الأمر جدياً.

أبعد شعرها عن وجهها، بعيداً عن القناع، وقال: «ستكونين بخير الآن، يا شرلي. سيعتنون بكِ جيداً.»

في حين كانت شرلي غير قادرة على الحركة، وغير قادرة على المساعدة، رأت سبانس وقد انحنى وسقط على الأرض كدمية قُطعت خيوطها.

الفصل الثامن

نهضت شرلي وكان رأسها يدور من الصدمة والارتباك. وضع الممرض الذي كان يهتم بها يده على كتفها وساعدها للاستلقاء على النقالة. كان فعله تلقائياً؛ حتى انه لم يدر رأسه في اتجاه اضطراب الحركة وراءه حيث كان الممرضان الآخران يهتمان بسبانس.

سأل الممرض شرلي: «هل كان في الكوخ، أيضاً؟»

كان صوتها مخنوقا داخل قناع الأوكسجين، وكان عليها أن تبذل جهداً كبيراً لتقول: «نعم، لقد أخرجني من هناك، وحملني إلى السيارة.»

قال: «حملك؟ اللعنة وبالطبع ذلك المجنون لم يقل شيئاً.» وأضاف من فوق كتفه قائلاً له: «لقد بذلت مجهوداً فوق تنشق أول أوكسيد الكربون هناك.»

قالت شرلي بصعوبة: «سيكون بخير، أليس كذلك؟»

أجابها: «بالطبع، سيكون بخير. استرخي وركزي على التنفس ببطء وبعمق بقدر ما تستطيعين.»

لكنه لم يكن ينطق بالحقيقة؛ لم تكن متأكدة ان سبانس سيكون على ما يرام. عرفت شرلي ذلك في اعماقها، والتأكد من ذلك توضّح في رأسها كما لم يفعله أي شيء آخر بقولها: «لقد تسبب بأذية نفسه محاولاً انقاذي، أليس كذلك؟»

تطلع الممرض لحظة مباشرة إليها وقال معترفاً: «ذلك لم يجده نفعاً مطلقاً. لكنه أكبر منك سناً، وكمية الدم الذي في

جسمه أكبر من تلك التي في جسمك، لذا فهو يستطيع أن يتحمل أكثر منك.»

فكرت شرلي، لكن ليس بهذا القدر. برغم ان سبانس كان في الخارج لبعض الوقت من بعد ظهر ذلك اليوم، فانه كان يتنفس الهواء المسمم ذاته الذي كانت تتنفسه هي لساعات. وكما هي حالها، بدأت قواه تضعف شيئاً فشيئاً. لا عجب انه قال لا يستطيع حملها.

تذكرت، انه بعد ذلك حملها فعلاً، على أية حال حين كانت غير قادرة على التفكير حتى لتعرف ما الذي يجري، تدبر سبانس أمره ليبقى متماسكاً ليتمكن من الوصول معها إلى حيث المساعدة وانقاذ حياتهما...

على الأقل، أملت انه تدبر انقاذ حياتهما.

لا شك أن تناول أقراص الدواء هي التي ساعدته على الاحتمال، لذا لم يكن من المدهش كثيراً أن ينهار في اللحظة التي زال فيها مفعول الدواء. إن كان الجهد مع تنشق اول أوكسيد الكربون هو الذي تسبب بانهياره، إذاً فانه سيكون بخير.

تمكّنت من ان تدير رأسها بما يكفي لتتمكن من رؤيته من زاوية عينها. كان وجهه تحت قناع الأوكسجين متورداً وخالياً من التعابير فيما عيناه مغمضتان. راقبتهم وهم يضعونه على النقالة، فقد بدا جسمه مترنحاً.

واحد من الممرضين الآخرين قال: «حسن، اننا جاهزون للانطلاق.» فيما ثبت الممرض المنحني فوق شرلي الملاءة بقوة أكثر حولها وتفحص الأحزمة التي تشدها إلى النقالة. وساعده جو باكستر في حملها إلى الخارج.

لم تكن سيارة اسعاف عادية تقف على الطريق، بل كانت طائرة مروحية يهدر محركها فيما اشارات الانذار تضيء وتنطفىء بانتظام. وقد كتب على جوانبها اسم المستشفى، مركز طبي كبير في العاصمة معروف بخدمات الطوارىء التي يقوم بها.

سألت بوهن: «طائرة مروحية؟»

وضع الممرض النقالة التي تحملها مكانها على الجهة المقابلة لسبانس وثبتها باحكام وقال: «نعم، طالما ان الطرق العامة ما زالت مغطاة بالثلوج والركام. لقد دعينا لنقوم بنقل عادي كذاك الذي يقوم به طاقم أرضي. لذا كنا في المستشفى المحلي عندما طلب منا ان ننقلكم.»

فكرت، انه يتكلم ليلهيني وليؤكد لي حيث يخبرني، سواء أكان ذلك صحيحاً أم لا، ان سبانس في آخر الأمر ليس في حالة خطرة فعلاً.

نظرت إلى النقالة الأخرى وهمست قائلة: «يسرني انك هنا.»

طارت الطائرة المروحية وشعرت شرلي وكأنها تهتز بقوة، أو لربما يعود ذلك للألم الذي ما زالت تشعر به في رأسها. لم يكن الألم بذاك السوء الذي كانت تعانيه قبلاً، إلا انها في شكل عام، كانت تشعر بأنها قد استعادت طبيعتها تقريباً، إلا عندما نظرت إلى سبانس.

فكرت إني بمأمن، لكن ماذا عنه؟ لقد خاطر بحياته من أجلي، وأنا لا أستطيع حتى أن أشكره أو أقول له ان الأمور ستكون على خير ما يرام.

أغمضت عينيها، وكلمات صلاة الطفولة التي بدأت

بتلاوتها في وقت سابق، قد عادت إلى ذهنها مرة أخرى. فتمتمت: «الآن اني مستلقية لأنام...» لقد صرخ سبانس في وجهها عندما قالت تلك الكلمات، وكان تفكيرها مشوشاً جداً. فلم تعرف لماذا. الآن عرفت السبب، واستمرت بتلاوة الصلاة «ان متّ قبل أن أستيقظ...»

لا، فكرت بحدة. لن يدعوا ذلك يحدث. ليس لسبانس.

في غرفة الطوارىء في المستشفى، تساءلت، كم الساعة الآن؟ على كل الأحوال، لم يكن لدى شرلي أدنى فكرة. كان الظلام قد حلّ عندما أيقظها سبانس في الكوخ. لكن كم من الوقت تطلّب منهما الوصول إلى منزل آل باكستر؟ وكم من الوقت مضى في انتظار الطائرة المروحية؟

جعلت محاولة تذكر ذلك رأسها يؤلمها أكثر. لذا، أغمضت عينيها واستلقت بهدوء بينما كانوا يهتمون بها، وهي متأكدة تماماً ان في غرفة أخرى في جوارها يستلقي سبانس. ربما ما زال غير منتبه للصخب الشديد الذي يدور حوله. فهو لم يتحرك حتى عندما اخرجوا النقالة من الطائرة المروحية وأدخلوها إلى المستشفى. ألا يجب أن يكون تأثير الأوكسجين قد بدأ يظهر الآن؟

فكرت لو انها فقط لم تذهب إلى الكوخ، لما حدث أي شيء من هذا، أو على الأقل ما كان سبانس أرهق نفسه وهو يحاول انقاذها، وكان بخير....

لا، فالمرجّح أكثر انه كان ليلقى حتفه، فصعوبة ايقاظها جعلته ينتبه للأمر، لو انها لم تكن هناك، لكان من الممكن ألا يلاحظ ذلك في الوقت المناسب. على أية حال، ليس هناك الآن من فائدة في تمني عدم حدوث تلك الأمور.

لو انها تمتلك القدرة على العودة بالزمن إلى الوراء والقيام بالأشياء في شكل مختلف، فانها لن تبدأ باحداث الكوخ، بل هي ستعود إلى الوراء أكثر، إلى فترة بعد ظهر ذاك يوم، عندما عادت من المدرسة وذهبت مباشرة إلى كوخ البستاني. فسوف تستدير عند المدخل الأمامي وتتجه إلى المنزل الرئيسي، بدلاً من ذلك. وبما انها لم تعرف شيئاً عن وندي، كانت ستجري حفلة الزفاف كما هو مخطط لها، ولكانت هي وسبانس في نهاية هذا الأسبوع في الباهامس يقضيان شهر العسل، وليس في المستشفى طلباً للبقاء على قيد الحياة.

غرقت لحظة في احلام اليقظة عن الشمس والرمال، التوافق التام، الحب والضحك. لو انها فقط لم تدخل الكوخ وتره هناك مع وندي...

عادت شرلي إلى الواقع، منذهلة من المنحى الذي اتخذه ذلك الحوار. وقالت في نفسها، أية جبانة أنتِ، تدّعين عدم وجود الخطر لمجرد انك لم تريه! أيعقل انها كانت تفضل حقاً ان لا تعرف بشأن وندي؟ حتى وان وضع حداً نهائياً لتلك العلاقة الخاصة، فذلك لا يعني ان كل شيء سيكون ورديا بعد ذلك. الرجل الذي لا يخلص لخطيبته فمن المرجح انه لن يخلص لزوجته أيضاً، ولا يهم كم هي نواياه طيبة، ان وندي لن تكون الأخيرة...

لقد قال لها. ان الأمر ليس كما تفكرين.

أيعقل انه كان يقول الحقيقة؟ وان كان تفسير شرلي لما حدث في الكوخ خطأ، فماذا كانت الحقيقة؟

نكرت شرلي نفسها، اما ان تثقي به أو لا. ليس هناك من

موقف وسطي. فاما أن تحبه كما هو، أو عليها الاعتراف بانها لم تعرفه جيداً.

ماذا عن سبانس؟ هل يحب شرلي ويقدرها، أم انها كانت مجرد وسيلة لغاية ما؟

لا بد انه أدرك الليلة في الكوخ ان الخطر يحدق به أيضاً، وان أقل مجهود يبذله يرفع نسبة الخطر. لكنه عمل باهتياج شديد، من دون أن يفكر في نفسه ليوصلها إلى بر الأمان. وفي اللحظة التي بدأ الآخرون الاعتناء بها، انهار هو وكأن هذه المهمة قد انتهت وانه لا يأبه لأي شيء آخر بعد ذلك.

جال في فكرها، اني أعني شيئاً له. ما من أحد كان ليلومه، لأنه سحبني إلى الخارج حيث الهواء المنعش وتركني أواجه فرصة نجاتي إلى جانبه. انما هو ضحى بنفسه لانقاذي...

قاطع تفكيرها احد الممرضين قائلاً: «سنأخذك إلى غرفة أخرى الآن.» لكن شرلي لم تسمعه.

فكرت، لو أستطيع فقط أن أخبره اني فهمت.

في الردهة الفسيحة، توقف العامل الذي يدفع نقالتها ليدع أحدهم يمرّر مريضاً آخر. وبينما كانت شرلي تنظر دونما هدف. رأت رأساً يغطيه شعر أشعث أسود اللون...

صاحت: «سبانس!» وحاولت ان تمد يدها لتوقف العمال الذين كانوا يدفعون نقالته. كانت ايماءة ملكية، وكأنها ملكة تصدر أوامرها إلى العاملين في بلاطها، غير ان شرلي نسيت انهم قد أوثقوها إلى النقالة.

لذا كان أفضل ما تستطيع القيام به هو النظر إليه بينما كان العامل يمر إلى جانبها. أدار رأسه، ورأت عينيه

www.elromancia.com

مفتوحتين، وبرغم انهما بدتا كالزجاج خاليتين من بريقهما المعتاد؛ إلا انها أطلقت تنهيدة صغيرة من الارتياح. لقد استعاد وعيه على الأقل. وكان ذلك كافياً ليعطيها الأمل.

كانت جبهته متغضنة بعض الشيء، وقد قال شيئاً ما. لقد جعل قناع الأوكسجين سماع ما قاله صعباً، لكن شرلي كان في امكانها ان تقسم انه قال: «لم أكن أنا.»

ثم مضى. لم تستطع لمسه أو اخباره بانها تقدّر ما فعله، أو حتى الهمس بكلمة أحبك.

قالت في نفسها، سيكون هناك وقت لذلك في ما بعد. اني متأكدة من ذلك.

قال، لم أكن أنا. ماذا يمكن ان يعني ذلك؟ وصل مارتن إلى المستشفى في ساعات الصباح الأولى. وكانت شرلي مستيقظة لفحص نشاطاتها الحيوية وسحب حقنة أخرى من الدم، لذا سمحت له الممرضة بالدخول لبضع دقائق. وقف بهدوء إلى جانب السرير وأخذ ينظر إليها فقط.

نظرت إليه في دهشة، وقالت: «كيف وصلت إلى هنا؟»

قال: «لقد اتصل بي جو باكستر. فاتصلت على الفور بالمستشفى هاتفياً. فاخبروني ان حالتك في تحسن، لكن...» وبرغم النور الخافت استطاعت رؤية الدموع تتلألأ في عينيه.

اعتقدت شرلي انها لن تستطيع تحمل رؤية انهيار مارتن، فاستطردت قائلة: «عنيت الجليد وكل شيء.»

قال: «آه. الطرق الرئيسية أصبحت في حالة حسنة الآن. الطرق الفرعية فقط ما زالت حالتها سيئة.»

بلهجة فيها القليل من التوبيخ قالت: «إذاً، لقد قدت إلى هنا في منتصف الليل؟» وكافأها بابتسامة ضئيلة.

قال: «عليّ التأكد من ان ابنتي بخير، أليس كذلك؟ شرلي، لم أعرف في ما أفكر عندما وصلني اتصال جو بأنك قد نقلت بالمروحية من منزله. اعتقدت ان ذلك كان مجرد تقرير ورد خطأ، بحيث ان سبانس قد أصيب بحادث فيما الآخر مصاب بارتباك. ثم عندما اكتشفت انك انت بالفعل، برغم انه لم يكن عندي فكرة بانك ذهبت إلى الكوخ أولاً...»

قالت: «آسفة على ذلك، يا عمي مارتن.» وضغطت شرلي على الزر الذي يرفع القسم الأعلى من السرير ثم أضافت: «كان عليّ أن أخبرك بأني لست ذاهبة إلى المنتجع.»

قال: «أعتقد ان ذلك كان ليوفر القليل من المتاعب.» ونظر إليها بطرف عينه نظرة ملية، ثم أضاف: «أو انكما انت وسبانس قد سوّيتما الأمور؟»

قالت: «لم تفقد الأمل، أليس كذلك يا عمي مارتن؟» ومدت يدها لتناول كأس المياه المثلجة عن المنضدة التي بجانبها وأضافت: «لا. لم نفعل. هل رأيته؟»

أجابها: «ليس بعد.» أمسك بالكأس بينما سحبت قناع الأوكسجين عن وجهها لحظة.

طاب لشرلي مذاق المياه الباردة. فتناولت جرعة كبيرة منها. ثم قالت: «هل شارلوت غاضبة مني؟»

قال: «لاختفائك بتلك الطريقة؟ لا أعرف ان كنت استطيع ان ادعو ما تعانيه غضباً. كانت قلقة، بالطبع.»

قالت: «لم تأتِ معك، أليس كذلك؟»

هز مارتن رأسه وقال: «إعتقدت أن من الأفضل الا

تخاطر في الخروج حتى طلوع النهار حيث ترافقها ليبي إلى هنا.»

قالت: «حسن» وأعادت شرلي القناع واستقلت إلى الوراء، ثم تابعت: «ليس هناك أي فائدة من جلوسها هنا ساعات طويلة، على أية حال.»

قال مارتن: «شرلي، اني آسف جداً.» وأخذ يلوي حافة قبعته بين يديه ثم أضاف: «انها غلطتي. في كل ما حدث. لم أسبب لك شيئاً سوى المتاعب، يا عزيزتي...» كان صوته متهدجاً. ولأول مرة كما تذكر شرلي، بدت عليه الشيخوخة.

ربتت على ذراعه لإعادة طمأنته، وقالت: «كان ذلك حادثاً يجب ألا تلوم نفسك.»

أطلت الممرضة وقالت: «أعتقد ان ذلك كاف، يا سيد هدسون. الآنسة كولينز بحاجة إلى الراحة.»

قالت شرلي: «وكذلك أنت، يا عمي مارتن. سأراك في الصباح.»

أضافت الممرضة: «لقد راجعت حالة السيد غرينفيلد، يا سيد هدسون. إن حالته تتحسن كثيراً بعد اخضاعه لعلاج الأوكسجين المضغوط، لكنه ما زال في قسم العناية الفائقة، ويمنع الطبيب دخول الزوار إليه قبل نهار الغد على الأقل.»

جلست شرلي وقالت: «علاج... ما هو ذلك؟»

قالت الممرضة بصوت دافىء ومطمئن: «أوكسجين مضغوط. إنه علاج خاص وملائم لدفع أول أوكسيد الكربون خارج الدم في وقت أسرع. استرخي الآن وحاولي أن تنامي.»

عضت شرلي على شفتها وبكت على وسادتها. وقالت

في نفسها: اكتمي صوتك. لقد عرفت في أعماق قلبها ان حالة سبانس كانت أسوأ من حالتها حيث تتطلب استعادته لوعيه وقتاً طويلاً. لكن تأكيد حدسها من قبل الممرضة جعل الأمر حقيقة مزعجة.

استلقت بهدوء، مستيقظة أكثر مما تكون في وضح النهار. واستطاعت عن بعد أن تسمع صفارة سيارة الاسعاف التي أوصلت مريضاً إلى غرفة الطوارىء تحت نافذتها.

إن حالة سبانس تتحسن كثيراً الآن. ستتمسك بتلك المعلومة، وغداً يسمح للزوار برؤيته. ستذهب وتراه، وتشكره على انقاذه حياتها وتسأله ماذا قصد بتلك الكلمات القليلة التي قالها في ردهة غرفة الطوارىء.

لم أكن أنا. هل كان يتكلم على ما رأته في كوخ البستاني؟ لكن ذلك كان سخيفاً. من المستحيل أن تكون قد أخطأت، لقد كانت في الغرفة ذاتها وتكلمت معه.

ما الذي كان يطلب منها تصديقه؟ انها كانت تتوهم عندما رأت وندي بين ذراعيه؟ أو ان هناك شبيهاً له مختبئاً في مكان ما أو توأماً له لم يسمع عنه أحد من قبل في منطقة هاموند؟

قالت في نفسها، انك تضللين نفسك الآن بوصولك إلى هذه الحدود في محاولة لايجاد تفسير! ربما انه كان يتكلم على شيء آخر تماماً.

ببساطة، ستنتظر حتى الصباح، وحالما يفحصها طبيبها ويسمح لها بالخروج، تذهب لمواساة سبانس.

لكن الصباح لم يحمل ما توقعته شرلي، وبدلاً من محادثة

بسيطة وممتعة مع طبيبها، يتبعها تعليمات عن كيفية اهتمامها بنفسها في المنزل وأوامر تسمح لها بالمغادرة، نقلت إلى قسم دراسة الجهاز العصبي لاجراء ما أسماه الطبيب فحوصا كهربائية كاملة.

شرح لها ذلك قائلاً: «عندما يتعرض الانسان لنقص في الأوكسجين، هناك احتمال تعرضه لضرر طويل الأجل في الجهاز العصبي. أعتقد في حالتك ان ذلك الخطر ضئيل، طالما انك استجبت بسرعة للعلاج، لكن من الجنون المخاطرة بذلك.»

لم تستطع شرلي إلا الموافقة على ذلك، لكن عندما أعادوها إلى غرفتها لتناول طعام الغداء، تمنّت لو انهم يتركونها بمفردها لتستعيد عافيتها. لقد كانت ضعيفة أكثر بكثير مما توقعت، وكل ما كانت ترغب فيه بضع ملاعق من الحساء، وشربة ماء وغرفة هادئة ومظلمة لبقية النهار.

قالت لمساعدة الممرضة، التي ساعدتها في العودة إلى سريرها: «الآن أعرف لماذا أسماها فحوصا كهربائية، برغم ان الضرب والجرح كانا وصفاً أفضل لها. أشعر وكأني قد ضربت على جسمي كله.»

ابتسمت المساعدة وقالت: «لذلك طلب الطبيب ألا تخضعي لكل الفحوص اليوم.» دفعت صينية الطعام إلى مكانها وناولت شرلي ملعقة.

صاحت شرلي: «هناك المزيد؟»

فتح الباب ودخلت شارلوت هدسون، وكان وقع عصاها الخشبية التي تستعين بها على المشي، يطقطق على الرقائق

المطاطية التي تغطي الأرض. وقالت متعجبة: «يا عزيزتي! أي خوف مريع أوقعتنا به!»

تنهدت شرلي وأخذت تحرك حساء الدجاج خاصتها. ثم قالت: «أعرف، يا خالتي شارلوت، واني آسفة.»

قالت شارلوت: «معرفة انك لم تذهبي إلى المنتجع، كانت صدمة بحد ذاتها. من حسن الحظ اني لم أحاول الاتصال بك في وقت أبكر. أكره أن أفكر في ما كان سيحدث لي عندما أعرف بأنك مفقودة. ثم حدث هذا...» أخذت تلّوح لنفسها بقفازيها ثم أضافت: «لقد كان ذلك كثيراً جداً. أنت تبدين متعبة جداً، يا عزيزتي.»

قالت ليبي: «نظراً إلى ما حدث لها، فهي تبدو أفضل مما ينبغي أن تكون.»

قالت شارلوت باضطراب: «لقد ترك قناع الأوكسجين علامات حمراء رهيبة على وجهك.»

قالت ليبي: «ستزول كلها.» وخلعت قبعتها ثم ألقت بمعطفها على الكرسي. وأضافت: «ان كنت ستلعبين في ذلك الحساء فقط، يا شرلي فسأطعمك اياه. لقد نجحت في ذلك عدة مرات في السابق.»

قالت شرلي: «أستطيع ان أتناوله بنفسي.» لكنها لم تعترض عندما اقتربت ليبي من جانب السرير وأخذت ملعقة الحساء وفتحت فمها بطاعة لأول ملعقة من الحساء.

قالت ليبي لشارلوت: «إنها لا تحتاج إلى أية محاضرات الآن. أيضاً. انتظري حتى تعود إلى المنزل على الأقل قبل أن تبدئي بتوبيخها لكونها طفلة طائشة وناكرة للجميل.» وغمزت شرلي.

قالت شارلوت: «لا أنوي أن أقول لها أي شيء من هذا القبيل. لقد أخبرتها ببساطة كم كنا أنا ومارتن قلقين عندما سمعنا بما حدث.»

تمتمت ليبي بصوت خفيض: «لا فرق.»

بينهما هما الاثنتان وبين تناول الحساء، عرفت شرلي بأنه لن يكون هناك فرصة لها لتتكلم، لذا فانها لم تحاول ذلك.

قالت شارلوت: «لكنك أنت على الأقل لن تعاني من آثار دائمة.»

تجهمت شرلي. هل شددت قليلاً على قولها أنتِ؟ هزت رأسها عند تناولها الملعقة التالية من الحساء وسألت: «ماذا عن سبانس؟ هل ساءت حالته هذا الصباح؟»

رفعت شارلوت بحذر حاجبيها قليلاً، ثم قالت: «لا أعرف، والأمر لا يهمني لأبذل أي جهد لمعرفة ذلك.»

قرع مارتن الباب ودخل، ثم قال: «انه أفضل حالاً. لقد رأيته للتو.» كانت هناك نبرة ثقة هادئة في صوته، مما جعل شرلي ترتاح قليلاً.

قالت شارلوت بحدة: «حتى قبل أن تأتي لرؤية شرلي؟»

تجاهل مارتن كلماتها واتجه إلى جانب سرير شرلي ووضع يديه على الحاجز، ثم سألها: «كيف حالكِ اليوم؟»

أجابته: «حتى الآن يبدو اني ما زلت بكامل قواي العقلية.» رأت سحابة حزن تظهر في عينيه وندمت على جوابها الذي لا يحمل أي معنى. فقالت: «اني بخير، يا عمي مارتن.» ومدت يدها لتمسك بيده وأضافت: «هل سبانس بخير حقاً؟»

قال: «لا أعتقد ذلك. لأن علامة «الزيارة ممنوعة» معلقة على الباب، لكن الممرضة سمحت لي بالدخول لبضع دقائق.» نظر مارتن إلى أصابعها الهزيلة، والتي بدت شاحبة بالنسبة إلى لون بشرته البنية ثم أضاف: «لقد تكلمت مع جو باكستر أيضاً. أول ما قام به هذا الصباح هو الذهاب إلى الكوخ. لقد كانت فتحة انبوب المياه الساخنة مسدودة برزمة من الأغصان الصغيرة. لقد عملت بعض الطيور بجهد لدفع تلك العيدان في داخل الأنبوب محاولة أن تبني عشاً. قال جو انه لم يكن في الامكان قط رؤية الانسداد.»

قالت شرلي: «وهكذا عاد الدخان إلى الكوخ.» التفكير انها وسبانس كانا ممتنين جداً لحصولهما على المياه الساخنة برغم انقطاع التيار الكهربائي، وان ذلك كاد أن يقتلهما. وأضافت: «إني سعيدة بمعرفة ما الذي تسبب بذلك. مجرد أمر بسيط تسبب بكل هذه المتاعب، أليس كذلك؟»

أطلقت شارلوت شهقة غضب متأففة وقالت: «حسن، لن تكون هناك متاعب من هذا النوع.»

قال مارتن بدهشة: «بالطبع لا، لقد نظف جوّ الأنبوب حتى قبل أن يتصل بي. لكن في حال لم تكن تلك وحدها المشكلة، فسيكون هناك استطلاع شامل للكوخ قبل أن يمضي أي شخص ولو ساعة واحدة في ذلك الكوخ ثانية.»

قالت شارلوت: «كنت أفكر في بيع ذلك المكان.»

قالت شرلي: «آه، عمتي شارلوت...»

إلا ان شارلوت تابعت قائلة: «إنه كوخ مريع، نتن وذو رائحة كريهة وغير مريح. لم أفهم قط سبب تعلقك به يا مارتن. إضافة إلى ذلك، لا أعتقد أنك ستتمكن من الذهاب

إلى هناك مطلقاً، وأنت تعرف انه كاد أن يودي بحياة شرلي.»

اعترضت شرلي قائلة: «انها ليست غلطة عمي مارتن. ليس من العدل أن تجعليه يتخلى عن الكوخ.»

قالت شارلوت بعناد: «من السخافة الابقاء عليه.»

ضغط مارتن على يد شرلي، وقال برقة: «لا تنفعلي. فذاك آخر ما يقلقني في الوقت الحاضر.» واستدار إلى شارلوت وأضاف: «انك تزعجين شرلي بهذا الكلام الفارغ.»

قالت شارلوت: «كلام فارغ؟ هل ذاك ما تطلقه على اهتمامي الصادق؟ واني أسألك، من هو المسؤول عن وجودها هنا في الدرجة الأولى؟»

قالت شرلي: «كُفّا.» قالت ذلك بصوت متهدج ثم أضافت: «أرجوكما. اذهبا إلى المنزل كلاكما. أريد أن أنام فقط.»

بدا ان الصمت الذي ساد نتيجة لذلك قد استمر ساعات قبل أن تقف شارلوت وتقول بحدة: «حسن.»

بقي مارتن ممسكاً بيد شرلي لحظة بعد ذلك. ثم قال: «سأتحدث إليك لاحقاً يا عزيزتي.»

ابتسمت له، ممتنّة بانه، على الأقل، قد بدا متفهماً.

ربتت ليبي على كتف شرلي ووعدتها قائلة: «سأفعل ما في وسعي لابقائهما بعيدين يوما أو يومين. برغم اني لا أضمن ذلك.

لكن حتى في سكون غرفتها الهادئة، لم يكن من السهل أن تنام.

لقد ذكرها الصوت الخفيض جداً لاندفاع الأوكسجين في الأنابيب، والأصوات المنخفضة التي تصلها من الردهة،

أصوات ووقع أقدام وعربات تجهيزات تدفع ذهاباً وإياباً، بأنه في غرفة ما حول الردهة يخضع سبانس للعلاج ذاته الذي خضعت هي له.

لقد أخبرها مارتن ان سبانس أفضل حالاً اليوم. لكن كان هناك شيء ما في الطريقة التي قال بها ذلك جعلتها تتساءل قليلاً. تمنّت لو انها تستطيع الذهاب والتأكد بنفسها.

من الخطأ اخفاء حالته عنها، لو كانت الأمور مختلفة قليلاً، لبذل الأطباء مجهوداً خاصاً لاعطائها كل التفاصيل. لن يكونوا قادرين أيضاً؛ على ابقائها بعيدة عنه؛ بغض النظر عن قلة الزوار المسموح لهم بذلك، فالزوجات لسن في عدادهن مطلقاً.

كان ذلك ما أرادته.

ذكرت نفسها بأن هناك حالات معينة. هل يمكنها القبول بها؟

هل يمكنها بصدق أن تقول لنفسها بأنها مقتنعة ببراءة سبانس؟ برغم انه لا يبدو وجود أي تفسير مقبول على الأرض، هل يمكنها الوثوق بقوله ان ما من شيء قد حدث في كوخ البستاني؟

مهما كان بينه وبين وندي أو فيما لو انها عرفت بذلك، هل يمكنها أن تضع كل هذا وراءها؟ ليس فقط أن تسامح بل أن تنسى؟

فكرت، ان عرفت فقط انه يحبني أعتقد اني أستطيع ذلك.

لكنها لم تعرف ذلك. ان ما قام به الليلة الماضية يؤكد صحة ذلك. لقد كاد يضحي بنفسه لينقذ حياتها، وان لم يكن ذلك دليل حب، فما هو؟

www.elromancia.com

قررت، انها حالما تجد الفرصة تخبره ان الايضاحات لا تهمها بعد الآن، وان كلمته كافية بالنسبة إليها، وستسأله ان كان في استطاعتهما بدء صفحة جديدة.

حالما تستعيد قوتها.

مضى يومان كاملان قبل أن يوافق الطبيب على انه ليس من خطر عليها في الذهاب إلى المنزل وقال لها: «لكن ممنوع عليك الذهاب إلى المدرسة لمدة اسبوع آخر على الأقل. قومي ببعض التمارين، لكن افعلي ذلك بتأن، ونزهات قصيرة بدون جري. وأريد أن أراك ثانية قبل أن أسمح لك بالعودة إلى مزاولة نشاطاتك كلها.»

أومأت شرلي برأسها.

قالت شارلوت: «لا تقلق أيها الطبيب. سوف نعتني بمريضتنا الصغيرة عن كثب. اني أعرف بالتأكيد الخطر الذي ينتج من القيام بالكثير من الأعمال في القريب العاجل.» ربتت على ذراع شرلي وأضافت: «ارتدي معطفك الآن يا عزيزتي، وسنصحبك أنا وليبي إلى المنزل.»

ارتدت شرلي مطيعة معطفها فوق البذلة الأنيقة التي أحضرتها لها شارلوت وتساءلت في ما فكرت هذه المرأة عندما انتقت هذه البذلة بالذات؟ فارتداء الجينز كان أكثر راحة لهذه الرحلة الطويلة ثم قالت: «أتمنى لو ان مارتن استطاع أن يأتي معكما.»

قالت شارلوت بحزم: «أراد ذلك. ولكن عنده أعمالاً يجب اتمامها. وبغياب سبانس وقعت كل الأعمال على عاتق مارتن.»

قالت: «بالطبع اني أفهم ذلك.» لكن شرلي افتقدته، برغم ذلك لقد عادها مارتن مرة واحدة. وكانت شارلوت ترافقه فلم تتح لها الفرصة لتسأل عن الكوخ وعن سيارتها، أو عن سبانس.

نظرت شرلي عبر الردهة ناحية غرفة سبانس. كان الباب مغلقاً ويافطة «الزيارة ممنوعة» ما زالت معلقة. كانت شرلي متأكدة من أنها لا تعني ان الزيارة ممنوعة لأسباب طبية لكن لا يسمح بها كلياً. وأمس سارت في هذه الردهة ذهاباً وإياباً نحو ست مرات محاولة أن تجد الشجاعة الكافية لتحدي تلك الأوامر وطرق الباب.

اقتربت احدى الممرضات منها وقالت: «حسن جداً أن أراك قد تعافيت وارتديت ملابسك وجاهزة لمغادرتنا. سوف نفتقدك، وكذلك السيد غرينفيلد أيضاً.»

حاولت شرلي ابقاء نبرة صوتها عادية وهي تسألها: «هل يغادر إلى المنزل اليوم. أيضاً؟»

أجابتها: «ربما بعد يوم أو يومين. لِمَ لا تقولي له وداعاً؟ اني متأكدة من انه يرغب في رؤيتك.»

قالت شرلي: «لكن اليافطة...»

قالت: «آه، تلك. قال انه يمكننا رفعها اليوم.»

فكرت شرلي، انها تقصد سبانس وليس طبيبه. ولقد قصد ابقاء تلك العلامة حتى مغادرة شرلي من دون شك. وبدأت تهزّ رأسها نفياً.

لكن الممرضة كانت قد عبرت الردهة ودقت الباب. فتحته وقالت بابتهاج: «هناك شابة تريد رؤيتك.» ونظرت نحو شرلي.

www.elromancia.com

نظرت إلى خالتها بارتباك وقالت: «سأعود بعد دقيقة يا خالتي شارلوت.»

كان كل ما استطاعت رؤيته في البداية ظلالاً؛ كان سبانس جالساً على مقعد ذي ذراعين مديراً ظهره ناحية النافذة، وبعدها اتضحت الرؤية أمام عيني شرلي، حدقت إليه بابتهاج. فقد حلق ذقنه ثانية، وارتدى ملابس نوم خاصة بالمستشفى وروباً زاهياً ذا نقوش مربعة. بدا شاحب اللون قليلاً، وكان فمه مطبقاً تماماً. لكنه كان يبدو رائعاً في شكل عام.

تساءلت شرلي ماذا يحدث ان ركضت إليه؟ ان رميت نفسي بين ذراعيه، أو ركعت إلى جانب كرسيه...؟

قطع تفكيرها صوت امرأة يقول: «ساتركك.»

فكرت شرلي، هل هي الممرضة. لكنها عرفت جيداً حتى قبل أن تستدير، لا يمكن أن تخطىء ذلك الصوت الرقيق. ماذا كانت وندي تايلور تفعل هنا الآن؟ ان كان سبانس لن يغادر المستشفى قبل يوم أو اثنين، فانها لم تأت لاصطحابه بالعودة إلى منطقة هاموند.

قالت شرلي في نفسها، لا تكوني حمقاء. إنها تزوره بالطبع. كنت محقة في شأن تلك اليافطة على الباب. انها لا تعني ان الزيارة ممنوعة بتاتاً، إنها فقط لأشخاص معينين.

قالت: «لا تذهبي يا وندي. ان شارلوت تنتظرني لتأخذني إلى المنزل. لقد جئت فقط لأقول له وداعاً.»

وقف سبانس وقال: «ذلك لا يعنيني بالطبع، لكن هل تجعلك عاجزة الآن، أيضاً؟»

قالت وندي معترضة: «سبانس!»

فكرت شرلي ان تلك المرأة قد بدت وكأنها تصحح تصرفات طفل مخطىء، والذي لم تستطع تصديقه، كانت الطريقة التي تفاعل بها سبانس تجاه ذلك التعنيف، فقد اتقد احمراراً ورمق وندي بنظرة جانبية.

كان يتصرف وكأنه قد خولها السلطة عليه، وفكرت شرلي في شكوك وقد ماتت بألم آخر همسة أمل لديها، بأنه ليس هناك شيء آخر يمكن القيام به غير الخروج بسرعة قدر الامكان.

رفعت ذقنها بكبرياء ثم نظرت إلى سبانس ببرودة وقالت: «انك على حق. لا شأن لك بذلك.»

تحركت وندي بتوتر.

كادت شرلي أن تقول، لا تقلقي. لا أستطيع الخروج من هنا بسرعة كافية.

لكن كان هناك أمران يجب أن يقالا، دونما الاهتمام بأية طريقة بشعة قد تحطم بها أحلامها. فقالت: «لم تتح لي الفرصة كي أشكرك يا سبانس ولأخبرك اني أقدّر كل شيء فعلته من أجلي. أتمنى أن تتعافى في القريب العاجل.»

كان ذلك كل شيء. اعتقدت انها سمعته ينادي باسمها. لكن صفقة الباب وهو ينغلق وراءها أخمده، أو ربما كانت تلك مجرد تخيلات فقط.

على أية حال، لم يعد هناك أية أهمية للأمر.

الفصل التاسع

كانت شرلي تتقلّب بانزعاج على المقعد الطويل في الغرفة الزجاجية التي تقع في مؤخرة منزل آل هدسون. كانت الساعة الثانية بعد ظهر يوم الجمعة، فكرّت في المعلمة التي تحل محلها الان وهي تعطي الطلاب اوراق المراجعة في دروس الرياضيات التي تركتها شرلي لها. بعدها هناك فترة الاستراحة والدروس الاجتماعية، ثم نهاية اسبوع آخر.

مع انتهاء فرصة الربيع، فتحت المدرسة ابوابها أمس من جديد، من دون شرلي. وذكرت نفسها بالطبع ان كان عليها ان تأخذ فرصة لبضعة أيام لأسباب مرضية. فهذا أفضل وقت ممكن، طالما انها قد تركت كل شيء محضّراً لبديلتها، لكن الجلوس من دون القيام بأي عمل في المنزل لن يسهل الأمور اكثر. انها بخير الان، بعد مضي يومين على خروجها من المستشفى. لعلها تستطيع العودة إلى المدرسة في وقت اقرب مما توقعه الطبيب.

لكن ان كانت صادقة مع نفسها، فعليها الاعتراف بأن المدرسة ليست الشيء الوحيد الذي تفتقده. نظرت إلى الكتاب المدرسي المفتوح على ركبتيها. لقد مضى حتى الآن نحو ساعتين وهي تنظر إلى الصفحتين عينهما وتفكر في سبانس.

يجب ان تكون مسرورة لأنها لم تتحامق في غرفته في المستشفى. كم كان الأمر محرجاً لو أنها أفصحت عن

اعتقادها بأن وندي لا تعني له شيئاً، ثم يخبرها كم هي مخطئة.

لقد اخطأت في شأن وندي، كان ذلك واضحاً، فتلك المرأة مهمة بالنسبة اليه، والا ما كانت لتكلمّه بلهجة التعنيف تلك وكأنها تملك كل الحق في تصحيح اخطائه. وما كان سبانس ليسمح بذلك.

لا، لو أن وندي لم تكن مهمة لما وجدت في غرفته مطلقاً.

رن جرس الباب، فأقفلت شرلي الكتاب المدرسي الذي بين يديها وهمّت بالنهوض. لكن على كرسي وثير في الجهة الأخرى من الغرفة الزجاجية، قالت شارلوت: «ليبي ستفتحه.»

قالت: «ليبي عندها الكثير لتقوم به، وانا قادرة على ذلك تماماً.» لكن قبل ان تنهض على قدميها، سمعت شرلي وقع قدمي مدبرة المنزل على أرضية ردهة الدخول. وعاودت الاسترخاء على مقعدها بينما تقدمت ليبي ثلاثاً من صديقات شارلوت إلى داخل الغرفة.

فكرت شرلي، ما احتاجه تماماً، قيلولة هادئة مع سيدات البريدج.

قالت احداهن وهي تندفع عبر الغرفة: «شارلوت، أي صدمة كانت هذه لك. لقد جئنا فقط كي نؤاسيك.»

استقامت شارلوت في جلستها وقالت: «ذلك لطف منكن. لقد كانت تجربة صعبة. اعترف بذلك الآن بالطبع وقد عادت شرلي بأمان إلى المنزل...»

تمتمت شرلي قائلة: «ساتركك لتتحدثن.» وضعت كتبها المدرسية واوراق ملاحظاتها فوق بعضها البعض واضافت: «لديّ بعض الدراسات عليّ اتمامها.»

قالت شارلوت: «لقد فعلت ذلك طوال يومين. انك بحاجة إلى الترفيه. ليبي احضري لنا الشاي.»

قالت سيدة أخرى: «آه، اجل. ابقي يا شرلي. انك محظوظة جداً لأن حادثاً مريعاً كهذا، لم يخلق عندك تاثيرات دائمة.» اطلقت شهقة صغيرة ثم اضافت: «لم يترك أثراً... اليس كذلك؟»

تذكرت السيدة الأولى وقالت: «لقد تسمم ابن عمي وليم ذات مرة من أول اوكسيد الكربون. لقد تعرض لنوبة قلبية بعد ذلك بقليل. الرجل المسكين. لقد كان شاباً أيضاً... صغيراً ليتعرض لنوبة قلبية على الأقل. ولقد ردّد الطبيب دائماً ان ذلك حدث لأن التسمم قد أضعف جهازه.»

شكراً جزيلاً، فكرت شرلي. كانت تلك القصة المؤلمة التي تروى بابتهاج آخر شيء ترغب في سماعه. سبانس شاب أيضاً... وصغير جداً ليتعرض لنوبة قلبية في الأحوال العادية.

جلست المرأة الثالثة التي لم تكن قد تكلمت حتى الآن على كرسي إلى جانب شارلوت وقالت: «شخصياً اعتقد ان الحادثة كلها غريبة من دون ريب.»

رفعت شرلي حاجبيها راغبة في ان تبدو نظرتها منزعجة وقالت: «لا استطيع فهم ما تقصدينه.»

اجابتها: «في المقام الأول، انه لمن الغريب جداً مجرد وجود سبانس معك في الكوخ بعد انفصالكما علناً، ذلك غريب تماماً.»

حذرت شرلي نفسها. لا تقولي شيئاً، ستجعلين الأمر اسوأ ان حاولت ان تشرحي الأمر.

قالت المرأة الأخرى: «آه. ذلك رومانسي جداً.» ثم ربتت على يد شرلي وسألتها: «هل صحيح ان سبانس أنقذك؟»

قالت شرلي معترفة: «صحيح تماماً.»

اطلقت المرأة ضحكة خبيثة وقالت: «اعتقد اذاً أنه سيكون هناك في وقت قريب اعلان ممتع آخر.»

قالت شرلي بحدة: «لا أتصور عما سيكون ذلك.» ما كانت تريد الدخول في هذا. ومن جهة أخرى، لم يكن في امكانها حمل كتبها والخروج من الغرفة أيضاً.

قالت المرأة: «لكن بعد انقاذه لحياتك، يا عزيزتي، من المؤكد ان ذلك سيجعله يدخل قلبك...»

قالت شارلوت: «لا تكوني سمجة. لقد فعل سبانس ما كان ليفعله أي شخص آخر. وذلك بالتأكيد لا يغيّر شيئاً في الواقع. الان، فهذا الأمر برمته يجعلني اضطرب، لذا هل يمكننا التحدث عن أمر آخر؟»

حاولت شرلي ان تخفي تنهدتها بالارتياح.

استدارت شارلوت نحو المرأة التي تجلس إلى جانبها وأفضت اليها قائلة: «كنت سأتصل بك في شأن دعوتك نهار الاثنين. أخشى أخيراً ألا اتمكن من الحضور. فما عانيته هذا الاسبوع كان كثيراً عليّ.»

«لكن يا شارلوت لقد وعدت بتقديم الشاي! كما انها ببساطة مناسبة خاصة لا يمكنك تفويتها. لا يمكنك كل يوم الاستماع إلى موسيقي مشهور في منطقة هاموند، وان تتمكني من التحدث فعلاً إليه بعد انهاء حفلته. فذلك أمر ممتع فعلاً!»

قالت شارلوت: «نعم، اعرف واني نادمة فعلاً لأني لن

التقيه، لكني متأكدة من ان شرلي ستكون سعيدة لتحل محلي وتقوم بتقديم الشاي إليك.»

ادارت شرلي رأسها ببطء لتتأمل خالتها. ما الذي قاله سبانس على نشاطات شارلوت والطريقة التي تمرر بها الأمور عادة إلى شرلي والتي لا ترغب هي في القيام بها؟ لا يهمها رأي سبانس في أي شخص بعد الآن. لكن آخر شيء ترغب القيام به مساء الأثنين هو تقديم الشاي.

قالت: «خالتي شارلوت. لا اعتقد أني استطيع ذلك.»

أجابتها: «هراء، يا عزيزتي. انه مجرد استقبال صغير. سيكون من المفيد لك ان يكون عندك ما تقومين به فتخرجي وتشغلي نفسك ساعة أو ساعتين.»

قالت: «لكني اخطط للذهاب إلى المدرسة نهار الأثنين، واعتقد أنه يجب ان امضي أمسية هادئة بعد أول يوم لي اعود فيه إلى العمل.»

بدت شارلوت مرتاعة بحيث قالت: «قال الطبيب لا مدرسة على الأقل لمدة اسبوع، يا شرلي!»

قالت: «اعرف أنه قال ذلك. لكني اشعر بأني استعدت عافيتي الآن، ويوم الأثنين أكون بخير. أني متأكدة. فلِمَ لا اذهب؟» بدأت شرلي تشعر بالثورة فأضافت: «لقد قلت بنفسك انه من المفيد لي ان أخرج واقوم بشيء اشغل به تفكيري.»

قالت شارلوت: «الاستقبال أمر يختلف عن ذلك كلياً. انك بالتأكيد لم تتعافي في شكل يمكّنكِ من الاعتناء بالأطفال الصغار في الملعب.»

هزت شرلي كتفيها: «سوف أقايض مهمات الملعب مع

المعلمات الأخريات لأسبوع آخر أو أكثر، وسوف أُحضر مساعدة لتساعدني في أي أعمال صخب في الصف.»

اصبحت الفكرة أكثر الحاحاً عندما أخذت تتحدث عنها، وأضافت قائلة: «في الواقع، أعتقد أني سأسوّي الأعمال غير المنجزة اليوم لأكون جاهزة نهار الأثنين.» جمعت كتبها وتابعت: «أرجو معذرتي... هل عندك أي ملابس تريدين أخذها إلى المصبغة، يا خالتي شارلوت؟»

قالت شارلوت ببرودة: «ان كان عندي، فلن أترك ضيوفي لأجلبها لك.»

تمتمت شرلي قائلة: «بالطبع لا، فلا أتوقع منك أن تتركي صديقاتك. طاب مساؤكن أيتها السيدات.»

بينما كانت تصعد الدرجات القليلة نحو جناح غرف النوم، كان مزاجها أخف وطأة مما كان عليه في الأسبوعين المنصرمين. قالت في نفسها بصرامة، سوف تنظر إلى الأمام وتتوقف عن التمعن في الماضي. والتقدم يبدأ بخطوات صغيرة وقد حان الوقت للبدء ببعض منها.

جمعت بذلتين، وسروالين من القماش الصوفي ونحو ست كنزات ووضعتها في كيس تبضع. وتناولت أيضاً معطفين شتويين وهي في طريقها الى الخارج، فالتقويم يشير إلى ان الربيع قد حلّ، وبالطبع فان الجو الدافىء سيسود قريباً.

فكرت، لقد قمت بالخطوة الأولى. مزاج صافٍ. ذاك هو المفتاح.

ورأت مارتن من النافذة، يتسكع حول احواض الزهور

قرب المنزل. لقد رآها أيضاً، ولوّح لها في الحقيقة، لقد أومأ لها لتخرج.

فكرت شرلي، ما احتاجه تماماً اضافة إلى سيدات البريدج محادثة ناشطة من مارتن! يبدو انه لا يستطيع ادراك ان ما من شيء قد تغيّر، وان لا شيء سيتغير أيضاً. فأمس على العشاء، استمر بالحديث عن سبانس حتى صرخت شارلوت أخيراً في وجهه.

لكن بعد ما وضعت شرلي كيس التبضع في صندوق سيارتها. سارت حول المنزل لملاقاته. انها ليست غلطة مارتن. انه لا يعرف متى يتوقف، على الأقل حين يتعلق الأمر بسبانس. كان هناك شيء مؤثر حول اخلاصه الشديد.

فكرت شرلي، لو أني احتفظت بذلك النوع من المزاج منذ البداية، لربما سارت الأمور في شكل مختلف.

لكن ليس لمدة طويلة. وندي ما زالت هناك، بيننا...

فكرت لا بد ان مارتن غادر المكتب في وقت مبكر، لأنه كان قد ارتدى ملابس العمل في الحديقة، وأحد أحواض الزهور كان شاهداً على العمل الكثير. لكنها ما كانت لتعرف مطلقاً انه في المنزل لو أنها لم تنظر من النافذة. تساءلت شرلي ان كان بينه وبين ليبي معاهدة سرية، بالتأكيد لم تطأ قدماه القسم الرئيسي من المنزل بعد ظهر هذا اليوم.

قال لها: «لم تتح لي الفرصة لاتحدث اليك فعلياً منذ عدت إلى المنزل، يا شرلي.»

فكرت، ان لهجته كانت معاتبة تقريباً فقالت: «لقد كنت هنا في المنزل طوال الوقت يا عمي مارتن.»

قال: «اعرف. لكن شارلوت كانت دائماً بالقرب منك.» خلع

قفازيه وشد قبعته الخاصة بالحديقة نحو اذنيه اكثر، ثم اضاف: «لم اكن استطيع التحدث إليك بكلمة واحدة.»

تجهمت شرلي وقالت: «اعرف انها كانت اكثر توتراً من المعتاد بقليل، لكن...»

قاطعها قائلاً: «تعالي اجلسي معي قليلاً.» وتقدمها إلى مقعد عند حافة حديقة الورد. جلست شرلي، والتقط مارتن قليلاً من العشب القريب وبدأ يمسح الوحل عن حذائه من دون ان ينظر إليها.

قالت: «عمي مارتن، أتمنى ان تتوقف عن التصرف كجاسوس.»

من دون أن يبتسم قال: «لن يكون هذا سهلاً، ياشرلي. الأمر ليس ممتعاً بالنسبة إليّ وسيكون صدمة بالنسبة إليك لكن يجب أن يقال.»

جعلت نبرة الحزن في صوته قلب شرلي يعتصر وكأنه اسفنجة رطبة. وحاولت أن تبتلع الضيق في حنجرتها وسألته: «الأمر يتعلق بسبانس، أليس كذلك؟»

أجابها: «إلى حد ما، نعم.»

اطبقت شرلي يديها على بعضهما باحكام حتى شعرت بألم في مفاصل أصابعها. ثم قالت: «انه لن يتعافى تماماً من تأثير أول أوكسيد الكربون. أليس كذلك؟ لهذا السبب لم يُسمح له بمغادرة المستشفى...»

قاطعها قائلاً: «لا! انه بخير من تلك الناحية. وقد أتى إلى المكتب بعد ظهر هذا اليوم لساعتين فقط. لذا استطعت التسلل لأتحدث اليك.»

كان عليها ان تبذل جهداً قوياً لتفلت يديها عن بعضهما.

قالت بعد ذلك: «اذاً... ان كان الأمر لا يتعلق بصحة سبانس، فَعَمَّ هو اذاً؟»

قال بصوت خفيض جداً: «اني جبان يا شرلي. جبان كريه، نتن. لكن في الأسبوع الماضي عندما فكرت أنك ستموتين، وذلك بسبب غلطتي...»

اعترضت بعفوية قائلة: «لم اكن كذلك.»

أضاف: «اعادني ذلك إلى رشدي بسرعة. حاولت ان أخبرك ذلك في الليلة الأولى في المستشفى، قبل أن تضطرني الممرضة إلى المغادرة. حسن، لا بأس في ذلك، لقد كنت متعبة جداً حينها، لكن بعد ذلك، لم تتح لي الفرصة لأقول لك كلمة واحدة. لقد ابقتك شارلوت إلى جانبها.»

قالت: «عمي مارتن...»

تنفس تنفساً عميقاً واستدار ليصبح في مواجهتها. رأت شرلي الألم في عينيه. قال: «لم يكن سبانس في الكوخ في ذلك اليوم مع وندي.»

مرت لحظة طويلة. بدأت شرلي تضحك بعدها، في شكل جنوني تقريباً. ثم قالت: «ماذا تعني؟ بالطبع، لقد كان سبانس. لقد رأيته. لقد تكلمت معه!»

قال: «نعم لقد رأيته. لكن لم يكن الأمر كما اعتقدتِ.» تنفس بعمق وتابع قائلاً: «وندي وسبانس ليسا على علاقة، يا شرلي. لقد كانت هناك لتلتقيني انا.»

تحوّل العالم برمته إلى ظل خاص ذي لون أخضر فاتح. وكان على شرلي ان تتمسّك بحافة المقعد لكي لا تسقط أرضاً. ولم تستطع سماع ما قاله مارتن جيداً؛ بدت كلماته

وكأنها أكبر من أن يستوعبها تفكيرها، كما هو حال الماء في وعاء ممتلىء.

الاّ انه أضاف قائلاً: «لقد مضى على ذلك نحو سنة، على ما اعتقد منذ أن بدأت علاقتنا.» تنهد مارتن وتابع: «لم اكن أعتزم التورط مع امرأة أخرى...»

بدا صوت شرلي خشناً في حنجرتها. وكأنها لم تتكلم منذ مئات السنين حيث قالت: «ما من أحد يعتزم ذلك، يا عمي.»

قال: «اعتقد أنك محقة. لكن وندي جميلة وحسنة ومحبوبة و...»

قاطعته قائلة: «وكل الأشياء التي تفتقدها شارلوت، اليس كذلك؟»

نظر اليها مارتن بحدة وقال بهدوء: «شارلوت عندها عيوبها. في السنوات القليلة الماضية، بعد النوبة التي اصابتها... حسن، انها بالتأكيد لم تعد المرأة التي عهدتها.»

اومأت شرلي.

ثم أضاف: «ذلك لا يبرر تصرفي، بالطبع. واني لا أقصد لوم شارلوت على ما فعلته. اني رجل متزوج وعلى علاقة بامرأة اخرى، وذلك كل ما هناك لقوله في هذا الشأن. ليس امراً حسناً، اليس كذلك؟»

نظرت شرلي اليه فقط.

تنهد مارتن وقال: «على كل حال. لقد استخدمنا الكوخ لأنه...»

قاطعته قائلة: «مباشرة أمام عيني شارلوت؟»

www.elromancia.com

قال: «آوه، نعم. كان في متناول اليد.»

تمتمت قائلة: «اراهن على ذلك.»

«كانت وندي تملك مفتاحاً. وبما انها سكرتيرة سبانس فلديها عذر مقبول لتكون في الكوخ، لذا كانت امكانية رؤيتنا هنا معاً أقل منها في الفندق أو حتى في شقتها.»

قالت: «اعتقد أنك محق. ما كنت لأفكر في ذلك انا شخصياً.» وكانت شرلي تهتز تقريباً من الغضب واضافت: «لكن في كوخ زواجي، يا عمي مارتن، كيف امكنك ذلك؟»

كان من الواضح انه شعر بالألم في نبرة صوتها فقال: «شرلي، يا حبيبتي، اني آسف. انه أمر لا يغتفر قمت به. وما كان ذلك ليستمر...»

قالت: «أيفترض ان يجعلني ذلك أشعر بتحسن؟»

قال مارتن بصوت رقيق، لكنه يحوي وقاراً لا يمكن نكرانه: «التفسير الوحيد هو أني تجاهلت رؤية نتائج ما كنت أقوم به. أعتقد بأني ظننت أن لا أقيم وزناً للنتائج التي قد نواجهها ان كُشِفَ أمرنا، بحيث ان ذلك لن يحصل ابداً، وهكذا استمررت بالقيام بمخاطرة سخيفة.»

بحثت شرلي في جيب معطفها عن محرمة ورق ثم قالت: «وقد كُشِفَ أمركما.»

قال: «نعم. دخل سبانس على وندي في الكوخ، وبالطبع طالباً تفسيراً. وهكذا أخبرته قدر ما استطاعت كيف صادف وجودها هناك وعما كان يجري.»

قالت: «ولم يكن في امكانها قول ذلك عن بعد؟ أكان عليها ان تكون بين ذراعيه لتخبره ذلك؟»

قال: «لقد كان ذلك اقوى من ان تتحمّله وكانت تبكي على كتفه.»

قالت: «بالطبع. وانها لكتف واسعة وجذابة.» وبدأت شرلي تمزق طولياً المحرمة الورقية بانتظام.

هزّ مارتن كتفيه وقال: «لقد كان الأمر صعباً بالنسبة اليكِ كما هذه الحادثة بالنسبة إلي، يا شرلي.»

ابتلعت ريقها بصعوبة. فلديه وجهة نظر ثم أضافت: «اكمل.»

قال: «لقد صُدِمَ سبانس وأثار الأمر اهتمامه.»

قالت: «استطيع تصور ذلك.»

قال: «ورأى في الحال النتائج، ان حدث أن عرفت شارلوت بهذا...»

قاطعته قائلة: «سيكون الأمر خطراً، اليس كذلك؟»

قال: «أخشى انه خَطيرٌ جداً بالطبع. ففي السنة الأخيرة تدهورت صحة شارلوت إلى هذه الحال... وادرك سبانس فوراً أي مغفل أنا، وكان يحاول ان يجد طريقة لتلطيف الشجار.»

«تذكرت الآن، ما كان يقوله سبانس لوندي عندما دخلت.» قال: «لا يمكن ان يستمر الوضع هكذا.» فقالت: «حسن، ألم يكن ذلك امراً مريحاً بالنسبة إليه؟»

قال مارتن بحدة: «ان كنت تقصدين ان دافع سبانس كان وراء حمايتي فأنت مخطئة. اعتقد انه كان يعتزم التكلم معي، ليجد طريقة ما يعيدني فيها إلى رشدي. لكن عندما دخلت أنتِ، فمن الطبيعي ان ينالك الذعر.»

قالت وقد ملأت دموع الغضب عينيها: «ذلك هو ما حدث

بالفعل. ولم يزعج نفسه حتى بمحاولة شرح الحقيقة.»

قال: «شرلي، يا عزيزتي، فكري في الأمر. كان لا يزال مندهشاً هو نفسه، محاولاً ان يفكر في ما سيقوم به. ولم يكن عنده اية فكرة عما تكون ردة فعلي ان هو واجهني بالحقائق، وأول شيء قمتِ به هو اسراعك إلى المنزل مباشرة، مباشرة إلى شارلوت.»

بقيت شرلي صامتة. لقد كان محقاً. لم تكن تعتزم الاسراع إلى شارلوت بالطبع لكن وقع الحدث كان عنيفاً.

أضاف: «وفي الوقت الذي تبعكِ فيه سبانس، كانت شارلوت هناك تستمع إلى كل كلمة.»

تذكرت شرلي الصدمة التي بدت على وجه سبانس عندما لاحظ وجود شارلوت في الغرفة. اعتقدت انه بدا مذهولاً جداً لأنه اغمي على شارلوت. لكن الآن وقد فكرت في الأمر، ادركت ان مارتن كان على حق. كانت تلك اللحظة التي توقف فيها سبانس عن الطلب بأن تستمع اليه وطلب منها الثقة العمياء بدلاً من ذلك.

وتذكرت أيضاً، كان مارتن هناك أيضاً ولم يفعل شيئاً. لقد وقف هناك واستمع اليها وهي تهين سبانس، ولم يحاول حتى ان يتدخل.

احتقن الغضب في دمها فقالت: «وتركتني اعتقد ان سبانس كان مذنباً. عمي مارتن، كيف امكنك فعل ذلك؟»

قال مارتن برقة: «لا احاول الدفاع عن نفسي يا شرلي. لقد أخبرتك للتو بأني جبان، لكني اؤكد لك اني ما كنت لأقف جانباً لو اني ادركت ما حدث. لا تنسي انه لم يكن عندي ادنى فكرة عندها عما كان يجري. لقد عرفت فقط أني وصلت في

منتصف الشجار، حتى اني لم أكن أستمع اليك. كل ما كنت أفكر به كانت شارلوت.»

اومأت شرلي برأسها قليلاً. حيث الكلمات الجارحة التي قالتها لسبانس قد حُفرت في قلبها، لا يعني ان اي شخص آخر في الغرفة كان يستمع لكل كلمة.

استكمل مارتن كلامه قائلاً: «حالما عرفت بما حدث، وان ذلك بسبب وجود وندي، اردت اخبارك انها ليست غلطة سبانس. لكنك عندها، كنتِ قد طردته. أرجعتِ له خاتمه وأخبرته بأنك لا ترغبين برؤيته ثانية.»

قالت: «وهكذا فانك لم تزعج نفسك وتحاول تسوية الأمور؟»

ملأ الحزن عيني مارتن وقال: «لم يكن الأمر كذلك يا شرلي، حالما تمكنت، حاولت ان اصل لنتيجة مع سبانس. أخبرته أني أردت ان أشرح الأمر، ويجب أن أشرح الأمر. لكنه أصرّ على أن لا أخبرك بأي شيء.»

هزّت شرلي رأسها بارتباك وسألته: «كيف يمنعك من التحدث إليّ؟»

قال: «لم يمنعني. لكنه كان واضحاً بقوله ان تدخلي لن يؤدي الى أية فائدة، وبأني سأجعل الأمر أشد سوءاً، وطلب مني أن أنسى الأمر.»

قالت وكأنما تحدث نفسها تقريباً: «نعم لقد سمعت تلك الجملة من قبل.»

قال مارتن بسرعة: «لكني كنت ضعيفاً كفاية لأقبل بذلك، يا شرلي. لا لأنقذ نفسي فقط، لكني كنت متأكداً بأنه إذا أتيحت امامكما الفرصة بعد ان تهدآ فانكما

ستسويان الأمور بينكما. لكن الأسبوع الماضي عندما كدت ان أفقدك...» انتصب واقفاً وأضاف: «لم يعد في امكاني الاختباء وراء سبانس وتركه يحميني على حساب نفسه.»

أخذت شرلي تقضم برفق ظفر ابهامها وقالت: «اذاً، الآن وأنا أعرف الأمر، ماذا اذا ذهبت مباشرة إلى شارلوت وأخبرتها؟»

قال مارتن بتمهل: «يجب ان تفعلي ما تعتقدينه صواباً.»

قالت: «لكنك لا تعتقد بأنني سافعل ذلك. اليس كذلك؟ هل تتوقع مني ان اصبح طرفاً في مؤامرتكما الصامتة، يا عمي مارتن؟»

قال: «لا اريد اخبارها يا شرلي. اني أخشى مما قد تسببه الصدمة لها ومما يؤول إليه ذلك. لقد انتهت العلاقة ولن تتكرر ثانية. واني ابذل قصارى جهدي لاسترداد تقديري لحسنات زوجي، الحسنات التي ما زالت موجودة. لقد سمحت لنفسي بالاستخفاف بتلك الحسنات بسبب غلطتي، لكن ربما نستطيع البناء على تلك الأسس بدلاً من ذلك.» تنفس بعمق واضاف: «ان كنت تشعرين انها يجب ان تعرف يا شرلي أتمنى ان تمنحيني القليل من الوقت فقط. ان كان على أحد ان يخبرها بذلك، أرجوك فليكن أنا.»

نهضت شرلي وقالت: «اني ذاهبة لأتحدث إلى سبانس.»

قال مارتن ببساطة: «ذلك يسرني. سبانس شاب مناسب.»

لم تستدر وقالت: «ان سبانس ليس لي يا عمي مارتن.»

قال: «لكنك تدركين انه بريء تماماً. اليس كذلك؟»

قالت: «نعم، اني ادرك ذلك.»

تنهد مارتن بارتياح وقال: «اذاً ستكون الأمور على خير مايرام.»

تركته يتوهم ما يريد. لكن بينما كانت تسير نحو سيارتها، فكرت ان من السخرية ان ما طالما تمنته بشدة وصلت إليه تقريباً. برهان براءة سبانس. لم يعد مهماً مطلقاً. لم يعد له اية اهمية بعد الآن.

نقطة الخلاف الحقيقية كانت ان علاقتهما لم تكن من الأهمية بحيث تجعله يحاول اخبارها الحقيقة.

لم تدهشها رؤية سكرتيرة جديدة، صاحبة شعر رمادي وكأنها أم، تجلس في جناح الاستعلامات في شركة منتجات هدسون، حتى انها لم تجفل فعلياً عندما قالت لها المرأة وهي تبتسم: «مرحباً، يا آنسة كولينز. سأخبر السيد غرينفيلد أنكِ هنا.»

فكرت بأن مارتن يعمل بسرعة. لا بد وأنه اتصل ليحذر سبانس بأنها قادمة اليه.

قالت شرلي: «سأخبره ذلك بنفسي.» لكنها وقفت للحظة ويدها على مقبض الباب، تُعِدُ نفسها لفتحه، قبل ان تواجه سبانس فعلياً.

رفع سبانس نظره عن العقد الذي وضعت عليه نشافة الحبر ليضع قلم الحبر السائل على الطاولة جانباً وينهض واقفاً. قائلاً بلهجة هجومية: «تفضلي بالدخول يا شرلي. هكذا أخيراً قرر مارتن ان يفضي بهمومه. اليس كذلك؟»

قالت له: «كيف تجرؤ على منعه من اخباري منذ البداية؟»

تحرك حول الطاولة وجلس على احدى زواياها، وقد

طوى ذراعيه على صدره وسألها: «ماذا كنت فعلت، يا شرلي؟»

«ماذا توقعت؟ ان أركض مباشرة إلى شارلوت وابدأ بالثرثرة، دونما التفكير في ما قد يحدث لها؟»

قال: «لقد كنتِ غاضبة جداً. ولم يكن عندي فكرة عما قد تفعلينه.»

أجابت: «لست طفلة بحاجة إلى الرعاية والحماية!»

قال سبانس بهدوء: «واذا انفجر الأمر برمته. لا أريدك ان تكوني في وسط الانفجار.»

قالت: «آه، حسن. شكراً لأنك حميتني من الشعور بالذنب ان ماتت شارلوت من جراء الصدمة! أتعرف؟ اني منذهلة لأنك لم تخبرها ذلك بنفسك مباشرة، يا سبانس. فأنت تبدو متأكداً جداً من أن متاعبها الصحية كلها هي مجرد خِداع. فلِمَ ترددت بقذف الحقيقة في وجهها؟»

قال: «لم أقل يوماً انها مخادعة. اني ببساطة اعتقد انها أقوى مما تُظهر، ومهما كانت مشاكلها الصحية، فليس هناك أي سبب يدعو إلى أن يتحمل اي شخص آخر ذلك. اعتقدت انه من الأفضل بكثير ان يعترف مارتن بذلك بدلاً من ان يضبط بالجرم المشهود. عندها يكون هناك بصيص أمل في تسوية الأمور بتعقل، من دون أي انفعالات عصيبه أو أزمات قلبية، لو أنه أخبرها لكان ارتكب خطأ بذلك، فها قد عاد إلى صوابه في الوقت المناسب واصلح نفسه.»

عرفت شرلي ان خالتها لن تأخذ مثل هذه الأخبار بتعقل مهما كانت الظروف، وكان عليها الاعتراف بأن سبانس لديه وجهة نظر محقة. كان الوضع سيئاً مهما كانت

الظروف، لكن بعض المحاولات كانت أفضل من سواها.

استكمل كلامه قائلاً: «لكنكِ لم تتركي ذلك يحدث، يا شرلي. ما كنتِ لتصغي إليّ، ولم تعطيني وقتاً للتكلم معه. وقبل ان تكون هناك اية فرصة لتسوية أي أمر. لقد عملت على التأكد من جعل شارلوت تعرف كل التفاصيل البغيضة.»

«لم أفعل ذلك!»

«ماذا كنت تعتقدين أنك فاعلة، وأنتِ تصرخين في وجهي في الردهة؟»

عضت على شفتها.

«بعد ذلك، ان يعترف مارتن لها بأنه المذنب وليس أنا، كان ليبدو وكأنه اعتراف أُجبر عليه تحت الضغط. الاعتراف بالخطأ بعد الامساك بك بالجرم المشهود. ليس بالشيء نفسه على الاطلاق.»

قالت شرلي بعناد: «كان في إمكانك اخباري عما كان يجري.»

قال: «في ردهة منزل شارلوت، وهي واقفة هناك تُملي عليك تعليماتها في آداب السلوك؟ كيف كان في إمكاني أن أشرح الأمر؟»

جلست على ذراع الكرسي. لقد كان محقاً. فهي لم تمد له يد العون. لكن...

استكمل سبانس كلامه قائلاً: «ومتى أتيحت الفرصة لمارتن؟ متى أتيحت له الفرصة ليتكلم معك دونما وجود شارلوت في الغرفة؟»

بقيت شرلي صامتة محاولة ان تتذكر. لقد تحاشت الانفراد بمارتن عن عمد في الأيام القلائل الأولى معتقدة انه

كان يحاول بلباقة جعلها هي وسبانس يتوصلان إلى مصالحة كانت تجد من المستحيل تحقيقها. قالت: «لا يبدو مارتن مستعداً حتى الآن لاخبار خالتي شارلوت بالحقيقة.»

تنهد سبانس وقال: «قد تكون لديه وجهة نظر خاصة. ولا أهمية للطريقة التي يشرح بها الأمر الآن، فانه لا يستطيع إزالة شعور الشك بأنه اعترف فقط لأنه لا يملك خياراً آخر، وحتى في تلك الحالة لعلّه سيتأرجح على الحافة.»

قالت: «ويقول بعضاً من الحقيقة فقط ليتجنب كارثة؟ هل ذلك ما قصدته؟»

قال: «تماماً. ففي بعض الأحيان يتسبب قول الحقيقة بجراح لا تلتئم. قد يكون من الأفضل ان يرتب مارتن اموره من دون ان تعرف شارلوت اي شيء عن علاقته.»

تجهمت شرلي وقالت: «لست متأكدة من أني أفهم ما تقصده.»

قال: «بعض الأحيان أفضل طريقة للاعتذار ليست الاعتراف وقول «اني آسف» بل التأكد من ان ما يتسبب بالجراح لن يتكرر ثانية. لقد انتهت العلاقة، اي فائدة تجنيها شارلوت ان عرفت ما حدث؟ لكن ذلك أمر يقرره مارتن، وليس أنتِ وأنا.»

قالت: «وبالتزامه الصمت، يستطيع تجنب كل النتائج المُعيبة، ألا يمكنه ذلك؟ لا أعتقد أنك قلق على مشاعر شارلوت بقدر ما أنت قلق لتتأكد من ان مارتن لا يعاني أي أذى من جراء حماقته!»

قال سبانس بمرح: «لعلك على حق، لا أعتقد أنك تدركين

تماماً مدى خطورة الأمر، أن عقدت شارلوت النية على معاقبته.»

هزّت شرلي كتفيها استهجانا وقالت: «لا استطيع رؤيتها وهي تنفصل عنه. فأي شيء آخر يمكنها أن تفعله؟»

«أنت لا تدركين الأمر حقاً؟ حسن، طالما أننا نكشف كل الأوراق... يا شرلي، هل تعرفين كيف وُلِدتْ شركة منتجات هدسون؟»

جفلت من سؤاله. ما شأن أعمال مارتن بما هم عليه؟

كان صوت سبانس واضحاً حيث قال: «انها تعتمد على اموال شارلوت.»

شهقت وقالت: «اموال شارلوت؟ لكن ذلك مستحيل. ان كانت شارلوت تملك المال، لكانت امي تملك بعضاً منه أيضاً فهما شقيقتان.»

قال: «يبدو ذلك منطقياً، أجل، لو أنها كانت اموال العائلة، لكنها لم تكن كذلك. لقد ورثت شارلوت اموالها من زوجها الأول.»

قالت شرلي بجفاف: «لم أكن أعرف ذلك قط.»

لمعت عينا سبانس ببريق، ربما يكون بريق شفقة. وقال: «كان مارتن يعمل عنده على احدى الآلات، ولم يكن بأكثر من عامل يومي، ولولا شارلوت لبقي كذلك حتى الآن. لكن مارتن تزوج ارملة رئيسه في العمل. وهي زودت اعماله التجارية برأس المال.»

عندما تقدم المرأة المال في الزواج فلها الحق في طلب التفسيرات. وفكرت شرلي، لم تكن تلك مجرد ملاحظة، عندما قالت شارلوت ذلك كانت تتكلم على تجربة شخصية!

www.elromancia.com

قال: «مما جمعته من معلومات، لقد حدث ذلك منذ زمن بعيد، ولن أفاجأ أن كنتِ لم تسمعي قط بأن شارلوت كانت متزوجة في السابق.»

قالت شرلي وقد تنفست تنفساً عميقاً: «لقد عرفت ذلك. لكني اعتقد أني ما فكرت يوماً في الأمر. فلا عجب أنك خشيت أن أخبرها. فان هي أقصت مارتن بعيداً، فأين تصبح أنت؟ ما من شك في انك ستلحق به.»

تقلص فمه وقال: «لا تستطيع القيام بذلك فعلياً. انه يمتلك الأعمال. لكن في محكمة الطلاق، ان تقدمت باصدار يُظهر مساهمتها في نجاحه...»

قاطعته قائلة بتهور: «لا عجب أنك ما كنت تريدني ان اكون في الوسطا ففي الوقت الذي تخمد فيه النيران، قد لا أرث حينها شيئاً.»

سار سبانس حول طاولته وجلس ليقول: «حصولك على الميراث أو فقدانه لم يكن قط ما فكرت فيه. لكن هذه الحادثة برمتها تؤكد اني كنت محقاً منذ البداية. اليس كذلك؟»

سألته: «فيمَ؟»

قال: «إنه ليس مجدياً ازعاجك بالتفسيرات، وليس عليّ أن أهدر وقتي راجياً منك تفهم الأمور.»

قالت: «لأنه ليس هناك شيء لتسامح عليه.»

نظر اليها فترة طويلة وقال بترو بعدها: «لا، يا شرلي. لأنه لم يكن هناك أمر يستحق المحافظة عليه.»

نفذت تلك الكلمات بقساوة إلى قلبها، فأجابته بسرعة: «لم تعطني فرصة، يا سبانس. لقد طلبت مني الوثوق بك، في شكل أعمى ودونما سبب، لا شيء سوى كلمتك. لكنك لم تثق

بي، وليس حتى مشاركتك في معرفة الوقائع. وتعتقد أني قد استعمل الحقيقة بمسؤولية!»

دفع كرسيه إلى الوراء وسار نحو النافذة ثم سألها: «هل هذا برهان عن استعمال الحقيقة في شكل مسؤول؟ لم يكن عليّ اخبارك عن أموال شارلوت، أتعرفين؟ وها أنت الآن تستعملينها ضدي.»

عضت شرلي على شفتها. لقد كان محقاً. وشعرت بالخجل من نفسها، فقالت: «اني آسفة. كان ذلك... عدم احساس مني. لكن يجب أن توافق على أن الحقيقة كانت مبهمة، يا سبانس. وأنت لم تكن مستعداً لاعطاء أي تفسير مطلقاً وبالطبع كان علي ان أستنتج انك لا تملك واحداً! حتى في الكوخ حيث لم يكن هناك أحد، كان عندك الوقت كله لتشرح لي ولم تفعل!»

قال: «عندها، لم يكن للأمر أية أهمية بعدها.» كانت كلماته تتضمن رنة عميقة من الحقيقة والحزن.

همست شرلي قائلة: «ماذا تعني؟»

قال: «لقد أخبرتني كل ما أردت معرفته بعد ظهر ذلك اليوم، حين صرخت في وجهي في الردهة الأمامية. حتى أنك لم تحاولي أخذ كلمتي على محمل الصدق.» واستدار بعيداً عنها لينظر إلى الخارج عبر النافذة ثم أضاف: «المرأة التي لا تثق بي ليست المرأة التي يمكنني أن أحبها.»

كانت كل كلمة يقولها وكأنها تثقب قلبها. لقد مات فعلاً أي أمل خالجها يوماً بتسوية الأمور بينهما. ابتلعت شرلي ريقها بصعوبة وقالت بهدوء: «اني آسفة جداً، أترى؟ لقد أحببتك يا سبانس.»

www.elromancia.com

ومن دون ان يدير رأسه قال: «هل أنتِ متأكدة من انك لا تحبين سوى الفكرة بأنك تحبين؟»

لكن ذلك لم يكن سؤالاً حقاً. لقد بدا وكأنه يعرض واقعاً.

زمّت شرلي شفتيها، وقالت بصوت خفيض: «وما زلت أحبك.»

لم تلق منه جواباً على ذلك.

قبل أن تذل نفسها أكثر بالانفجار بالبكاء، استدارت على عقبيها وغادرت المكان لآخر مرة، بعيدا عن الرجل الذي احبته.

الفصل العاشر

أشار التقويم إلى أن الربيع قد حلّت بشائره. ولاحظت شرلي ذلك، فيما كانت تغادر منزل آل هدسون صباحاً ذاهبة إلى المدرسة، ان أزهار النرجس خاصة مارتن قد تفتحت، حتى انها أمس رأت طائر أبا الحن يقفز هنا وهناك في المرجة الخضراء. وها هو الثلج يتساقط الآن، رقعاً كبيرة، خفيفة وببطء، قد تتراكم لكنها فتجعل الربيع يبدو مجرد حلم بعيد.

وقفت عند النافذة في غرفة صفها ونظرت إلى الخارج نحو حوض طعام العصافير، حيث كان حسونان يعنّفان بعضهما البعض، وإلى الملعب خلفهما وصل إلى مسامعها صوت الأطفال خافتاً وهم يلعبون. فتنهدت وعادت إلى طاولتها. كان عندها بضع دقائق ثمينة للعمل وها هي تضيعها.

الحقيقة انها لم يكن قد تعافت تماماً بعد، ولم يكن يوم عودتها إلى المدرسة بهيجاً، وكانت ممتنة لأنه لم يتبق سوى ساعة واحدة. ربما لم يكن الطبيب وخالتي شارلوت على خطأ...

أخذت الورقة الأولى من فوق كدسة من أوراق امتحانات المفردات، وتناولت قلماً أحمر اللون في الوقت الذي فتح فيه باب غرفة الصف. ادخلت ايمي هوول رأسها من فتحة الباب. وعندما رأت ان شرلي وحدها دخلت عليها.

www.elromancia.com

سألتها: «هل أنت متأكدة أنك بخير؟ تبدين شاحبة قليلاً!»

أومأت شرلي برأسها وقالت: «اني متماسكة.»

سحبت ايمي كرسياً إلى جوارها وجلست عليه وقالت: «أراهن على انك تتمنين لو انك ذهبت للتزلج معنا، بعد الذي حصل.»

ابتسمت شرلي بسخرية وقالت: «الآن، وقد ذكرت ذلك، أجل، فالتواء الركبة ما هو بشيء!» ومدت يدها إلى أسفل الدرج في طاولتها وتناولت علبة صغيرة مسطحة. كانت محكمة الاغلاق وقد لفّت بكيس من البلاستيك مغلق أيضاً. ودفعت بالعلبة على الطاولة.

نظرت ايمي إليها بحذر وسألتها: «ما هذا؟»

أجابتها: «لن تحزري، فمن الطبيعي اعادة هدايا العروس، ان كانت الفتاة لن تصبح عروساً.»

«آه، غلالة النوم؟ ماذا تعتقدين اني فاعلة بها؟ كنت محرجة عندما دخلت إلى المتجر لشرائها واعادتها الآن أمر مستحيل!» لكن، لحسن الحظ، ان ايمي قد وضعت العلبة تحت ذراعها ولم تتحدث في الموضوع أكثر. ثم سألتها: «لقد أحضرت سيارتك اليوم. أليس كذلك؟»

أومأت شرلي برأسها وقالت: «توقعت اني لن أكون راغبة في السير إلى المنزل عند انتهاء اليوم المدرسي. لماذا؟»

قالت: «أريد أن أطلب منك خدمة كبيرة. سيارتي في المرأب يضعون لها اطارات جديدة. هل يمكنك ايصالي إلى وسط المدينة لكي أحضرها أم انك متجهة مباشرة إلى المنزل ثم إلى السرير؟»

أجابتها: «سأوصلك. على أية حال، عليّ التوقف عند

المصبغة.» نظرت إلى النافذة، تنهدت واستطردت قائلة: «يبدو اني خبأت معاطفي الشتوية باكراً.»

رن الجرس ليعلن انتهاء فترة الاستراحة، وبعد دقيقتين تقريباً بدأ الأولاد بالعودة إلى الصف. كان بعضهم قد ارتدى سترات خفيفة فقط وما زالت رقع الثلج عالقة في شعر معظمهم.

همهمت ايمي قائلة: «عظيم. أعتقد انهم سيصابون جميعاً بالزكام بقية الاسبوع.»

أعطت شرلي درساً صغيراً في الرياضيات. ثم جلست وسمحت لأحد تلامذتها بأن يوزع الفروض على طلاب الصف. وتساءلت كم تستغرق من الوقت لتستعيد قوتها.

فتحت دُرج الطاولة لتسحب منه كتاباً مدرسياً، يمكنها على الأقل، تحضير درس الاسبوع المقبل في بضع دقائق. وكان تحت الكتاب في وسط الدرج، اطار صورة كانت توضع عادة على زاوية طاولتها، صورة لسبانس ووندي في مكتب شركة منتجات هدسون في الأيام السعيدة. حدقت شرلي إليها دقيقة كاملة. ثم قلبت الصورة. لم تستطع حمل نفسها على اتلاف الصورة، ان ذلك يعني الوداع الأخير. وحتى الآن ليست قوية كفاية لتفعل ذلك. لقد انتهى الأمر، عرفت ذلك. لكن ليس هناك خطيئة بالتأكيد ان هي تأملت فترة قصيرة، ان الأمور يمكن أن تتغير...

عندما رفعت نظرها، وقد شعرت بوجود شخص جديد في غرفة الصف، اعتقدت بالفعل لحظة انها تتوهم الأشياء. كانت وندي تقف على مدخل الباب تماماً وتنظر إلى ما حولها بتردد.

دفعت شرلي كرسيها وعبرت الغرفة نحوها. سألتها برقة: «هل أستطيع مساعدتك؟»

أجابتها: «أرغب في التحدث إليك. لكني سأنتظر حتى ينتهي صفك.»

قالت: «عندي دقيقة الآن.» قادت وندي إلى الردهة وتركت باب غرفة الصف شبه مغلق بما يكفي لتسمع أي صخب قد ينشب في داخله، ولا يتيح للأولاد سماع محادثة هادئة.

قالت وندي: «آسفة على قدومي إلى هنا. لكني عرفت انه المكان الوحيد الذي أستطيع التحدث إليك فيه بمفردك. اني أدين لك باعتذار.»

فكرت شرلي، هناك مئات الأمور التي يجب على وندي الاعتذار عنها، وتساءلت أي منها هو الذي يجعل ضمير وندي يؤنبها. فسألتها بسماجة: «لماذا؟»

أجابتها: «لأني رجوت سبانس الا يخبرك عما كان يجري.»

رفعت شرلي حاجبيها.

أضافت: «لقد كنت غاضبة جداً إلى درجة أخافتني وأرعبتني مما قد تفعلينه. الآن أعتقد اني أسأت في تقديرك.»

قالت شرلي: «لأن مارتن اعترف لي وأنا لم أخن ثقته؟»

أجابتها: «ذلك أمر، وهناك أمور أخرى. إني آسفة. يا شرلي. لو تركت سبانس يشرح لك الأمر في حينه، قبل أن تغادري الكوخ...»

أرادت شرلي أن تقول، ذلك صحيح، يا وندي، لكنت قدمت

إلينا جميعاً خدمة لو أنك لم تتدخلي. لكن تلك لم تكن الحقيقة كاملة، وعرفت انه ليس من العدل وضع كل اللوم على وندي. فقالت: «لا أحد له هذه السيطرة على سبانس. لو انه أراد فعلاً ان يخبرني، لفعل ذلك.»

تجهمت وندي قليلاً وقالت: «ليس بعد ما سألته ان يقول الحقيقة. ان كلمته تعني له الكثير، يا شرلي.»

كان التعليق لاذعاً. وأرادت شرلي أن تقول، لقد تأخرت هذه المحادثة قليلاً، ألا تعتقدين ذلك؟ لكن عوضاً من ذلك قالت: «يجب أن أعود إلى تلاميذي، يا وندي. هل هناك شيء آخر يمكنني أن أفعله لك؟»

شحب وجه وندي قليلاً وقالت: «أردتك أن تعرفي فقط اني راحلة. ان مارتن لم يبعدني كما واني لست هاربة، لكننا اتفقنا انه يكون من الأفضل أن أغادر منطقة هاموند.» كانت نبرة صوتها مليئة بالألم. حيث أضافت: «لن تخشي أي شيء يهب في وجهك ثانية. ان مارتن يعني لي الكثير لأفعل ذلك واني أحترم القرار الذي اتخذه.»

شعرت شرلي بضيق في حنجرتها وفكرت في أن المرأة تحبه فعلاً، وأنها تعيسة كأي فرد منا. مدت يدها لتأخذ يد وندي وقالت: «اني آسفة لأن الأمور لا يمكن أن تكون أفضل حالاً.»

قالت وندي موافقة: «لكلينا» ضغطت على أصابع شرلي للحظة، ثم استدارت وهرعت عبر الردهة الطويلة نحو الأبواب الخارجية.

كانت الشوارع مغطاة بطبقة رقيقة من الثلج المتجمد عند انتهاء اليوم المدرسي. وكانت هناك مواضع زلقة حيث لم

www.elromancia.com

تتوقع وجودها. وكانت جماعات الأولاد الذين يسيرون إلى منازلهم، غافلين عن الصعوبات التي تواجه السائق، ويعني هذا ان على شرلي ان تركز انتباهها على الطريق.

فيما توقفنا عند إشارة ممر مدرسة، قالت ايمي بحذر: «رأيت انك استقبلت زائرة بعد ظهر اليوم.»

أجابت شرلي بنظرة فضولية فقط.

قالت: «هل تعنين انك أصبحت فجأة على علاقة حميمة بوندي تايلور إلى درجة نسيت انك رأيتها؟»

قالت شرلي بصعوبة: «ليس تماماً.» لم يكن سؤال ايمي سهلاً. ان اعترفت شرلي انها ما عادت تكن لوندي أي ازدراء، فذلك سيؤدي إلى أسئلة كثيرة. برغم ذلك كان يصعب عليها التظاهر بكرهها أيضاً. بينما شعرت في الحقيقة، بالعطف على تلك المرأة.

بدأت شرلي تقدر الوضع السيىء الذي وجد سبانس نفسه فيه، عندما أعلنت فسخ خطبتهما. فأي محاولة لتفسير بديل لوجود سبانس ووندي في كوخ البستاني ستجعل الشكوك تتجه بقوة إلى أي شخص لا يبعد كثيراً عن الأثنين. لا عجب إذاً لِمَا شعر سبانس بأن اختياره الوحيد كان قبول ذلك الوضع.

توقفت أمام مرأب تغيير الإطارات، فجمعت ايمي كتبها عن أرض السيارة لكنها لم تخرج منها. نظرت بتأمل إلى شرلي وقالت: «هناك أمر آخر يجب أن تعرفيه، غير اني لم أعره اهتماماً على انه شائعة خبيثة. واني متأكدة بأنها كذلك فقط. لكن يبدو انها لم تتلاش.»

تنهدت شرلي وسألتها: «ماذا الآن؟»

قالت: «يتناقل الناس في المدينة انه فعل ذلك عن تعمد.»

سألتها: «تعنين تلك العلاقة المزعومة مع وندي؟»

قالت: «ماذا تعنين بكلمة المزعومة؟ لا بأس. انهم لا يتكلمون على العلاقة. انه أول أوكسيد الكربون.»

اتسعت عينا شرلي دهشة.

أضافت ايمي: «القصة الجديدة التي يتناقلونها في المدينة انه تبعك إلى الكوخ ليجعلك تعيدين النظر في انفصالكما. و...»

قاطعتها شرلي قائلة: «ذلك كلام سخيف.»

استكملت ايمي: «وعندما لم تقبلي، حاول ان يتبع خطوات والده ويأخذك معه.»

ذهلت شرلي لما سمعته. فقد كانت الفكرة بأن سبانس قد حاول الانتحار أو القتل، همجية جداً. كم كان من السهل تحريف الحقيقة إلى قصة أفضل!.

أخذ سائق يقف وراءها يصرخ بنفاد صبر. فتحت ايمي الباب وقالت: «آسفة لأني من أخبرتك ذلك.»

قالت شرلي على الفور: «لا، لا تكوني كذلك. سأراك غداً.»

أدارت السيارة وانزلقت الإطارات قليلاً على الثلج وعلى الفور اعادتها إلى مسارها ثانية.

كادت أن تتجاوز المصبغة، عندما تذكرت في آخر لحظة ما هي قادمة لأجله. وبذلت جهداً لتستمع إلى تعليق التاجر عن الطقس وتجيبه اجابة مناسبة.

كانت تبحث في محفظتها عندما أضاف التاجر قائلاً: «لقد وجدنا هذا في أحد الجيوب، يا آنسة كولينز.» مدت يدها لتأخذ المغلّف.

www.elromancia.com

قالت: «شكراً. لقد أصبحت مهملة...» وناولته شرلي المال وأخذت المغلّف. كاد أن يحرق أصابعها.

لقد رأت هذا المغلّف من قبل، لكن يبدو أن الذكرى قديمة جداً. بدأت يدها ترتجف. لقد التقطت ذلك المغلّف من صندوق البريد عند كوخ البستاني، ودسته في جيب معطفها. عازمة على قراءته عند وصولها إلى داخل سيارتها. لكن بعدما انهار عالمها ونسيت رسالة سبانس رمت المعطف في الخزانة ولم ترتده ثانية منذ ذلك الحين.

علقت الكيس البلاستيكي بتأن في الجزء الخلفي من سيارتها، وكأن مصير العالم مرتكز على الاعتبارات الاخلاقية التي تتحلى بها الآن. وقادت سيارتها إلى الموقف، إلى الزاوية المنعزلة حيث أمضيا نزهتهما الشتوية الهادئة، قبل أن تفتح المغلّف بعناية وتسحب منه رسالة سبانس.

لقد كانت قصيرة. بضعة أسطر فقط، كتبت على ورقة طبع في أعلاها اسم شركة هدسون للمنتجات. كادت أن تراه تقريباً جالساً إلى مكتبه وقلم الحبر في يده وكادت أن تسمع صوته تقريباً...

«حبيبتي شرلي، اسبوع فقط يفصلنا عن يوم زفافنا. ان الأمور تصبح أكثر توهجاً وليس هناك وقت للكلام. هل يزعجك ذلك؟»

همست قائلة: «نعم» وأكملت «لكن سيكون عندنا كل الوقت في العالم...» كان عليها أن تغمض عينيها وتفتحهما لتبعد الدموع قبل أن تتابع القراءة.

«أريدك أن تعرفي بأنك أعطيتني أغلى هدية يمكن أن

يقدمها أي شخص يا شرلي. حبك، بالطبع، وأمر أكثر أهمية بالنسبة إليّ، ثقتك. أنت تعرفين ما كان عليه والدي، لكنك قد لا تكونين لاحظت كم هم قلائل أولئك الناس في هذه المدينة الذين يأخذون كلمتي على محمل الثقة بالنسبة إلى أي شيء، لأنهم كانوا قد وضعوا ثقتهم به وقد أساء استعمال تلك الثقة. لم تشكي به قط. أعتقد ان ذلك أول أمر أحببته فيك، أمر من عدة أمور. لا أستطيع قول ذلك مباشرة لك، انه يبدو عاطفياً جداً. لكني أردت أن تعرفي ذلك.»

وضعت شرلي جبهتها على المقود.

لقد وضع هذه الرسالة في صندوق البريد ودخل إلى الكوخ ليعمل وينتظر شرلي. وبدلاً من ذلك وجد وندي.

قالت شرلي: «ثم دخلت أنا. وتحطمت حياته فوق رأسه.»

تمنت لو انها تستطيع البكاء. لكن ذلك الألم كان عميقاً جداً، وقاسياً جداً لكي تخفف حدته الدموع.

ماذا قالت وندي بعد ظهر اليوم؟ كلمته تعني له الكثير، حتى وندي فهمت ما لم تفهمه شرلي.

لا بد انه افترض، ان كان عنده متسع من الوقت ليفكر في ذلك أصلاً، انها قد قرأت هذه الرسالة منذ زمن، ربما حتى قبل ان تدخل إلى الكوخ. لا عجب انه تصرف كما تصرف؛ لا بد انها بدت قاسية القلب جداً ذلك اليوم.

لو انها فقط استمعت إليه في وقت سابق. ليس في ذلك اليوم الرهيب في الكوخ، حتى حينذاك كان الأوان قد فات، انما قبل ذلك بكثير. لو انها فقط حاولت معرفته في شكل أفضل، أن تفهم ما الذي يجعله مختلفاً عن غيره. ما الذي يجعله الرجل المميز جداً الذي أحبته؛ لكانت أدركت عندها

في الوقت المناسب كم كانت ثقتها به مهمة بالنسبة إليه.

لقد خمد لهيب حبهما. لا شك في ذلك. لقد أخمدته بنفسها، لكنها على الأقل بعد قراءة هذه الرسالة، أصبحت واثقة، كما لم تكن منذ ذلك اليوم في الكوخ، انه قد أحبها ذات يوم.

كان السؤال الآن ان كان رماد ذلك الحب قد برد كلياً، أو هل هناك جمرة مختبئة في مكان ما، وهناك أمل في اعادة احياء تلك النار.

عند العشاء، تناولت طعامها بتكلف حتى انها لم تدع الاصغاء إلى المحادثة؛ كانت أفكارها تدور حول متاعبها الخاصة. كانت تستعيد في ذاكرتها تلك المحادثة الأخيرة مع سبانس، محاولة أن تجد أي ذرّة من التشجيع لتجعلها تواصل ذلك. لم يكن ذلك بالأمر السهل، أجبرتها الأمانة على الاعتراف بأنها قد تكون تضيع وقتها ان حاولت اقناعه بانه ما زال هناك أمل لهما. ماذا عليها أن تفعل في كل حال؟ تخبره انها آسفة على عدم تفهمها؟ كانت تلك بداية بالطبع، لكنها لا تتوقع أن تحدث الكلمات فقط تغييراً كبيراً. لا، يجب أن تكون هناك طريقة أفضل لتقديم الترضية.

ما الذي قاله في ذلك الشأن؟ قد تكون أفضل طريقة للاعتذار في بعض الأحيان هي التأكد من ان تلك الجراح لن تتكرر ثانية. نعم. هذا ما قاله.

أخذت تدفع قطعة السلمون في صحنها بينما كانت تفكر في ذلك. ذلك التقرب قد يأخذ الكثير من الوقت والصبر. قد لا يفهم مطلقاً ما كانت تحاول قوله. برغم ذلك، لم يكن أمامها شيء سوى الوقت، وسوف تتعلم الصبر أيضاً.

قالت شارلوت أخيراً، بعدما رأتها وهي تلهو بتحريك طعامها: «هل أنت بخير، يا شرلي؟»

«ماذا؟ آه. اني تعبة فقط. سيكون نهار الغد أسهل.»

«بالتأكيد انك لن تعاودي الذهاب حتى تتعافي تماماً!»

اعترض مارتن قائلاً: «تستطيع شرلي ان تتخذ قراراتها بنفسها، يا شارلوت.»

فكرت شرلي، شيء ما قد تغير في مارتن. كان هناك نبرة جديدة في صوته، لكن التغير تعدى ذلك. بدا وكأنه قد استعاد احترام نفسه، ولم يعد يشعر بالخوف بعد الآن.

همهمت شارلوت قائلة: «منتهى الحماقة. هذا كل ما سأقوله.»

انتظر مارتن حتى انتهت ليبي من رفع الوجبة الرئيسية عن المائدة ووضعت فطيرة الجبن بالحليب والشوكولاتة. ثم قال: «ربما علينا الذهاب بعيداً لمدة قصيرة يا شارلوت، فنحوا، دون تفكيرك في كثير من الأمور. الآن، وطالما انك شعرت بتحسن.»

قاطعته قائلة: «من قال اني أشعر بتحسن؟»

قال مارتن بصبر: «انك بالتأكيد أكثر قوة عما كنت عليه في الخريف المنصرم. لكن ان كنت غير قادرة على القيام برحلة شاقة، فما رأيك في رحلة بحرية لمدة شهرين؟ فذلك يجعلك ترتاحين وتستعيدين عافيتك. إن هواء البحر منعش...»

قاطعته: «لشهرين؟»

قال: «نعم. سيكون أمراً ممتعاً. ربما يمكننا القيام بجولة حول العالم، اني أتطلع إلى تلك الرحلة بشوق.»

كررت شارلوت: «أشهر؟» ستترك سبانس يدير شركة منتجات هدسون لأشهر؟»

قال مارتن ببرودة: «لِمَ لا؟ لقد مضى على ادارته الشركة كلها نحو العام حتى الآن. اني مجرد رئيس فخري، يا شارلوت، وعندما أتقاعد يتولى سبانس رئاستها.» وقضم قضمة من فطيرة الجبن وأضاف بصوت خفيض مكتوم: «ان هو بقي هنا.»

والقت شرلي الشوكة من يدها، وسألته: «ماذا تعني؟»

نظر إليها مارتن نظرة دافئة وعطوفة ثم قال: «تماماً كما قلت، ان هو بقي هنا، وكما تبدو الأمور...»

توقفت جملته غير المكتملة حيثما وصلت إليه منذرة بالسوء. لم تكن شرلي بالطبع، بحاجة إلى سماع المزيد. فالأمر لا يتطلب شخصاً خارق الذكاء لمعرفة ما قصده مارتن. لقد عانى سبانس ما يكفي. كان ذلك واضحاً. إنه راحل. قد لا يكون هناك وقت، في آخر الأمر لتبرهن له كم هي نادمة على ما حصل. أرادت شرلي أن تصرخ، ما الذي تبقى له في منطقة هاموند؟ حتى السمعة الطيبة التي عمل جاهداً على اعادة بنائها قد شوهت من خلال غلطة ليست غلطته.

قالت فجأة: «أتنكرين يا خالتي شارلوت، ذلك الاستقبال الذي أردتني أن أحضره بدلاً منك؟ انه يقام الليلة، أليس كذلك؟ في أي وقت يبدأ؟»

قالت لها شارلوت منبهة: «سيكون لطفاً منك ألا تقاطعي من يكبرونك سناً. انه يبدأ عند الساعة الثامنة. لكن ان كنت تعبة جداً حتى لتناول عشائك فيجب بالتأكيد ألا تذهبي إلى تلك الأمسية.»

كانت شرلي قد نهضت على قدميها وقالت: «لن أتأخر.»

لم يكن عند شرلي ادنى شك في انه بوجود موسيقي مشهور، ستهرع نخبة المجتمع في منطقة هاموند إلى حضور الاستقبال. ولم يخب ظنها فيما هي تشق طريقها وسط الجموع.

تناولت كأساً من الشراب عن صينية النادل، راغبة في أن تتمسك بشيء أكثر منه لتناول الشراب. كانت يداها ترتجفان الآن وقد حانت اللحظة الحاسمة لتقول كلمتها أمام هذا الحشد من الناس. وكانت تفتقر إلى الطريقة التي ستبدأ بها.

استدارت نحو الطاولة التي وضع عليها الشاي وهرعت لتصطدم بسبانس. تراجعت إلى الوراء وكأنها ظبية مذعورة؛ كان الأمر أسهل بكثير لو انها لم تكن مضطرة إلى مواجهته بينما تقول كلماتها.

تأرجح الشراب في الكأس وكأنه موجة عارمة، مهدداً بأن يتدفق من فوق حافة الكأس ويبلل قميصه من الأمام. أطبقت يد سبانس بقوة على معصمها وأبقت الكأس على بعد مسافة آمنة.

كانت قبضته مؤلمة قليلاً، ولم تستطع شرلي الا أن تطرف عينيها وهي تنظر إليه.

قال باقتضاب: «آسف.» وسقطت يده إلى جنبه.

قالت بهدوء: «انها غلطتي. وسكب الشراب عليك، بالطبع لن يكون الشيء الوحيد الذي عليك أن تسامحني لأجله.»

كان سبانس قد بدأ يبتعد، لكنه استدار ثانية ليصبح في مواجهتها. فكرت، يبدو حائراً وربما كان مرتبكاً قليلاً أيضاً.

عطست سيدة مسنّة قربهما. وتمتمت قائلة لصديقتها: «لا اعتقد اني سأحيا لأرى هذا اليوم.»

أومأ سبانس للمرأة برأسه ببرودة. وتقدم خطوة بعيداً عنها. اعتصر قلب شرلي. لقد تعلمت منذ صغرها ألا تكترث لذلك النوع من الفظاظة؛ وفكرت، لقد تعلم سبانس الطريقة الصعبة، الا وهي تجاهلها، أو على الأقل التظاهر بأنها لم تؤثر فيه.

استدارت شرلي لتصبح في مواجهة السيدة المسنة. وقالت من دون أن تحاول ابقاء صوتها منخفضاً: «ربما أدهشك اني الشخص الذي يعتذر؟»

سرت تمتمة بين الجمع.

كان سبانس قد أصبح إلى جانبها مرة أخرى، واحدى يديه على ذراعها. وقال بصوت منخفض: «لقد احتسيت الكثير من الشراب، يا شرلي.»

نظرت إليه وقالت مبتسمة: «لم أشرب سوى جرعة واحدة. لا تقلق ساكون حذرة. لكن هناك بعض الأمور التي يجب أن أقولها، يا سبانس.» ورفعت نبرة صوتها قليلاً، وهكذا برغم انها كانت تنظر إلى سبانس، كان من الواضح انها تتكلم ليسمع كل شخص.

قالت بوضوح: «كان فسخ خطبتي أكبر خطأ اقترفته في حياتي. واني نادمة جداً على حماقتي. عذري الوحيد اني لم أقدّر جيداً نوعية الرجل الذي كنت سأتزوج منه حتى رأيته يقوم بعملين من أكثر الأعمال تضحية وبعداً عن الأنانية، في حياتي.»

بدا وجه سبانس شاحباً. وقد أطبق فكيه. لم تعرف شرلي

هل هي الصدمة أم الغضب الذي جعله يبدو على هذا النحو، أو الخوف من انها قد تخبر الجمع بهذه الأعمال البعيدة عن الأنانية، ليس فقط انه أنقذ حياتها، وانما قام بحماية مارتن أيضاً. وقالت في نفسها: لا تأثير لذلك الآن، فقد فات الأوان لتتوقف الآن.

أضافت: «وأريده أن يعرف، كما أريدكم جميعاً أن تعرفوا، انه لو اني أملك القدرة لأقوم باختيار آخر، لفعلت ذلك وسيكون لي الشرف بأن أكون زوجته.»

مرت خمس ثوان طويلة، كان سبانس في خلالها صامتاً. وابتعدت شرلي نحو حجرة الايداع حيث تركت معطفها. فكرت، ان كانت قد أهانت نفسها، فذلك لسبب يستحق ذلك. والآن حان وقت المغادرة بسرعة، قبل أن تنهمر الأسئلة عليها.

رأت الموسيقي المشهور واقفاً إلى جانب مضيفته، توقفت لبرهة وقالت: «اني آسفة لأني أفسدت حفلتك.»

انحنى بلباقة. ولم تسمع شرلي ما قاله.

لِمَ اتجهت إلى كوخ البستاني؟ أمر لم تعرف شرلي سببه تماماً. كانت تعرف فقط انها تريد أن تكون وحدها. وما من احد سيزعجها هناك. ولم تزعج نفسها باضاءة الأنوار.

انعكست الأضواء الغامرة في الحديقة على رقع الثلج ودخلت من النافذة محدثة ظلالاً طويلة معقدة، وحالما اعتادت عيناها الأشكال الغريبة أصبح في استطاعتها التجول في الكوخ من دون أية مشكلة على الاطلاق.

رأت ان بقية الأثاث قد تم تسليمه واستغربت متى حصل ذلك. كانت كرسيان وثيران الآن قرب المدفأة. وفي ركن

الطعام الصغير كانت هناك طاولة جميلة صغيرة تتسع لاثنين. كانت رائحة الطلاء الجديد تفوح من الكوخ. لكن تلك الروائح المثيرة للبهجة كانت ممتزجة برائحة لم تجد لها اسماً سوى رائحة الفراغ البائس. كان يجب، في هذا الوقت، أن تفوح في الكوخ رائحة القهوة والكعك المحلى والبهارات من كل الأنواع.

ضربت على ظهر المقعد المزدوج الذي كان لا يزال في غير مكانه عند جانب غرفة الجلوس، تماماً كما كان في ذلك اليوم قبل ثلاثة أسابيع تقريباً...

دست يديها في جيبي معطفها، ولامست رؤوس أصابعها رسالة سبانس. سحبتها وأمسكتها بين راحتي كفيها. كان الكوخ مظلماً جداً لتتمكن من قراءتها. لكن الشعور بالرسالة بين أصابعها كان مريحاً. لقد أحبها ذات يوم. حتى الليلة استطاعت أن ترى في عينيه نكرى ذلك الحب، لكن ذلك كان مجرد نكرى.

جلست على أحد الكرسيين الوثيرين وأخذت تنظر إلى المدفأة الخالية وهي تتحسس الرسالة وكأنها كتبت بخط نافر وتستطيع من خلال رؤوس أصابعها تمييز الكلمات. ونكرت نفسها بأنها فعلت كل ما في وسعها، ربما على الأقل، قد يأتي لرؤيتها قبل أن يغادر منطقة هاموند.

كانت تفكر في ذلك عندما رفعت نظرها وتساءلت فعلاً للحظة ان كانت تتخيل الظل الطويل المنحني فوق ظهر المقعد المزدوج، ودون أن يسمع أي وقع بخطواته، اقترب أكثر، ربما كان شبحاً.

لم يتكلم. ساد الصمت وقتاً بدا كأنه لن ينتهي.

كانت أصابع شرلي ترتجف، عرفت ذلك لأن أعلى الرسالة كان يصدر صوتاً ضعيفاً. نظرت إليه وقطعت الصمت قائلة: «كنت أقرأ رسالتك.»

قال: «ستؤذين عينيك.» واتجه نحو مدخل الباب حيث مفاتيح الأنوار.

قالت بهدوء: «لم تصلني الا اليوم.»

توقف برهة ثم قال: «لكنك قلت...»

قاطعته قائلة: «اني تسلمتها ذلك المساء، نعم. لكن في غمرة الصدمة نسيت، ولم أقرأها حتى اليوم.» ونظرت الى الرقعة البيضاء في حضنها وسألته: «هل تعني ذلك يا سبانس؟»

بقي جامداً في وقفته، وبدا ان الظلام في الغرفة قد تكاثف.

قالت شرلي: «اني آسفة. بالطبع لقد قصدت ذلك حينها والا ما كنت قلته. والآن، حسن، أعتقد اني أعرف الجواب عن ذلك، ألست كذلك؟»

قال بصوت هادىء: «أحقاً تعرفين، يا شرلي؟ كان أمراً لطيفاً جداً... ما فعلته الليلة.»

لطيف. كان يمكنه نعته بعدة نعوت. لكن تلك الكلمة في شكل خاص حطمت كبرياءها نوعاً ما. لقد خففت من الجهد والتأثير والأهمية لِمَا حاولت أن تقوم به. جعل الأمر يبدو وكأنها لم تفعل أكثر مما قد تفعله أية مضيفة عادية لتجعل ضيفها يشعر بالراحة.

قالت بجفاف: «اني أدين لك بذلك.»

سألها: «ألهذا السبب قمت بذلك؟»

لم تجبه على الفور. لكنها سرعان ما قالت: «سيكفون على الأقل عن اتهامك بانك حاولت قتلي.»

قال: «لعلك أخذت ذلك على محمل الجد. فانا لم أفعل.»

قالت شرلي بحدة: «آه، لم تفعل؟ إذاً لماذا مارتن متأكد جداً من انك ستغادر منطقة هاموند بعد الذي حصل؟»

لم يجبها للحظة، وعندما تحدث كان صوته عميقاً جافاً حين قال: «يعرف مارتن تماماً لماذا أفكر في مغادرة منطقة هاموند.»

إذاً لقد كان ذلك صحيحاً. أخذت تنشب رؤوس أصابعها في قماش الكرسي الناعم. وقالت: «خذني معك يا سبانس!» خرجت الكلمات بعويل يملأه الحزن. وقبل أن تلاحظ ذلك، رأت أثر الصدمة في عينيه، فاندفعت بتهور قبل أن تتمكن من التفكير في شكل أفضل، أو تعتبر لماذا يكون ذلك محرجاً في النهاية. هبت واقفة وقالت: «لا أتوقع منك أن تتزوج مني. اني فقط لا أريد أن ألغى من حياتك. أعطني فرصة أخرى يا سبانس!» عندما انتهت من كلامها كانت قد أصبحت إلى جانبه ويداها تمسكان بطيّة ياقة معطفه.

رفع المفتاح، فاضاءت الأنوار.

أومضت شرلي عينيها لانتشار النور فجأة. فقد جعلها الضوء تشعر بالخزي والحماقة. لم تترك طية ياقة معطفه لكنها لم تستطع النظر إليه. وبدلاً من ذلك ركزت نظرها على بقعة رمادية متجمدة على ربطة عنقه.

قال بهدوء: «تريدين الذهاب معي؟»

أومأت برأسها.

قال: «من دون عمل ومن دون خطط ومن دون تقرير مصير؟»

قالت: «لا أهمية لذلك. لا أعرف ماذا ستفعل بعد الآن أكثر من الذي ستفعله، لكني أثق بك. لقد ارتكبت خطأ عدم الوثوق بك مرة، يا سبانس، ولن أكررها ثانية.» تنفست بعمق وأضافت: «لقد قدمت إلى غرفتك في المستشفى ذلك اليوم لأخبرك باني أثق بك، وباني سأكتفي بكلمتك لقاء ما حدث، قبل أن أعرف ما حدث فعلاً. لا أتوقع منك تصديق ذلك. لكنها الحقيقة.»

طوقها ببطء. شعرت شرلي وكأنها لفت بملاءة كبيرة جداً ومريحة جداً، لن تجعلها تشعر بالبرد ثانية. أطلقت تنهيدة خفيفة ودفنت رأسها في صدره متمسكة به وكأنه الدعامة الوحيدة الثابتة في عالم متقلب جداً.

همس قائلاً: «كان يجب أن أخبرك. لقد توقعت منك الكثير وطلبت الثقة العمياء عندما ضبطتني في وضع مثير للشبهة. لكن عندما نظرت إليّ بتلك الطريقة وقلت انك لا تحبينني كفاية لتثقي بكلماتي حيال ما حدث...»

قالت: «لم أكن أدرك ما أقول. لم أفكر انك غير ملائم يا سبانس. لم يحدث لي ان تساءلت ان كان عندك شكوك في نفسك.»

قال: «لقد قطعت نياط قلبي عندما قلت ذلك. لم أكذب عليك قط يا شرلي، ولم أفكر في ذلك مطلقاً.»

قالت: «ولذا لم تكن لتخبرني شيئاً على الاطلاق.»

أومأ برأسه وقال: «أعتقد اني لم ألاحظ حينها ان عدم اشراكك في الأمور كان نوعاً آخر من الكذب.»

سألته: «أي نوع من الأمور؟»

أجابها: «كاخبارك كم كنت خائفاً، حتى قبل أن تفسد وندي الأمور.»

همست قائلة: «خائف؟»

تنهد وقال: «لأني أحبك كثيراً جداً.»

تذكرت ما قاله في مكتبه ذلك اليوم عندما قالت له انها تحبه فقالت: «وكنت تخشى ألا أحبك بقدر ما أحب فكرة اني أحب.» وضعت رأسها على كتفه وأضافت: «ربما كنت محقاً، قليلاً. أعرف اني لم أقدرك فعلاً حتى فقدتك.»

قال: «عندما تخليت عني ذلك اليوم تحطم شيء ما حينها يا شرلي.»

أجابت: «وكان ذلك حين شعرت انه ما من شيء بيننا يستحق الاحتفاظ به؟»

أوما برأسه مما جعل ذقنه يلامس شعرها برقة. وقال: «بقيت أحبك من دون اعتبار كم أردت أن أمحو ذلك من فكري، إلا انني لم أستطع ذلك.»

«عرفت تماماً كيف يكون ذلك الشعور.»

«ذهبت إلى الكوخ لأتخلص من التفكير فيك. فكنت هناك. هل عندك فكرة كم كان من الصعب عليّ أن أكون بقربك في هذه الظروف؟ في كل مرة كنت أدور فيها حولك كنتِ فعلياً بين ذراعي، تتوسلين كي أقبلك...»

قالت بسخط: «لم أكن كذلك!» وعلا الاحمرار وجهها قليلاً عندما نظر إليها بشك. فأضافت: «ليس كثيراً. على أية حال.»

قال: «بدا ذلك واضحاً جداً في بعض الأحيان. ذاك الصباح عندما جلست قرب النار وجففت شعرك، كان أجمل عرض رأيته في حياتي. خصلات شعرك الذهبية تلمع على ضوء النار وأنتِ لم تعرفي حتى كم كنت جميلة.» وترك أصابعه تنزلق من خلال شعرها.

رفعت شرلي نظرها نحوه من خلال رموشها، وقالت: «ان كانت تلك الطريقة هي التي تزعجك، فقد يكون عليّ أن أحدث بعض التغييرات.»

ضحك وقبلها. واستراحت شرلي بين ذراعيه وشعرت ان الألم في جسدها الذي أصبح جزءاً منها قد بدأ يخف تدريجياً.

أخيراً قال سبانس: «لا تقلقي في شأن التدريبات. فأنت لست بحاجة إليها. انك جميلة حتى عندما تستيقظين وأنت تفركين عينيك كطفل صغير...» وأضاف متنهداً: «بالطبع، تلك الليلة عندما لم أستطع إيقاظك...»

قاطعته قائلة: «لا تكمل. لقد انتهى الأمر، وكنا محظوظين.»

أوما برأسه وغابت عن عينيه نظرة الانزعاج.

همست شرلي قائلة: «لعل ما حصل جعلنا أكثر قوة. أعرف اني أحتاج فرصة لأنمو قليلاً ولأحسن تقدير ما بين يدي.»

قال سبانس بهدوء: «ربما نحن الاثنين بحاجة إلى ذلك. فحتى ما أخبرتني انك ما زلت تحبينني، كنت أخشى أن آمل اننا يمكننا أن ننقذ شيئاً مما بيننا. كنت خائفاً جداً من المجازفة. عندما قمت بلعبتك الليلة للتأثير في الناس لتنقذيني من الشائعة، لم استطع التقرير، هل أقبّلك أم أضرب رأسي بأقرب حائط. فقد كنت غاضباً جداً من نفسي. كيف يسعني أن ألومك على عدم ثقتك بي بينما أنا لم أثق بك؟»

ابتسمت شرلي وتركت أصابعها تجول تعبث بشعره ثم

قالت: «رأسك المسكين. أو هل أقول الحائط المسكين؟ فقد لا يكون قاسياً كما هو حال رأسك.»

«لم أقم بفعل ذلك. فكرت ان المشهد الذي حدث للتو كان كافياً جداً.»

قالت شرلي بعقلانية: «حسن. ان حقق هدفه...»

قاطعها قائلاً: «كان الأمر يستحق ذلك. حسن. والآن هل تعرفين ما ستقوله لك شارلوت عندما تسمع بما فعلته؟»

أطلقت شرلي قهقهة صغيرة ضاحكة. وقالت: «نعم. لن أسمح لذلك الأمر بأن يزعجني. إلى أين نذهب يا سبانس؟ أعني، لا بد أنك تفكر في مكان معين، على الأقل، وأود أن أعرف أي نوع من الملابس عليّ أن أحضر.»

قال: «ما رأيك في البقاء هنا؟ في منطقة هاموند؟»

تراجعت قليلاً إلى الوراء وقالت: «ماذا؟»

ضمّها إليه بذراعيه وقال: «كنت أفكر في المغادرة. نعم، ليس من الشائعة، لقد تخطيت أموراً أسوأ منها بكثير، لكن لأني اعتقدت اني لا أستطيع العيش هنا حيث سأراك وأحبك ولا أستطيع الزواج منك.»

قالت بلهجة تساورتها الشكوك: «هل يعرف مارتن ذلك؟»

قال: «نعم. كان عليّ أن أخبره ذلك. تعرفين...»

«الماكر الحقير!»

قال: «لأنه أتاح لي فرصة شراء شركة هدسون للمنتجات.»

اتسعت عيناها دهشة.

أبعدها قليلاً عنه وقال: «لقد أدرك كم هو متعب ان حاول اعادة الأمور إلى ما كانت عليه سابقاً. واعتقد ان الوقت قد

حان لأحظى بفرصة لأظهر ما أستطيع القيام به. إنها ليست هدية ولا رشوة يا شرلي. مجرد صفقة عادلة، ولن يكون من السهل ادارتها. فقد نواجه بعض الأوقات العصيبة.»

سألته برزانة: «نحن؟»

قال: «ما رأيك في ذلك، يا شرلي؟ هل نحاول من جديد؟»

نظرت إلى البقعة الرمادية على ربطة عنقه من جديد وقالت باتزان: «لم أقم باداء ذلك العمل المثير الليلة لأرغمك على التقدم لطلب يدي، يا سبانس؟»

قال: «أعرف. وما زال السؤال وارداً.»

قالت: «ولم أجعلك تطلب يدي بالضبط في المرة الأولى أيضاً. لقد خامرتني الكوابيس بذلك الشأن فيما بعد. جعلتني اتساءل ان كنت حقاً أردت الزواج مني في يوم من الأيام.»

ضمها إليه وقبلها، ثم وضع خده على شعرها قائلاً: «ذلك مرجح أيضاً. ربما ما كنت لأسألك ذلك فعلياً.»

قالت: «ماذا؟» وبدت الكلمة وكأنها صرخة.

وضع يديه على وجهها وقال: «طالما اني لم أسأل، لا تستطيعين الرفض، وهكذا أستطيع الاستمرار بالحلم بذلك.»

قالت شرلي برقة: «آه، في تلك الحالة...» ولم تتابع كلامها.

تنهد سبانس وقال: «أعتقد انك تريدين أن اطلب يدك حسب التقاليد؟ حسن خذي حقك كاملاً من دون أن تنظري إلى النتائج.»

ركع على احدى ركبتيه وضمّ يدها إلى قلبه.

سألها: «هل تتزوجينني يا شرلي؟»

نظرت إليه بتأمل، وسوت ربطة عنقه ومررت يدها الطليقة على طية ياقة سترته الناعمة حتى استراحت أصابعها على قذاله. ثم تمتمت قائلة: «عليّ أن أفكر في الأمر. لقد حصل كل هذا في شكل مفاجيء جداً.»

للحظة، حدق إليها وكأن أنفاً إضافياً قد نما في وجهها بسرعة. ثم ابتسم ابتسامة عريضة وسحب يدها بسرعة دافعاً بها إلى السجادة. وطوقها بذراعيه.

قال: «فجأة، لا شيء. لقد تأخرت اسبوعين عن موعد الزواج كما كان مقرراً. حصلنا على شهر عسل علينا أن ننساه، فما رأيك يا حبي في شهر عسل نتذكره؟»

ابتسمت شرلي وكانت مشدوهة من أن تفعل شيئاً سوى أن تومىء برأسها.

تمت

www.liilromancia.com